

المعرفة

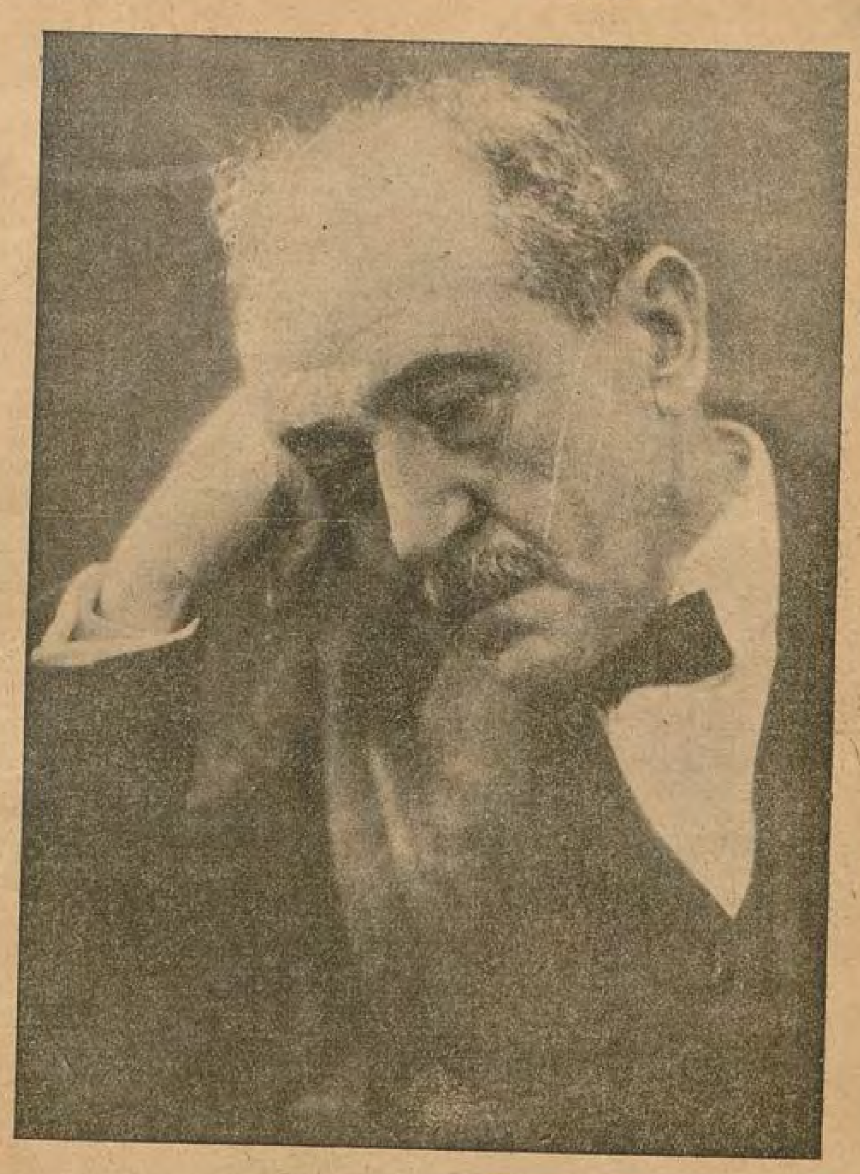
السنة الثانية — اول مايو سنة ١٩٣٢ — الجزء الأول

من موضوعات هذا الجزء

وغير ذلك من الموضوعات

المجلد الثالث — العدد ١٣


الادارة الجديدة
لمجلة المعرفة
بشارع عبد العزيز رقم ٤
بالقاهرة



أمير الشعراء
سعادة أحمد شوقي بك
(راجع : الحقيقة والحياة)



الاستاذ محمد جاد المولى بك
راجع مقال « الارادة والعمل »



الأستاذ الدكتور على العنانى
راجع مقال : « الحكمة الصينية »



الاستاذ محمد مهدي علام
راجع مقال « الضمير »



الأديب عبد الحميد العمروسي
راجع قصة « فاطمة »

أول مايو سنة ١٩٣٢
ذو الحجة سنة ١٣٥٠



الجزء الأول
السنة الثانية

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد الثالث | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | العدد ١٣

المعرفة

فى سنتها الثانيـــــــــة

فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية ، افتتحنا الجزء الأول للسنة الأولى من حياة « المعرفة » باسم الله، وبقول نبيه الكريم « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

وها نحن الآن نفتتح الجزء الأول للسنة الثانية من حياة « المعرفة » بمثل ما افتتحنا به الجزء الأول من السنة الأولى ، مغتبطين كل الاغتباط ، بما أتيح لنا أن نقوم به من واجب أخذنا أنفسنا به، وعاهدنا القراء على الثبات عليه ، جزلين غاية الجزل ، لهذه الخطوة التى تتخطاها « المعرفة » إلى هذه السنة الجديدة ، شاكرين أجزل الشكر حضرات الكتاب والعلماء والأدباء والشعراء الذين آزرونا فى آداء هذا الواجب، بما تفضلوا به ، أو فرضوه على أنفسهم، فى سبيل الغاية التى لأجلها قامت « المعرفة » ، شاكرين نفس الشكر حضرات المشتركين الذين صدقوا معها ، والقراء الذين شجعوها تشجيعا ليس فى وسعنا إلا تقديره والتغنى به ، إذ كان ذلك التشجيع من أكبر الدعامات التى قامت عليها منذ نشأتها ، بل كان له الفضل غاية الفضل فى سيرها بخطى متزنة سريعة ، راقية درجات الصعود إلى سبيل غايتها فى طمأنينة وثبات .

وإذا كان من الضرورى ، أن نتحدث إلى حضرات القراء عما صادفته « المعرفة » فى سنتها الأولى - وهم من المساهمين فيها من غير شك - فإن المعروف أن مجلة كالمعرفة، وقد قامت بدعوة انفردت بها ، لابد أن تلقى عنتا ، ويصادفها عقبات فى فجر حياتها على الأخص، قد يكون تذليلها فى بادىء الأمر ، مما لا يستهان به ، ما لم يكن مرهونا على تعضيد القراء ، موقوفا على مؤازرة الكتاب ، ومعاونة الآخذين بفكرتها ، المؤمنين بصلاحية دعوتها .

إذا كان لابد من مصارحة القراء بشىء من ذلك ، فلنذكر إذن أن فئة من الناس قد بذلت جهودا كثيرة لقتل « المعرفة » وهى جنين لم يولد ، ووضعت عقبات كأداء فى سبيلها ، وهى طفلة لم تحب، لكن الله أبى إلا خذلانهم وإزهاق باطلهم ، ونصرة الحق الذى تدعو « المعرفة » إليه ، وتأخذ نفسها بالدفاع عنه .

وهاهى ذى السنة الأولى قد مرت بسلام . رغم تلك العقبات، وهاتيك الفتن؛ وهاهى ذى « المعرفة » قد جالدت ومازال تجالد الاعاصير والزعازع التى يثيرها أولئك المساكين !!! برباطة جأش ، وثبات عزيمة، وعقيدة لايتطرق إليها الضعف أوالوهن.

وإذا كانت تلك الفئة ، التى تأبى إلا المتاجرة باسم العلم والدين والأدب ، أوباسم الصحافة والمنافسة ، قد باءت بالفشل والخسران ، وعادت من الغنيمة بالاياب ، وآبت بسخط العقلاء والمفكرين ، فأحرى بها أن تسكن إلى أوكارها ، تقوى من بنيانها ، وقد تداعى ، لتدفع عن نفسها تهمة الضعف والجمود ، ولتنتج إنتاجا علميا نافعا ، يحل محل الدجل الذى سئمته النفوس.

إنا لننصحهم ، صادقين ، وإن كنا نعرف أن جل همهم غنم المادة ، ونهاية مقصدهم استغلال أحط النزعات لوجه الكسب المادى ، لا أكثر ولا أقل .

على أنا أصبحنا الآن بفضل ماتقدم، مملوئين رجاء فى المستقبل وأملا فى الله ، يزيدنا فى ذلك، شعورنا بأنا أدينا بعض الجهود التى حملناها « المعرفة » فى بدء نشأتها، ونحملها إياها حتى آخر رمق من حياتنا ، معتقدين أن « المعرفة » قد استطاعت، بفضل معاونة الجميع : من كتاب وقراء ، أن تسد فراغا فى عالم العلم والثقافة العربية الصحيحة ، والصحافة العلمية الراقية؛ فما من شك فى أن « المعرفة » قد أضحت مجالا للبحوث العلمية المختلفة ، التى تتصل بكل مايمس الشرق من علم ومعرفة ، أو يرتبط وتاريخه من فن وأدب . كما أنها لم تنس الثقافة العربية ، وما يتصل بها من أدب عال ، أو علم نافع ، أو فن رفيع ، كما ساهمت بأوفر نصيب، فى الدعوة إلى إحياء الشرق، وبعث نهضته من جديد ، والحث على تقوية العروبة ، ونشر لواء العربية ، وربط الشرق بالغرب ، محققة فى ذلك بعض ما أخذته على نفسها فى أول جزء من أجزائها ، فأصبح ما كان محالا جائزاً، وها نحن نذكر ما قلناه فى الجزء الأول من السنة الأولى فى هذا الصدد :

« إن من أهم أغراضنا : ربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب

ثانياً ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول فى الثانى : فما يزال الشرق مبعث الحكمة والنور، ومهبط الوحى والالهام ، وأب العلم والمعرفة ، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر».

«كذلك نعمل على استخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاء مايصلح لنا من مدنيته لنقوم بها بنيان مدنيتنا : فالحق أنا لانستطيع إنكار ما للغرب من مدنية وعلم وحضارة».

وها هى ذى مجموعة السنة الأولى بين أيدى الجميع ، يستطيعون تقدير مابذلته «المعرفة» فى هذه الغاية ، دون زهو أو فخار .

فما من جزء من أجزائها ، إلا ويحتوى بحوثاً جليلة ، ومواضيع قيمة ، ومقالات طريفة لكبار الكتاب والعلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء ، وأحاديث أو آراء هامة ، لأمراء الشرق وزعمائه ووزرائه على اختلاف نحلهم وتعدد أوطانهم : فكانت « المعرفة » بعون الله حلقة اتصال بين أبناء الشرق جميعاً ، لاتفرق بين قطر وقطر ، أو تميز فريقاً دون فريق ، أو تنتصر لزيد دون عمرو .

فتلاقت على صفحاتها أقلام : العربى، والجركسى، والمصرى، والسورى، والهندى، والصينى ، والأفغانى، والفلسطينى ، والحجازى ، واليمنى ، والحضرمى ،والروسى، والتونسى، والجزائرى، والسودانى... الخ .

ولهذا كله لاقت « المعرفة » أكبر التعضيد ، فى جميع البلاد الشرقية ، والبلاد الغربية ؛ الناطق أهلها بالضاد ، فزاد اعتقادنا بأن الحاجة كانت ماسة إلى هذا الضرب من الصحافة ، التى تقرب الغايات ، وتوحد الرغبات ، وتعمل على البعث الذى نطمع فيه جميعاً ؛ فتلك بلاد تجمعنا وإياها رابطة اللغة ، والجنس، والدين ، بل رابطة الاستعمار والاستعباد الذين نشرا علمهما على معظم آفاق الشرق، ذلك الشرق المسكين ، الذى كان مبعث حضارة الغرب المظلم ،فى كثير من أنحائه ، والذى بعث إليه الروح الخالدة ، والحياة الفياضة ، والذى نشر فى أرجائه نور العلم،والمعرفة ، وضوء الحق .

نحن الشرقيين إذن فى حاجة إلى التآزر والتساند ، بل فى حاجة إلى تقارب العقليات ، واتحاد الميول ، مادمنا نخضع لمصير واحد ؛ والصحافة المحترمة الشريفة ، تستطيع أن تؤدى نصيباً وافراً من هذه الرسالة ، إذا توجهت فى آدائها ، نقية اليد ، طاهرة الذمة، عفة اللسان، فهل آن الوقت الذى تفهم فيه تلك الحقيقة على وجهها الصحيح ؟

إنا نأمل كل الأمل ، أن نلقى من التعضيد والتأييد ما يشجعنا على السير فى الخطة التى سارت عليها «المعرفة» فى سبيل تلك الغاية النبيلة ، واستقرت عندها أطماعنا التى حسبها بعض الناس محالا ، ورأوها حلماً يبنانراها يقيناً ، وهؤلاء هم الذين إذا ذكر الحق أمامهم ، خارت منه قواهم،وانحلت لسمعه عزائمهم، حتى إذا مارأوا هذا المحال آخذا فى التحقيق، وذلك الحلم يفسره ضوء الحق خروا أمام عظمته ساجدين .

وإذا كان المجهود الذى بذلناه فى السنة الأولى شاقاً عسيراً ، فان ما لقيناه من تقدير ومعاونة قد يسر لنا المجهود أكبر تيسير ، وجعلنا نشعر أن باب التجربة وإن كان لا يفتح فى مصر إلا على الخسار ، إلا أنه مؤد لتعرف الحق من الضلال ، وتمييز الصالح من الطالح ، والتفرقة بين النافع والضار . وبحسبنا أن وقفنا من تلك التجربة على أن مضى سنة واحدة ، على أى مشروع مصرى ، يعد فى وقتنا هذا ، فى حكم النادر ، بل معجزة من المعجزات ! وتلك فى الحق أعجب الأعاجيب فى العصر الذى نعيش فيه . وليس لذلك من سر، اللهم إلا أنا معشر المصريين ، ما نزال كرماء لضيوفنا !! ضنينين بمؤازرة أبنائنا .

وإذا كانت « المعرفة » مصرية فى كل ما يتصل بها ، من ملكية وتحرير ، فانها شرقية فى غاياتها ، عربية فى أغراضها ، ولهذا لم يكن يمنعنا مانع من نشر رأيين مختلفين ، بل متناقضين ، ولو أدى الأمر إلى خسارة بعض الأنصار ، معتقدين بأن الحق لا يميز من الضلال ، بغير الجدل والمناقشة ، ما دام الجدل والمناقشة فى حدود الأدب والنقد البرىء .

وإذا كانت الغايات التى أخذنا « المعرفة » بها ، غايات جسيمة ، فانا نقدر مسئوليتها تمام التقدير ، ولا ندعى أن تحقيقها يسير ، بل نعرف أنها تصعب على من رامها وتطول ، ولو كانت العصبة أولو القوة ، فما بالك بمجهود فرد ضعيف ؛ لكنا نعمل بقدر طاقتنا ، مهتدين بما أسلفنا فى السنة الأولى ، واثقين من مؤازرة الجميع .

ورجاؤنا أن تنهج « المعرفة » بالصحافة الشهرية نهجاً علمياً جديداً ، وتسلك بها سبيلا عربياً رشيداً ، واعدين قراءنا ، ببذل أقصى ما يستطاع فى سبيل تحسينها ، والحصول على أحدث الآراء العلمية الغربية ، واستكتاب ذوى الرأى وأهل التخصص فى كل علم وفن ، حتى تؤتى « المعرفة » الثمرة الطيبة ، وحتى يجد فيها كل قارىء ما تميل إليه نفسه ، ويقف على آخر ما بلغ إليه تطور العقل البشرى ، من حرية وتفكير ؛ ولسنا فى هذا مبتدعين أو مغالين ، فقد قلنا فى أول السنة الأولى ما نصه :

« المعرفة فى التحقيق ، كلمة تجمع كل الآثار والمنتجات العقلية وغيرها ، فالعلم والدين والفلسفة ، بل الأدب والفن ، كلها صور وآثار ، تجمعها كلمة المعرفة » .

على ضوء ما تقدم ، نفتتح السنة الثانية ، من حياة « المعرفة » معاهدين الجميع ، أن نكون كما كنا ، عاملين على بعث الثقافة الشرقية ، مقدرين حرية الرأى كل التقدير . والله وحده كفيل بتحقيق الآمال .

عبد العزيز الاسلامبولى

الحقيقــــــــة والحياة

بقلم صاحب السعادة أمير الشعراء

احمد شوقى بك

شوقى علم الأعلام، وشاعر الشرق والاسلام ،خيال بارع ،وذهن خلاق صانع ، فسبحان القادر، ملهم الشاعر، إلهاب المشاعر.

شوقى : وناهيك باسم شرفه الله فى الأسماء ، و توجه فى جميع الأرجاء ، وجعله أمير الشعراء ، وسيد الفصحاء والبلغاء ...

وبعد : فهذه شذور تفضل بها علي « المعرفة » أمير الشعراء ، نحلي بها جيدها فى مستهل سنتها الثانية ، وتلك الشذور من كتاب سيظهر إلى الناس قريباً باسم « أسواق الذهب » ، يحيى به أمير الشعراء فن القديم من النثر ، فترى فيه كيف تظهر اللآلىء أصدافها ، وتجلو الحياة أعرافها .

فأنت منه بين الحسنيين ، وفي معرض الحلبتين، أو أنت فيه بين حليتين، أو في برزخ بين لجتين ، من الالفاظ الغوال، والافكار العوال : نقدم منه لقراء « المعرفة » تلك الشذور رسالة علم وسلام .

المحرر

الحقيقة الواحدة (١)

يامتابع الملاحدة،مشايع العصبة الجاحدة ، منكر الحقيقة الواحدة : ما للأعمى والمرآة ، وما للمقعد (٢) والمرقاة (٣) ، وما لك والبحث عن الله ؟

قم إلى السماء تقص (٤) النظر ، وقص الأثر (٥) ، واجمع الخبر والخبر (٦) .

كيف ترى ائتلاف الفلك ، واختلاف النور والحلك (٧) ، وهذا الهواء المشترك ، وكيف ترى الطير تحسبه ترك ، وهو فى شرك (٨) ، استهدف فما نجاحتى هلك (٩)، تعالى الله دل الملك على الملك ! . وقف بالارض سلها من زم (١٠) السحاب وأجراها،

---

(١) الحقيقة الواحدة وجود الله سبحانه وتعالى . ولعل المؤلف يشير إلى قول لبيد « ألا كل شيء ماخلا الله باطل » (٢) المقعد الذى يشكو القعاد، وهو داء يقعد المصاب به عن المشي (٣) المرقاة السلم (٤) أرسله إلى أقصاه (٥) قص الأثر اقتفاه (٦) الخبر بالضم الاختبار بالمشاهدة، والخبر بالفتح الرواية بالسماع (٧) الحلك الظلام (٨) تظنه حراً طليقاً وهو أينما حل فى متناول قبضة الصياد (٩) استهدف أصبح غرض السهام . والمراد أنه لايكاد ينجو من سهم مصوب إليه حتى يدركه الموت من سهم آخر (١٠) زم الناقة خطمها .

ورحل (١) الرياح وعراها (٢) ، ومن أقعد الجبال وأنهض ذراها (٣) . ومن الذي يحل حباها (٤) ، فتخر له في غد جباها ؟ أليس الذى بدأها غبرات (٥) ، ثم جمعها صخرات ، ثم فرقها مشمخرات (٦) ؟ . ثم سـل النمل من أدقها خلقا (٧)، وملأها خلقا (٨) ، وسلكها طرقا (٩) ، تبتغى رزقا ؟ وسـل النحل من ألبسها الحبر (١٠) ، وقلدها (١١) الابر ، وأطعمها صفو الزهر ، وسخرها طاهية (١٢) للبشر ؟ لقد نبذت الذلول (١٣) المسعفة (١٤)، وأخذت في معامى (١٥) الفلسفة ، على عشواء من الضلال معسفة (١٦). أو لا فخبرني : الطبيعة من طبعها (١٧)، والنظم (١٨) المتقادمة من وضعها ، والحياة الصانعة من صنعها ، والحركة الدافعة من الذى دفعها ؟ ! عرفنا كما عرفت المادة ، ولكن هدينا وضللت الجادة (١٩)، وقلنا مثلك بالهيولى (٢٠) ، ولكن لم نجحد اليد الطولى (٢١)، ولا أنكرنا الحقيقة الاولى (٢٢) . أتينا العناصر من عنصرها (٢٣) ،

---

(١) رحل البعير شد على ظهره الرحل تمهيداً للسير (٢) عراها جردها مما فيها من أمطار (٣) أقعد الجبال ثبت قواعدها فى الأرض . وأنهض ذراها أى رفع عاليها شامخة فى السماء (٤) يحل حباها أى يفكها من حبوتها وينهضها من ربضتها (٥) غبرات جمع غبرة (بتسكين الباء) وهى ذرة الغبار (٦) فرقها فى الأرض ،ومشمخرات أى باذخات (٧) أدقها صيرها دقيقة (٨) خلق النمل تلك النظم المتسقة التى يوحى لها بها الالهام (٩) سلكها طرقاً جعل لها طرقاً تسلكها (١٠) الحبر (بكسر ففتح) جمع حبرة كعنبة وهى برود يمنية ملونة. وقد شبه بها المؤلف تلك الألوان الزاهية التى يتخايل بها النحل تحت أشعة الشمس (١١) قلده السيف وضع حمالته فى عنقه (١٢) طاهية طابخة تطبخ للناس فى بطونها عسلاً (١٣) الذلول من الدواب ما كانت سهلة القياد، والمراد بها هنا الشريعة السمحة (١٤) المسعفة التى تسعف أبناءها باليقين والايمان (١٥) المعامى المجاهل (١٦) العشواء العمياء ، وأعسف خبط فى السير (١٧) طبعها خلقها. وهنا يبدأ المؤلف فى تعجيز الملحدين (١٨) النظم المتقادمة والحياة الصانعة والقوة الدافعة وكل هذه قوى يظن الملحدون كفراً أنها هى الأصل فى الكائنات (١٩) الجادة الطريق القويم (٢٠) الهيولى مادة، وشبه الأوائل طينة العالم بها (٢١) اليد الطولى يد الله التى أبدعت هذه الطينة ونفخت فيها الروح (٢٢) الحقيقة الأولى وجود الله (٢٣) العناصر جمع عنصر وهو أولا بمعنى المادة

ورددنا الجواهر إلي جوهرها (١). اطرحنا (٢) فاسترحنا، وسلمنا فسلمنا، وآمنا فأمنا، وما الفرق بيننا وبينك إلا أنك قد عجزت فقلت: سر من الاسرار. وعجزنا نحن فقلنا: الله وراء كل ستار !!

القلب

ياطبيب الجماعة: قم ألق السماعة. وسل هذه الساعة(٣). من أدق اللحم صناعة، ومنح الدم المناعة؟ مضغة (٤) إذا فترت (٥) سلبت البراعة، ولبست العجز والضراعة (٦)، تدابيرك عندئذ مضاعة، وعقاقيرك مزجاة (٧) بضاعة.

الصبر

بعض الصبر تجلد، وتم الحزم والرضاء، وبعض تبلد(٨)، وهنا العجز والاستخذاء (٩). ليس الصبر غلظة القلب، وبلادة اللب، أو الجهل على الأقدار، وإنكار الايرادعليهاو الاصدار، ولاهوا كتظاظ الاندية (١٠)، وألفاظ تجري بالتعزية، ورجل يحدثك بالصبر، وإذا أصيب تمنى القبر. إنما الصبر استرجاعك (١١) في النفس الحزينة، حتى تفيء(١٢) إلى السكينة، وتجيء (١٣) من نفسها إلى الطمأنينة. إيمان نزع (١٤)، عند الجزع، وعقل يزن، إذا القلب حزن، ومقابلة الاحكام بالحكمة، والعلم بأن النعمة، نذير النقمة، وبأن الدهر حالتان، والدنيا حلتان، وأن من لم ينتفع بالضجر رضى، وأن لكل شيء غاية وينقضي.

البسيطة، وثانياً بمعنى الأصل، وأتيناها أى بحثنا فيها (١)الجواهر جمع جوهر وهو الحجر يستخرج منه شيء ينتفع به، والجوهر ثانياً بمعنى الأصل والجبلة (٢) اطرح الحمل ألقاه عن عاتقه، والمقصود من هذه الجملة وما بعدها: آمنا بالله وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذى لانهاية له والبحث الضال الذى لا يؤمن فيه العثار ... (٣) المراد بالساعة هنا القلب، شبه بها بجامع الدق المنتظم فى كل (٤) قطعة لحم (٥) فتر سكن بعد حدته (٦) الضراعة الضعف (٧) البضاعه المزجاة أى الرديئة (٨) التبلد الحيرة والتهلف (٩) الاستخذاء الخضوع (١٠) امتلاء الجامع بأخلاط المعزين (١١) قولك «إنا لله وإنا إليه راجعون» (١٢) ترجع (١٣) تلتجىء (١٤) يمنع من الحزن.

شهادة المدرسة

وشهادة الحياة

ما بال الناشىء وصل اجتهاده ، حتى حصل على الشهادة . فلما كحل بأحرفها عينيه ، وظفرت بزخرفها كلتا يديه ، هجر العلم وربوعه ، وبعث إلى معاهده بأقطوعة (١) ، طوى الدفاتر ، وترك المحابر . وذهب يخايل (٢) ويفاخر ، ويدعى علم الأول والآخر ؟

فمن ينبيه (٣) ، بارك الله فيه ، لأبيه . وجزى سعي معلمه ومربيه : أن الشهادة طرف السبب (٤) ، وفاتحة الطلب ، والجواز (٥) إلى أقطار العلم والادب . وأن العلم لا يملك بالصكوك والرقاع (٦) ، وأن المعرفة عند الثقات غير وثائق الاقطاع (٧) . ومن يقول له أرشده الله : إن شهادة المدرسة غير شهادة الحياة ؟

فيا ناشىء القوم بلغت الشباب ، ودفعت على الحياة الباب . فهل تأهبت للمعمعة (٨) ، وجهزت النفس للموقعة ، ووطنتها (٩) على الضيق بعد السعة ، وعلى شظف العيش بعد الدعة ؟ دعت الحياة نزال (١٠) ، فهلم اقتحم المجال ، وتورد (١١) القتال ، أعانك الله على الحياة ، إنها حرب فجاءات ، وغدر وبيات (١٢) ، وخداع من الناس ومن الحادثات . فطوبى (١٣) لمن شهدها كامل الأدوات ، موفور المعدات ،

---

(١) الأقطوعة شيء تبعث به الجارية إلى الأخرى علامة المقاطعة والخصام (٢) خايل زميله باراه وفاخره (٣) أي يخبره (٤) السبب هو الحبل ، وطرف السبب يراد به مبدأ الحياة (٥) الجواز علامة المرور وصك المسافر (٦) الصك الكتاب والجمع صكوك . والرقاع جمع رقعة وهى القطعة المكتوبة من الورق (٧) الاقطاع أن يجعل الأمير غلة البلد للجند . (٨) المعمعة صوت الأبطال فى الحرب (٩) وطن نفسه على الأمر وله : مهدها لفعله وحملها عليه (١٠) اسم فعل أمر بمعنى انزل (١١) تورد الماء ورده (١٢) البيات الايقاع بالعدو ليلا (١٣) شجرة فى الجنة كما يقال . وهى الجنة عند الهنود .

سلاحه ، صلاحه ، وترسه ، درسه ، ويلبه (١)، أدبه ، وصمصامته (٢)، استقامته ، وكنانته (٣)، أمانته ، وحربته ، دربته (٤) .

الحياة

القبس (٥) ، والنفس ، والروح القدس . ظاهرها هذه الجيفة (٦) ، وباطنها النفس الشريفة . تبعة الذنب القديم (٧)، وأثر آدم على الأديم (٨) . فيا طريد القدر (٩)، ونفي الحظر (١٠)، وأبا البشر ، ما أطول ذماءك (١١)، وأدوم ماءك ، وما أكثر بناتك وأبناءك ، وأقل اهتمامك بهم واعتناءك ! ولدت للموت ، وأوجدت للفوت. تقدم القبس نفوسا بلا عدد . وتفرق النفس في شتى الولد . فليت شعري كيف استقلهما صلصالك (١٢) ، وكيف قويت عليهما أوصالك (١٣)؟ آمنا بأنك الجد، فهل لهذا التدفق حد، أم ما لأمر الله مرد ؟

الحياة كعهدك بها معصية ، عن الحظيرة مقصية . وخلوة ، حلوة ، عواقبها نغص (١٤)، ومشاربها غصص . أفعى خداعة ، ولذة لذاعة . شوك بغض الورد ، وقذى نغص الورد (١٥). أمور شتى الاعنة ، وحوادث وقع وأجنة (١٦) . فقل لمن أطال التفكير ، وبالغ في النكير (١٧)، وكد باله ، ومد بلباله (١٨)، واحترق احتراق الذبالة !

خل اهتمامك ناحية وخذ الحياة كما هيه !

شوقي

---

(١) اليلب الدروع اليمانية (٢) الصمصام والصمصامة السيف الذى لاينثنى (٣) الكنانة جعبة السهام (٤) الدربة الاختبار والتجربة (٥) شعلة تؤخذ من معظم النار (٦) المراد بالجيفة الجسم الذى لايلبث أن يموت حتى يجيف (٧) ذنب آدم يوم أكل فى الجنة من الشجرة التى نهى عن أكل ثمرها (٨) الأديم وجه الأرض (٩) الخطاب لآدم (١٠) النفى ما جفأت به القدر عند الغليان ، والحظر جمع حظيرة ، والمراد بها هنا الجنة (١١) الذماء بقية النفس (١٢) استقل الشىء حمله ،والصلصال الطين الحر خلط بالرمل (١٣) الأوصال الأعضاء (١٤) نغص الرجل نغصاً لم يتم مراده فهو قلق حزين (١٥) الورد الاشراف على الماء للاستقاء (١٦) الوقع جمع واقع وهو الحاصل، والأجنة جمع جنين وهو المستور من كل شىء (١٧) النكير الانكار (١٨) لبلبال الهم ووسواس الصدور .

الحكمة الصينية

بقلم الدكتور على العنانى

لعل حضرات القراء ، يذكرون أنا كتبنا مقالا في الجزء التاسع من السنة الاولى ، تناولنا فيه البحث عن الفلسفة الصينية ، وكنا كتبنا عنها منذ خمس سنين أيضاً ، وقد نقدنا فى الجزء التاسع ، خلو الجامعة المصرية من دراسة هذا الضرب من الفلسفة ونحوه كالفلسفة الهندية وغيرها .

وأهبنا بأساتذة الجامعة المصرية وكبار العلماء ، الى دراسة هذه البحوث العريقة ، فجاء الاستاذ الدكتور على العنانى ، الفيلسوف المحقق ، محققا لنا هذه الرغبة ، فتفضل بهذا البحث الممتع الذي جاء مركزا ومؤيدا لما كتبناه من قبل.

والدكتور العنانى غنى عن التعريف ، فهو عالم كبير واسع الاطلاع ، وفيلسوف عميق دقيق الملاحظة ، كأنما خلق للفلسفة ، أو خلقت هى له . وهو بعيد الصيت فى الاوساط الاجتماعية ، رفيع المكانة فى جميع الهيئات العلمية .

وها نحن اولاء نقدم بحثه لقراء « المعرفة » مقدرين . المحرر

١ — الأساطير الصينية

ابتدأ الصينيون حياتهم العقلية فى حدود الطبيعة والنظر إلى أسرار الكون العام ، فوصلوا بذلك إلى تكوين معتقدات دينية أسطورية ووثنية قديمة ، تحورت فيما بعد إلى حكمة ، وإلى تعاليم اجتماعية ، صارت لهم دينا جديدا امتزج بعد ردح من الزمن بالديانة البوذية ، واستمر هذا المزيج عند الصينيين حتى الآن .

ارتكزت الديانة الصينية الأولى على عقيدة التوحيد ، ثم تطورت إلى التعداد ، وتقديس أرواح الآباء السابقين : وإذا نحن أجملنا القول فى ذلك ، فأننا نرى الديانة الأسطورية الأولى عند الصينيين ، تقدس قوة سامية عرفت باسم (شانغ — تى) ومعناه العلى العظيم ، أو (تى — آن) ومدلوله السماء ، وليس المراد بهذه الكلمة القبة السماوية ، بل المراد بها القوة الألهية ، كما ترى ذلك الأطلاق لهذه الكلمة فى أكثر اللغات الأوربية الآن .

ويوصف هذا الآله بأنه مالك الملك كله . يسمع ويبصر كل شىء ، ويثيب على الخير ، ويعاقب على الشر بما كسبت يد الانسان .

بجوار هذا الاله مالت الوثنية الصينية إلى الأذعان بوجود قوى روحية فى الظواهر الطبيعية ، والايمان بوجود أرواح مجردة كانت أرواح الآباء السابقين ، وكثيراً ما كان تقديس هذه الأرواح ، وعبادة تلك القوى أكثر مما كان للاله الاكبر ، واحترامها أعظم من احترامه ؛ ولقد تزايد ذلك حتى طغى على مكانته بجعله رمزا للناموس الطبيعى فحسب ، بلا عبادة خاصة به وبلا تقديس .

وأثر هذه العقائد الأسطورية فى النظام الاجتماعى عند الصينيين يرجع إلى العناية الكبرى بالفضيلة الأولى عندهم : وهى تقديس القوانين السماوية (الالهية) بأداء أنواع العبادات على اختلاف طقوسها المتناسبة ، مع كل إله ، والقيام بالواجبات نحو الحاكم والأقارب ، وأساس هذه الواجبات هى المبادىء الاجتماعية الخمسة وهى : علاقات الآباء بالأبناء ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة الأخوة الكبار بالصغار ، وعلاقة الأصدقاء ، والخضوع للقوة الحاكمة .

وترى هذه الديانة الأسطورية : أن النفس الانسانية خالدة ، غير أنها لا تتعرض إلى ذكر شىء منها بعد الموت من ثواب وعقاب ، كسياج للفضيلة ، وقوانين الاجتماع .

على هذه المعتقدات الاسطورية القديمة ، عند قدماء الصينيين ، ارتكز الرجلان العظيمان فى تاريخ الحياة العقلية الصينية وهما : « لاؤتسه » ، و« كونفوشيوس » اللذان نالا فى تاريخ الحكمة الصينية شهرة أفلاطون وأرسطو فى فلسفة اليونان .

٢ – لاوتسـه :

ولد لاؤتسه فى سنة ٦٠٤ قبل الميلاد ، وروى (سماذين) المؤرخ الصينى : أن لاؤتسه هذا ، كان موظفا فى قلم سجلات (آتشى) ، ثم ترك وظيفته – مختارا – ليتمكن من العزلة والانقطاع عن الناس ، وقد دفعه إلى ذلك ميله إلى الاستمرار فى التفكير العميق المتواصل ، فى فهم الوجود العام ؛ وتركيز حياة الأمة الصينية تركيزا اجتماعيا فاضلا ، على أساس مما يدركه من أسرار الكون العام ، والمبدأ الأول فيه ؛ ولقد برز لاؤتسه فى ذلك ، ووصل إلى غاية بعيدة من النظر الفلسفى ، فهو الفيلسوف الصينى الكبير .

عرف لاؤتسه بالنظر الدقيق فى الطبيعة وما وراءها ، وفى الاجتماع الانسانى ، على عكس ما كان عليه كونفوشيوس الذى جاء بعده ، فأنه كان فى آرائه الاجتماعية عمليا ، لا يميل فى العموم إلى تدعيم آرائه بالنظر الفلسفى العميق .

يوجد ضمن مؤلفات لاؤتسه التى حفظت من الضياع كتيب صغير عنوانه « تاؤو–تى–كنج » ومعناه ، كتاب تاؤو والفضيلة : فى هذا الكتيب ارجع لاؤتسه كل شىء فى الوجود العام إلى تاؤو – على ما سيجىء – ، ومعنى هذه الكلمة اللغوى مشترك فى هذه المدلولات الآتية وهى : الطريق ، العنصر ، العقل ، المبدأ ، وقد استعملها هذا الفيلسوف بمعنى « مبدأ » أى مبدأ الوجود وغرضه النهائى ، فتاؤو اسم للقوة العليا المجردة فى ذاتها عن التسمية ، وليس اسما للاله الشخصى المعروف فى عقيدة الأمة .

ماوراء الطبيعة :

قال لاؤتسه : أنا لا أعرف من أى أب تناسل تاؤو ، ويظهر أنه موجود قبل (تى – آن) أعنى إله العقيدة الاسطورية الصينية .

تاؤو هو الأول، وعنه نشأ كل شيء، فهو أصل وجود الأرض، ومنشأ السماء: هو الأول ولا أول ولا آخر له، وليس بمادة، أبدى لا تغير فيه: وهو فى كل الوجود بدون أى تأثير يقع عليه.

تاؤو، هو قوة لا نعرف لها اسما، فهو مجرد عن الأسماء: ولكننا نعرفه باسم تاؤو. وكما أنه لا اسم له بذاته، فهو كذلك ليست له صورة، ولا يعرف بشكل، لأنه أجل وأسمى من أن يعين، أو أن يتناوله وصف، أو يصل إلى حقيقته شرح: ومع ذلك فلنا أن نقول بأن تاؤو هو الساكن الابدى. المحرك لكل شيء، هو أصل كل كائن، وجميع الموجودات كانت فيه واحدة، لا تفريق فيها، فهو عنصرها، وروحها، فهو الوجود. وهذا هو مذهب وحدة الوجود الذى ظهر قبل هذا العهد عند براهمة الهند.

نشأة الكون العام:

كان تاؤو مجردا عن الحركة، ولا شيء سواه يوجد، بل كان منفردا من الأزل. وقد صدرت عنه قوة، هى تاؤو المحرك والمكون للوجود؛ وقد نشأ عن تاؤو الأول بفعل تاؤو الثانى: السماء والارض، وكل مافيها من الكائنات؛ فوجد الكون العام بأكمله هو تاؤو الثانى، فهو ناموس الطبيعة، والمحدث لكل تغير فيها، ونشأة الوجود العام على هذا النحو ليس معناها الحدوث والخلق من عدم، بل الوجود بأكمله قديم فى تاؤو الساكن، وقد نشأ وظهر بفعل تاؤو المحرك. وأخذ صوره المختلفة بتأثير هذا الناموس فيه.

الأنسان:

يرى تاؤو أن الأنسان كجميع الموجودات على اختلافها يتكون من عناصر ثلاثة: واحد منها مذكر، والثانى مؤنث، والثالث النفس التى تجمع بين العنصرين الأولين. وفى الانسان بعد ذلك قوة الحياة أو الروح الخالدة التى بعد مغادرتها الجسد، يصح اتصالها بأفراد الناس ظاهرة لهم، وهى تنفع ولا تضر.

الفضيلة:

كما أن تاؤو أصل كل شيء فهو أصل الفضيله أيضا. وهو الصورة الفاضلة التى ينحو الانسان نحوها فى كل عمله، فيجب على الانسان أن يتجرد عن الانانية، ويعمل للغير بدون من وبدون سيادة، كما يمنح تاؤو الخير دون أن ينظر إلى أنه صاحب الخير ومانحه، دون أن يدعى بأنه السيد الاكبر لذلك، وغرض الانسان الأسمى فى الحياة إنما هو أن يتحد مع تاؤو. بأن يتجرد عن كل الشهوات. لا يرغب فى مال، ولا فى شرف أو جاه، والبلاء الكبير فى طلب الجاه والشرف.

هذا وسنتحدث للقارىء فى المقال الآتى عن الفيلسوف الثانى وهو: (كوففوشيوس) وعن تعاليمه: وموعدنا بذلك العدد الآتى.

على العنانى

كلام

فى القراءة والقراءآت

للدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير المطبوعات الاسبق

... وهكذا أبى صديقنا الدكتور احمد فريد رفاعى ، الذى ذهبنا اليه لنحدثه فى موضوع من موضوعاته المتعة، الا أن يضن علينا بموضوع معين ، ولكنا أبينا الا أن نستخلص منه آراء لها قيمتها ونفاستها ... وان قال عنها الدكتور فى آخر حديثه المتع انها « كلام » ...! وانها لكلام حقاً ، ولكن له معناه وله مرماه ؟ المحرر

قال الدكتور :

صدقني يا صديقى أنى فى حيرة ما بعدها حيرة ، وفى ارتباك ما بعده ارتباك ، فلست أدرى فيم أحدثك اليوم ؛ فإن حالة مصر - التى تعلمها كما يعلمها سواك ، والتى ينبض لها عرقك ، ويدق لها ناقوس قلبك، كما يقول زملاؤكم الشعراء - تقتطع منا جميعاً، فى مغداتنا ومراحتنا، جماع تفكيرنا ... فهل أحدثك عنها ؟ ... طبعاً : لا! وأنت آسف حزين، لأن مجلتك، وإن كانت سياسية ، إلا أنك قد وقفتها على العلم، وخدمة البحوث العلمية ، وفيها متسع وأى متسع، فى ميدانها المراح الطلق، لكل تجوال ولكل ميدان .

ولكنك ، وأنت الدقيق الملاحظة ، الثاقب البصيرة ، لا تشك فى أنا - معشر المشتغلين بالتاريخ والأدب ، وما إلى التاريخ والأدب - لا نستطيع أن نكون مكتوفى الأيدى إزاء البلد وحقوق البلد ... ولكنك ستقول لى مقالة (مازينى) - أحد الأقطاب الثلاثة فى تحرير إيطاليا - فى موقف كموقفنا، وقد حزبهم الأمر، واستحكمت الحلقات ، واشتدت بهم حلكة الجو السياسى اكفهراراً ... وصاح به الجميع : « لقد أهمل ولاة أمورنا ما عليهم من تبعات قدسية للوطن المفدى » ؛ فهتف بهم (مازينى) بلهجته الحارة الأنفاس، الملتهبة الحماس: « مواطنى! مالى أملى عليكم بواجباتكم ، ولا أملى عليكم بحقوقكم ... أفمن رعاية للحقوق ؟ ألا فلتعيشوا اليوم فى كنف القيام بالواجب ...!

أفهم أنك ستقول : ليقم كل منا بواجبه ، ليقم الزارع بالسهر على إنماء تربته ، وليقم الصانع بالاتقان فى صناعته ، وليقم التاجر بترعية ماله ، وليقم المهندس باتقان فنه ، وليقم الطبيب بالاخلاص فى معالجته، وليقم المدره بالدفاع عن قضيته ... وليقم الكاتب بارشاد أمته، وليقم الخطيب بامتاعها ببلاغته ، وليقم الزعيم باحيائها بقيادته ...

ولست أزعم أنك خطأت المرمى، ولكننى أزعم أنك لم تصب سدرة الصواب ولباب الحق...

فقاطعنا صديقنا الدكتور ... وقلنا : ولكنك مع هذا كله ـ وأنت فى وسط آلاف مجلداتك ، وكلها نعم المحدث والسمير ـ لا تبخل علينا بالتحدث عن رأيك فى القراءة ، وبماذا تنصح فيها ، وعن خير المؤلفات والمؤلفين ؛ ولعل هذا موضوع طريف قد ترتاح إليه ،ولا سيما وقد رضيت لنفسك فى هذه الأيام، أن تعتزل بهؤلاء المحدثين الأمناء عن الاخوان والأصدقاء ... فقال هازئاً :

وهل من الميسور يا صاحبى أن تجد جو الهدوء الفلسفى الكامل ، والنصفة العلمية الهادئة فى الكتب وعند أصحاب الكتب،وأنت بالكتب وأصحابها جد خبير؟ وهل تظن أن الألفة الحقة البريئة ضاربة بجرانها بين جهابذة الأقلام،وشيوخ العلوم، وقادة الأفكار ـ قديماً وحديثاً ـ أيضاً؟ ألا يجوز أن تقول، وأنت غير مغرق ولا مبالغ: إنهم فى حرب ضروس هم الآخرون؛ فهذا يعيب ذلك وينعى عليه جموده وجدبه، والآخر يهاجم زميله وينكر عليه بيانه وفضله، حتى إنك لتتوهم أن العلم وقف واحتكار ... صدقنى يا صديقى ! لقد صعب على كثيراً ـ وأنا آخذ بوضع كتابى «عصر المأمون» ـ أن أستخلص الحق الصراح عن الوزن الصحيح فى كل ناحية من نواحيه ؛ فللمؤرخ الشيعى منهجه ، وللأموى رأيه ، وللمعتزلى تصويره ، وللعباسى نظره ، وهكذا دواليك ... لكل وجهة هو موليها . . . فالتطاحن بين المؤلفين والكاتبين ، وبين الشعراء والخطباء ، هو هو بعينه كالتطاحن بين الأحزاب السياسية ، وصحافتها ، ووزرائها . ولا يقعن بخلدك ياصاحبى أن العرب وحدهم قد وقعوا فى ذلك الشراك : شراك الجلاد والطعان، والسخيمة والاضطغان ، بل شراك اللدد والخصومة ، شراك الحرب والكفاح ، فانى قد لاقيت نفس الصعوبة وأنا آخذ بكتابة «الشخصيات البارزة» ، بل لماذا أذهب بك بعيداً ، فانى بالأمس فقط كنت أقرأ فى (أميل لودويج) عن (جيته) نابغة الألمان، لمناسبة العيد المئينى لوفاته ، وأنا من أنصار (جيته) ، ومن المنتفعين بأدبه الذى لا يبارى ، وأنا من المعجبين بعقله الفذ الجبار ، ومع إكبارى لمساعدته الأدباء جميعاً، فقد ألفيته أحياناً فى مصانعة كاذبة الود، شديدة النفاس مع (شيلر) مثلا ، وهو زميله فى العبقرية والنبوغ ، وشريكه فى القيادة العقلية، وصنوه فى الثروة الأدبية،وتربه فى الزعامة الانتاجية فى الأدب الألمانى ....!

وكم يذكرنى ذلك كله بالحديث الممتع الذى حدثنا به عمر بن يوسف، وقد حضر مجلس أبى عبادة ثابت بن يحيى يوما فى منزله وعنده جماعة من الكتاب ، فذكر ما عليه من ملائم الأخلاق، ومدانس الأفعال، فوصف تقاطعهم عند الاحتياج، وعدم تعاطفهم عند الاختلال، وزهدهم فى المواصلة فقال : «معاشر الكتاب! لا اعلم اهل صناعة املا لقلوب العامة منكم ، ولا النعم على قوم اظهر منها عليكم ، ثم إنكم فى غاية التقاطع عند الاحتياج ، وفى ذروة الزهد فى التعاطف عند الاختلال ؛ وإنه ليبلغنى أن رجلا من القصابين يكون فى سوقه؛ فيتلف

ما فى يديه ، فيخلى له القصابون سوقهم يوما ، ويجملون له أرباحهم فيكون بربحها منفرداً ، وبالبيع منفرداً، فيسدون بذلك خلته، ويجبرون منه كسرته ... وإنكم لتتناكرون عند الاجتماع والتعارف ، تناكر الضباب والسلاحف ، مع استحواذكم على صناعتكم، وقلة ملابسة أهل الصناعات لها معكم، ولم أر صناعة من الصنائع إلا وقد يجمع أهلها غيرها إليها فيعاونونها جميعاً، ويتزلون لضروب التجارات معاً، إلا صناعتكم هذه ، فان المتعاطى لها منكم ،والمتسمى بها من نظرائكم ، لا يليق به ملابسة سواها ، ولا ينساغ له التشاغل بغيرها ، ثم كأنكم أولاد علات وضرائر أمهات ؛ فى عداوة بعضكم بعضاً، وحنق بعضكم على بعض؛ أف لكم ولأخلاقكم !»

« إن للكتاب طبائع لئيمة ، ولولا ذلك لم يكن سائر أهل التجارات والمكاسب بنظرائهم بررة ، ومن ورائهم لهم حفظة ، وأنتم لأشكالكم مذلون ، ولأهل صناعتكم قالون ؛ قبح الله الذى يقول : قضينا فى الأمر بالأغلب ، وعرفنا علل الناس فى تكاسبهم وتعاملهم ، فمن كانت علته أكرم، كان كرم فعاله أعم ، ولست أعلم علة فى مكتسب أنبل عند الخاصة من مكسبكم ... اه ».

ليس معنى هذا يا صديقى أنى لا أشدو بمنتجات العقليات الخصبة فى الثقافة الانسانية العامة ، ولست بمنكر أثرها فى الحضارات والمدنيات ، ولكنى سائلك فقط : ما قولك دام فضلك فى زراية الكتاب بعضهم بعضاً؟ وماقولك فى هذا التصوير الصادق، وأى كاتب أفضل لك ، وأى مؤلف أختار؟ وما قولك فى أخلاق العصر إذا كان هذا إجماع من تقدم فيما تقدم كما تقدم؟!

فقلنا للدكتور: الحق أنه تعجبنا منك تلك الروح اللاذعة أحياناً، مع إعجابنا بهذا السحر الحلال، ولانزال ننتظر رأيك فى القراءة والقراءآت، ووجهة نظرك فيما يفيد وينفع؛ فقال :

إن أردت الثقافة العامة فنحن - بحمد الله - فقراء فيها ، ولا يحمد على المكروه سواه ؛ وإن أردت القراءة من حيث هى، فلعلها تابعة لأصناف الكتب وأوضاعها ؛ والكتب - كما تعلم - ثلاثة أنواع: للدرس ، وللفلسفة، وللزينة ؛ ولا تقل إن نفسيتى الآن هائجة، أومتمردة غاضبة، أو أنها متبرمة ساخطة ، فلذلك أصور لك بالمنظار الأسود ، ولا تقل إنى أتهكم أو أتهانف ! كلا يا سيدى ... وإنما هكذا يسميها النقاد من جهابذة الغرب ، وهكذا يسميها الدكتور (ليمان أبوت) فى سلسلة القراءة البديعة التى أصدرتها دار (نلسون وبلوداى بنيويورك) .

ولعلك سائلى عن ماهية تلك السلسلة، فأقول لك فى إيجاز واختصار: إنها الصورة المصغرة الكاملة لنوع الثقافة العامة التى يعنى بها الغربيون عامة والامريكيون خاصة فى سواع فراغهم، ولك أن تعتبرها فى النوع الثانى من القراءات الخاصة بالتسلية، ولكنك إذا أحببت أن تكون منصفاً فى مقاييسك العلمية ، ومقتصداً فى تعابيرك اللفظية ، فانك - لا محالة - معتبر ذلك النوع

الثانى من قراءآت التسلية ، بالنسبة للغرب وعلم الغرب ، فى مرتبة النوع الأول من القراءآت بالنسبة لمصر وعلم مصر ، وإذا قلت مصر ، قلت الشرق ، لأن مصر فى طليعة الشرق.

ما علينا من التحدث فى النسبة والتناسب ، وما علينا من اختلاف المقاييس والمعايير والموازين لمعدات الأمم،وقابلية معدات الأمم ، وضرورة التمشى مع نظام التدرج الطبيعى فى العلوم والمعارف وفى التغذية والنماء ؛ ولنتحدث هنيهة عن تلك السلسلة المطبوعة بشكل كتب جيبية ، والتى كانت نيتى - قبل حادث الجامعة الأخير - أن أستعين بالجهد النقادة المثقف صديق الحياة (الدكتور طه حسين)، فى إخراج نوع من القراءآت السهلة التناول لعشرة من قادة الأدب القديم من كتاب وشعراء : كالجاحظ ، وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وابن أبى ربيعة ، وأبى نواس ، وهلم جراً ؛ وكانت النية متوجهة أن نعتبر هذه العشرة كتب كنواة للثقافة العامة ، ونطبعها بشكل جيبى للتسلية إن شئت ، وللدرس إن شئت ؛ ولكن ما ذا أقول فى مشجعات مصر ، وجو مصر ، وتأييد المسئولين عن الحركة العلمية فى مصر ....؟

وخير لنا أن نرجع بحديثنا إلى تلك السلسلة الامريكية فأقول لك : إنها بمثابة مختارات يومية منتظمة القدر لقراءآت متنوعة ، وضرورية للثقافة العامة بالنسبة للآداب الغربية ؛ ولنذكر لك قراءة أسبوع واحد ... وليكن الأسبوع الأول من شهر يناير مثلا :

ففى اليوم الأول منه هذه المختارات : قواعد للسلوك لفرانكلن ، وقطعة من «لنجفلو»، وأخرى لبريانت ، ورابعة من «لاول» .

وفى اليوم الثانى: باب الاعتماد على النفس لأرنولد ، وثانية لآدمس ، وثالثة لتوماس.

وفى اليوم الثالث : قطعة لتوماس سالنيني ، وثانية له أيضاً ، وثالثة للروائى الانجلزى النابه « ثاكرى » .

وفى اليوم الرابع : لثاكرى .

وفى اليوم الخامس : لرسكن، وسنت مارك .

وفى اليوم السادس : شاكسبير ، ومسنجر ، وامرسن ، وثاكرى .

وفى اليوم السابع : لادسن ، وسبنسر ... الخ

ولعلك تلاحظ أنه بينما يختار لقراءة اليوم الرابع كاتباً فقط ، إذ به يختار أربعة فى اليوم السادس، وهذا يفسر لك أن للقدر ومتانته، واتصال معناه ومبناه ، وروحه وفكره ، الحكم الأول ، وذلك تحاشياً للاقتضاب المخل بالمعنى ، أو الاكثار الممل بنفسية القارىء .

فهل لك يا سيدى أن تروج لهذا النوع من القراءة ؟! وليس معنى هذا أننى عدو للروايات أو غيرها ، أو خصم لقصة : عنتر ، وأبى زيد الهلالى ، أو سيدنا يوسف ، أو قصص جحا ؛

ونوادر أبى نواس ... الخ، كلا! ولكنى من دعاة القراءة التى ترفع مستوى الشعب، وذوقه، وتفكيره، ونظره إلى الحياة، وتكاليفها، ومسئولياتها، ومهمة المرء فيها؛ وأظننى لا أعدو الحق الذى يعلمه المطلعون على تاريخ تلك القصص إذا قلت: إنها ألفت لتلهية الشعب وقتئذ بما يشغله، دون النظر فى الأمور الجسام فى الدولة ... وإنه لتراث لا يفخر به كثيراً، فيما أعتقد، وأظننى لا أعدو الحق أيضاً، إذا مازعمت أنها ليست من نوع (الميثولوجيات) والأساطير، ولا من نوع الروايات المثقفة، العالية الأدب، والاسلوب، والمعنى، والغاية التى وضعها: شكسبير، أو دانتى، أو ملتون، أو ثاكرى، أو فيكتور هيجو، أو جيته، أو شلر، أو دكنس، أو غيرهم من شيوخ الأدب الغربى قديماً وحديثاً.

ستقول لى: عندنا (مجانى الأدب)، فأقول لك لا بأس به، ولا بأس بمختارات القوم فى (المثالث والمثانى)، ولا بأس بمجهودهم القيم فى الدواوين التى أخرجوها، وكتب المطالعة التى وضعوها؛ ولكن القوم يعلمون جيداً أنها خطوة فى البداية، بل أنهم فى الخطوة الأولى من البداية، وأن البداية لم توضع بعد.

على أننى أود أن أسألك أنا الآخر، وأود منك الصراحة والجرأة، وقد عهدناها فيك.

فقلنا: تفضل يا دكتور، على أن لا نجيب نحن، لأنا نريد الوقوف على رأيك فى هذا الموضوع الجليل الشأن، والذى له أهميته وخطورته، فقال:

لاخطورة ولا أهمية لشىء الآن، فكل شىء تافه فى الميدان المصرى...! سؤالى يامولانا هو: ماذا قرأت من الكتب المدرسية العربية أثناء دراستك الثانوية مثلا، ودعنا من الدراسة الأولية والابتدائية...؟ ولست بسائلك عن الجامعة وقراءآتك فى الجامعة ولا عن قراءآتك الخاصة.

قلنا: قرأنا كتاب (كليلة ودمنة) و(أدب الدنيا والدين)، هذا إلى كتاب (أدبيات اللغة العربية).

قال: ولست بسائلك إن كنت قد رسبت عاما أو لم ترسب، لأنك - كما أعرف - من العصاميين بكل ما فى الكلمة من معنى، ومن النبهاء الأذكياء، وإن كان النبهاء الأذكياء هم الذين يرسبون فى العادة فى مدارس مصر، ونظام تعليم مصر ...! ثم ماذا قرأت من الكتب الأجنبية؟

فقلنا: كثيراً، وفى كل سنة كتابين أو ثلاثة، عدا الروايات؛ وهذه الكتب تختلف سنة بعد سنة، يعنى مر فى أيدينا فوق الثلاثين كتاباً لثلاثين مؤلفاً من خيرة المؤلفين.

فقال: أى أنك فى دراستك هذه قد علمت شيئاً كثيراً عن: شكسبير، وثاكرى، ودكنس، وهاجرد، وجيبون، وماكولى، واديسون، وباكون، وبزول، والعشرات غيرهم الذين هم فى هذه المرتبة العالية ... وبعبارة أدق: إنك قد كونت لنفسك عن الأدب الانجليزى مثلا صورة، إن لم تكن صحيحة تماما، فانها قريبة من الصحة والكمال.

حسن جداً يا صديقى، لقد قلت الحق تماماً، وكنت نعم الأمين فى الرواية عن تاريخك

الدرامى القديم ، ولكن تعال يا صديق ، قارن بين ما قرأت فى لغتك الأصلية ، لغة الآباء والأجداد ، وبين ما قرأت فى لغة من اللغات الأجنبية ، ثم حدثنى بالموازنة وأثرها من نفسك ، وبالمقارنة ونتيجتها من عقلك ...!

وهنالك وجهة أخرى خاصة بطريقة القوم فى نشر الكتب ، وأنواع دور الكتب ، والمكتبات المتنقلة ، ومئات دور النشر ، والاذاعة ، والتوزيع ، وعدد القراء ، وحظ العلماء ، وعدم عوز الأدباء ؛ وهذه موضوعات يتطلب كل منها بحثاً وتحليلا ؛ ثم إن عندك مناهج التعليم هنا وهناك ، والمباراة التأليفية هنا وهناك ، وعدم استقرار السياسة التعليمية من إستقرارها هنا وهناك ، وصلة المدارس بالحكومة وعدم صلتها ، والتدخل الحكومى فى التعليم من عدمه ، ومبلغ تقدم فنون التربية والبيداجوجيا والبسيكلوجيا ، والأخلاق أو عدمه هنا وهناك ، بل لعلك تذكر أن هنالك جماعة متصلة بجمعية الأمم ، مهمتها : إذاعة أسماء أشهر المؤلفات العالمية ذات الخطر والقيمة ، والنفع والافادة ، التى تصدر كل سنة ، فكأنها بمثابة لجنة اختبار أو جماعة دعاية أدبية علمية عالمية ، ثم هنالك المنتديات العلمية للبحوث الفلسفية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية ، ولها نشراتها وكتبها ومحاضراتها ، ومؤلفات جهابذتها ؛ ولا تنس المبرات التى تنالها تلك المعاهد من أصحاب الأموال ، ولا تنس أنك تستطيع أن تشترى ، بلا شىء ولا ثمن ، مجلداً جميل الشكل ، أخاذ المنظر والورق ، للكتاب المقدس أو لبعض الكتب الدينية والأخلاقية وغيرها ، بفضل إمدادات الجمعيات لأصحاب تلك المشاريع .

وما لنا نذهب بعيداً ، وها هو ذا مشروعك القيم الذى تمخض عن « المعرفة » التى ساهمت بأكبر نصيب فى الثقافة ، وشهد بتفوقها : العلماء ، والأدباء ، فخبرنى عن نصيب اشتراك وزارة المعارف فيها ...! وقد اشتركت جمهرة من المعاهد والجامعات الشرقية والغربية ، وأولاها الجامعة المصرية فيها ؟

لم تشترك وزارة المعارف فى مجلتك ، وإن كان أكثر الكتاب فيها من مفتشى الوزارة ، وكبار أساتذتها ، ومدرسيها ، أليس ذلك كافياً للدلالة على عدم التشجيع فى مصر ؟ ومع ذلك كله ؛ فنحن لا نطمع فى كل هذا ؛ وإنما أطماعنا فى غاية التواضع ...

فقاطعنا الدكتور وقلنا له : لعل للوزارة عذراً وأنت تلوم ، وياحبذا لو تفضلت بالافضاء بتلك الأطماع ، فى العدد القادم ، ولكن موضوعنا : ماذا تفعل لو كنت وزيراً للمعارف ؟

فقال صديقنا الدكتور : هذا كلام ياصديق ، كذلك حديثى معك الآن عن القراءة والقراءات ، فهو فى نظرى ونظر إخواننا المشتغلين بالعلوم والآداب كلام فى كلام ، ولعلنا فى عصر الكلام ، والسلام ...

نبعة الشعر

بقلم الاستاذ السباعي السباعي بيومي
المدرس بدار العلوم

ليس للشعر باعتباره تلك المعانى المؤثرة التى تتصل بالشعور وتعبر عن خلجات النفوس، وتنساق لهدى الغرائز والميول أولية تعرف؛ فانه بهذا المعنى يكاد يكون مخلوقاً مع الانسان منذ هبط إلى هذا الوجود، مجموعة غرائز نظرية يخضع لها فى كل أعماله خضوعاً لا يعد منه عقل، ولا يقف فى سبيله فكر، لأن العقل والتفكير لم يوجدا إلا بعد حقب طال أمدها، اكتسب الانسان خلالها من التجارب ما أوجد له عقلا بجوار الغريزة، فصارت إرادته مرتكزة عليه بعد أن كانت مسخرة دون تفكير للغرائز الحافزة والميول الدافعة، ولكن ليس مما يسيغه عقل ولا تسمح به سنة أن تكون تلك المعانى قد ظهرت أول ماظهرت فيما نسميه الآن شعراً بالمعنى الاصطلاحى، أى فى قوالب محدودة من الأوزان والقوافى، فان هذه القوالب فى كل اللغات أثر من آثار حضارتها؛ والحضارة لا يمكن أن تكون إلا بعد قرون طويلة تقطعها اللغة منذ نشأتها إلى حيث تظهر بها أمثال هذه الآثار.

فالمعانى الشعرية التى وجدت حيث وجدت مطلقة الأسلوب من كل قيد، وأخذت أساليبها فى التدرج إلى أن بلغت الغاية التى ترى من قيود، ثم جهلت هذه الخطوات الأولى كما جهلت سائر أوائل الأشياء، على أن العقل يكاد يجزم فى لغتنا العربية أن أول خطوة خطاها شعرها فى أساليبه كانت ممثلة فى الأسجاع، وبعدها كان تساوى الفواصل بها، ثم خضوع هذا التساوى شيئاً فشيئاً لأقيسة التفاعيل، وبذلك تحقق الوزن فى البيت الواحد مع اتحاد الحرف الأخير فى الشطرين كما نراه فى منظومات العلوم والفنون وهذا أهون أنواع الشعر؛ وتلا هذه الحالة التقييد بحرف القافية فى الأعجاز مع التحلل منه فى الصدور، وفى خلال ذلك وعلى توالى القرون تنوعت الأوزان وطالت القوافى، وبلغ الاقتدار على التقيد مداه حتى وصل إلى الأراجيز، وهى أصعب أنواع الشعر، فصار لابد للشعر العربى فى معناه من التأثير المعتمد على الشعور، وفى لفظه من التقييد بالوزن والقافية بحيث إذا خلا من هذين معاً أو من أحدهما سمى نثرا فحسب، وسمى نثراً شعرياً، وسمى نظما لا شعراً. فالشعر على إطلاقه هو ما عينا من الكلام ذى التأثير الشعورى الجارى فى حدود الوزن والقافية، وعلى هذا القصد ذكرنا ما ذكرنا فى مقال سابق(١): أن النثر أسبق منه إلى الوجود.

---

(١) راجع الجزء الحادي عشر من السنة الاولى لمجلة «المعرفة»

ولما كان المعنى الشعرى فطرياً تهدى إليه الطبيعة البشرية، ولابد للانسان منه فى التسرى عن نفسه وقت الشدة، والتسلى به حين الوحدة، ظهر الشعر على ألسنة الأمم جميعاً ولم تختص به أمة دون أخرى، ولكنها لم تك فيه سواء، فكانت أكثرهن فيه قولا أصلحها له بيئة وأدفقها له لغة، ومن ثم كانت العرب فى جاهليتها من أقدر الشعوب عليه إن لم تكن أقدرها جميعاً، فقد قاله بنوها رجالا ونساء، شبانا وشيباً، سادة وسوادا، ولم يعدم أقلهم فيه شأناً الأبيات يقدمها فى حاجته أو يعبر بها عن معنى فى نفسه وإن لم يك من الملقبين بالشعراء، مسوقاً إلى ذلك بطبيعة العيش البدوى التى تهدى إلى الشعر وتدعو إلى الغناء به : فمن حياة بسيطة ساذجة لا شىء فيها يطغى على الفطرة أو يميت الوجدان، بل كل مافيها ينميها و يزيد فى قوتها سماء صافية الرفعة متألقة الكواكب، وأرض منبسطة الأديم لامعة الرمال متجلية للمقيم فيها بكل ماعليها من حيوان ونبات إلى رحلة طويلة دائمة لايفارق العربى فيها راحلته فلا يزال يسوقها وهى تقطع المفاوز والقفار بتلك الحركة المرقصة كأرجوحة الطفل لا تكاد اليد تهزها حتى ينطلق اللسان فيغنيها؛ وكذلك العربى لم يتمالك لسانه أن انطلق لراحلته فلم يزل يحدوها بألحان الشعر ويرفع من ورائها عقيرته بأهازيجه، ولقد قالوا: إن أول مانشأ من الأوزان الرجز، وما الرجز إلا قياس رسمه فى مخيلة العرب سير الابل فى الصحراء، ففاض الشعر على ألسنتهم أول ما فاض بألفاظ هى وتفاعيل الرجز فى الوقع سواء.

تهيأت للعرب إذن دواعى الشعر بما تهيأ لهم من سلامة فطرة وملاءمة بيئة، ثم كنف عيشهم ما كنفه من ضنك ومشقة، وكفر وعزلة، فهرعوا إليه يتخذونه لدى الشدائد عونا، وفى الوحدة أنيسا، حتى صار لحنهم وهجيراهم شأن ذوى الأعمال المتعبة والخلوة الموحشة لا غنى لهم فى التفريج عن النفس وتسليتها عن الغناء به ولا محيص . ولقد ذلل من مطاوعته لهم حتى صار سلسبيلا جارياً، تلك اللغة الذلول ذات الغنى الكبير، فى مفرداتها ومترادفاتها والتصرف الأكبر فى أساليبها وتراكيبها، فينبغوا فيه نبوغا عدد من أوزانه وطال من قوافيه وجعله فى هذين الأمرين ذا منزلة لم يدانه فيها سواه، وأنى لغيره تلك المداناة دون أن تتهيأ لغته فى مفرداتها وأساليبها لما تهيأت له لغة الضاد فى التصرف البعيد البديع: الذى مكن لذوى الصناعة اللفظية من الاتيان بأشياء لولاه كانت من المعجزات؛ وفى مقامات الحريرى وغيرها من هذا الضرب فنون وألوان: فن مقامة تتضمن رسالة إحدى كلمات معجمة والأخرى مهملة، إلى مقامة تتضمن أخرى كل كلة فيها احد حروفها معجم و الآخر مهمل، إلى مقامة تتضمن رسالة تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه، إلى مقامة تتضمن عبارات تقرأ طرداً ورداً فلا يغيرها عكس حروفها، إلى غير ذلك مما ليس له نظير ولا شبيه فى أية لغة اخرى .

وكما كانت العرب فى جاهليتها ذات قدرة على قول الشعر، فائقة وشاملة معا، كذلك كانت

من أقدم الأمم المعروفة به، فأولية الشعر عندها تكاد ترجع إلى أوليتها وهى أمة قديمة العهد ذات صلة بفجر التاريخ، غير أن بداوتها وأميتها حالتا بينها وبين تدوينه بنقش على أثر أو كتب فى كتاب، فلم يك لها حياله إلا تعليقه بالحفظ الذى يطوى بطى الحقب، ويذهب بذهاب الحفظة، وهيهات للحفظ وحده أن يبقى معه مأثور على تلك القرون الطوال، لهذا كان الضياع حليف الشعر الجاهلى، فلم يسلم لنا منه وراء قرنين قبل الهجرة شىء، كما لم يسلم منه فى هذين القرنين بالنسبة إلى ما ضاع إلا القليل. وأقدم ما عرف من مأثوره كان فى قبائل ربيعة بنجد والعراق، وبخاصة تغلب وبكر أيام حرب البسوس، ومن قدماء شعرائها، ويقال إنه أول من قصد القصيد - والصواب من عرف له التقصيد - المهلهل وهو عدى بن ربيعة التغلبى أخو كليب الذى هاجت بمقتله هذه الحرب بين القبيلتين السالفتين، فكان لها فى إذكاء الشعر بربيعة الأثر الكبير، ثم تحول إلى قيس غيلان، وكانت شعوبها تملأ نجداً وأعالى الحجاز، ومن قبائلها عبس وذبيان وبينهما بدأت حرب داحس والغبراء، وتناولت معهما الكثيرين، فكان لها من إذكاء الشعر فى قيس ما كان فى ربيعة لحرب البسوس، ومن قيس انتقل إلى تميم - وتميم مسعر الحروب - فاستقر فيها إلى ما بعد الاسلام، وكانت أول نشوئها فى تهامة ثم نزحت إلى شرق نجد وبادية العراق.

وكذلك ظهر فى مدركة فيمن سكن البادية منها: كهذيل وأسد وبعض كنانة وقريش، وبهذا غلب على أهل البادية من مضر وربيعة ومن حل بها معهم من نازحى اليمن القدماء كطيىء وكندة وغيرهما مما تقدم بيانه فى القبائل والبطون، أما الحواضر فكانت قليلة فى ذاتها وكذلك كانت كلها قليلة الشعراء.

وإذا قلنا إن الشعر الجاهلى كان أقدم مما أثر منه بكثير، فانما نستند فى قولنا هذا إلى العقل وإلى المأثور، فأما إلى العقل فلأنه يأبى على الشعر الاباء كله أن يظهر طفرة بمثل ما ظهر أيام حرب البسوس، وأنى لقصائد مهلهل فى وصف تلك الحرب ورثاء كليب أخيه، أن تكون غير نتيجة حقب طويلة درج فيها الشعر حتى ثم صقاله فتعددت أوزانه واستطالت قوافيه؟ وهل كان لها من سبيل إلى الظهور دون أن تكون مسبوقة بأمثالها فى العهد القريب وبشبيهات لها فى البعيد؟ وهكذا القهقرى إلى عهود سحيقة كان الشعر فيها فى صور الصغار من المقطعات؛ وأما إلى المأثور فلأنا نرى فى أقدم الشعراء المروى عنهم كامرىء القيس من يقول:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وابن حذام هذا أقدم من امرىء القيس، ولم يصل إلينا من شعره شىء، ولكن لابد أن يكون قد وقف على الاطلال وبكى الديار مثلما يريد أن يقف ويبكى امرؤ القيس، كما لابد أن تكون له قصائد استهلها بالوقوف والبكاء، ثم صرف القول بعدها إلى غير ذلك من الأغراض،

(البقية على الصفحة رقم ٣٢)

التربيـــــــه والتعليم

عند العرب والفرنج

بقلم الاستاذ أحمد فهمي العمروسي بك

ناظر مدرسة المعلمين العليا

جلست يوما على حافة جدول جميل تحت دوحة وارفة الظلال، أجيل الطرف فى جمال الطبيعة وأملأ النفس من روعة جلالها، مع طالب فى دار العلوم — هو ابن أخى عبد الحميد العمروسى — فسألته : ألك فى مدارسة كتاب تصغى قلوبنا عنده إلى حكمة بالغة، أو فكرة صائبة، والجو منعش، والمكان بهيج يهتف بالمطالعة، ويثير الشوق إلى الحقائق العلمية، ويهيب بالنفس إلى العمل بعد الدعة والاستجمام؟ فما كان أسرع صاحبى إلى داره حيث أحضر كتاب (أدب الدنيا والدين(١)) وناولنى إياه.

وكتاب أدب الدنيا والدين هو مختار للمطالعة فى المدارس الثانوية والعالية، لأنه سفر قيم هاد للتى هى أقوم من مكارم الاخلاق.

تصفحت فهرس الكتاب فاسترعى نظرى بابان أولهما : وسأذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم، وثانيهما : فأول ما يكون عليه العلماء من الاخلاق... الخ.

أخذتهما بقوة وعزم، ورويت فيهما الفكر، ووازنت بين أهم أصول التربية والتعليم عند العرب فى ذلك الوقت، وبين ما تقوم عليه تلك الأصول فى الأمم الحديثة المتمدينة، وما كان أشد دهشتى وأعظم إعجابى حينما رأيت تقارب العقليتين وتماثل الفكرتين: فكرة علماء التربية الحديثة، وفكرة علماء العرب من قبل نيف وثمانية قرون، فى أهم أصول التربية والتعليم.

ذكر المؤلف رحمه الله فى الفصل الأول طرفا من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها كل من المتعلم والعالم، والروابط التى يجب أن تجمع بينهما حتى تنتج التربية أثرها النافع، ويؤتى التعليم أطيب الثمار. وسنقتصر الكلام على ثلاث منها، ونشفعها بخاتمة وجيزة عن الغاية من التربية والتعليم فى القرن العشرين .

الطرفة الأولى : اعلم أن للمتعلم فى زمان تعلمه ملقا وتذللا، إن استعملهما غنم، وإن تركهما حرم، لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلل سبب لادامة صبره، وباظهار مكنونه

(١) صاحب كتاب «أدب الدنيا والدين» هو الامام أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى، توفى بمدينة بغداد سنة ٤٥٠ هـ، وقد ترجموا حديثا كتابه الى اللغة الفرنسية.

تكون الفائدة ،وباستدامة صبره يكون الاكثار ، وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا فى طلب العلم» .

أقول : والملق فى اللغة : التحبب ، والتودد ، واللطف الشديد ، وتملق له ، تلطف له وتودد إليه ، وأن تعطى باللسان ما ليس فى القلب .

وليس من شك فى أن أول واجب على المتعلم : التودد إلى معلمه ، والتقرب منه ، واغتنام الفرص لاظهار ما يكنه له من الحب والاعظام ؛ فاذا قام المتعلم بهذا الواجب ، لم يلبث المعلم أن يدنيه منه ، ويغدق عليه من علمه ونصائحه وعطفه ما يضمن له الفوز والنجاح .

وقد كان المتقدمون يجلون المربين وينزلونهم أسمى المنازل، ويرون لأولى العلم درجة دونها درجات الملوك وحملة التيجان ؛ وفى الحديث الشريف : «وقروا من تتعلمون منه ، ووقروا من تعلمونه» وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يقام لأحد إلا لذى علم أو لذى سن أو لذى سلطان » .

وقيل : إنه لما وقعت الفتنة بالبصرة فى عصر بنى أمية سنة ١٠١ هـ ورضى الناس بالحسن البصرى أن يكون حكما ، اجتمعوا عليه وبعثوا إليه ، فلما أقبل قاموا جميعاً إجلالا له ، فقال يزيد بن المهلب : كاد العلماء يكونون أربابا ، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب!؟.

أما إذا بنى صرح التربية على غير هذا الأساس ، وهو : إعظام المتعلم للمعلم ، والحب المتبادل بينهما ، كان التعليم عقيما لا يؤتى ثمرا ، ولا يجنى الناس منه خيرا ، وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسى (ديدرو) إلى الانقطاع عن تعليم أحد أبناء الأمراء ، فلما قيل له فى ذلك قال : ما ذا تريدون أن أعلمه وهو لا يحبنى ؟ (١)

ومن قول الامام الماوردى - مؤلف كتاب (أدب الدنيا والدين) - فى هذا الصدد : ومن آدابهم (آداب المعلمين) أن لا يعنفوا متعلما ، ولا يحقروا ناشئا ، ولا يستصغروا مبتدئا ، فان ذلك أدعى إليهم ، وأعطف عليهم ، وأحث على الرغبة فيما لديهم .

ومما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: «علموا ولا تعنفوا ، فان المعلم خير من المعنف»
ومن آراء الامام الغزالى فى تربية الطفل وتأديبه : الاقتصاد فى لومه، وتعنيفه عند وقوع الذنوب ؛ وفى ذلك يقول فى كتاب (إحياء علوم الدين) : ولا تكثروا القول عليه بالعتاب فى كل حين ، فان ذلك يهون عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويخفف وقع الكلام فى نفسه؛ ومن آرائه : أن يزجر المتعلم عن سوء الخلق بطريق التعريض لا التصريح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الاصرار .

---

[1] QUE VOULEZ- VOUS QUE JE LUI APPRENNE , IL NE M'AIME PAS.

ويقول إمام المؤرخين وعمدة المربين، فيلسوف عصره الامام ابن خلدون : من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيق على النفس فى انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، خوفا من انبساط الأيدى بالقهر عليه .

ولقد كنا - ونحن طلاب علم - نستثقل العلم الذى يدرسه معلم لا نحس من أنفسنا مودة له، وننصرف عنه ، ونحب العلم الذى يدرسه معلم نحبه ونميل إليه ، لعجزنا - فى هذه السن - عن التفرقة بين شخص المدرس والمادة التى يدرسها .

وكنا - ونحن حديثو عهد بمهنة التدريس - ندخل بعض الفصول منشرحى الصدر ، طيبى النفس، على حين ندخل فصولا أخرى منقبضين متبرمين ، ولم يكن لذلك من سبب سوى وجود روابط الألفة والمودة بيننا وبين الطلاب فى الأول ، وعدم توافرها فى الثانى؛ ولكننا لم نلبث ، بالمرانة والمراس ، أن ذللنا هذه الصعاب ، وأرشدتنا التجربة إلى أن المعلم إذا أوتى كفاية علمية ، وسجاحة خلقية ، ثم ألم بطبائع النشء وتعرف ميولهم ، وتتبع غرائزهم ونحائزهم، لا أفراداً ووحدانا فحسب ، بل جماعات وزرافات ، فان كل فصل من فصول المدرسة فى الحقيقة مجتمع صغير ، له تفكير خاص ، وسلوك خاص يختلفان عنهما فى كل فرد من أفراده على حدته ، (والذى ابتدع هذه الفكرة الجديدة - فكرة نفسية الجماهير أو روح الجماعات - هو الدكتور جوستاف لوبون صاحب كتاب «مدنية العرب»)؛ وعلم نفس الجماعات هذا - وإن كان لايزال فى طور الطفولة - إلا أنه خطا خطوات فى بضع السنوات الأخيرة، ووضع قواعد هى من الأهمية بمكان: للمدرسين فى معالجتهم أحوال الطلبة ، وللآباء فى تصرفاتهم مع أبنائهم ، ولكل من يتولى شؤون الناس فى أمر جليل أو غير جليل .

إذا ألم المعلم بذلك كله وجمع إليه حسن التصرف ولباقة التأدية والحكمة والحزم أمكنه أن يذلل كل هذه الصعاب ، وأن يستحوذ على الأفئدة، فيوجه المتعلمين إلى كرائم الفضائل ويسلك بهم سبيل الكمال .

وعلى المعلمين أن يعنوا كل العناية بتكميل ما نقص من علمهم ، وتوسيع نطاق معارفهم ، والتماس خير الوسائل لحسن تفهيمها لتلاميذهم ، وإسداء النصح لهم فى كل ما يتعلق بشؤونهم، وعليهم أن يكونوا - كما أسلفنا - ذوى خبرة بطب النفوس ودوائها ، وعلاج الطبائع وشفائها .

وخير المدرسين من كانت صلته بالتلاميذ ناشئة عن محبتهم له ، وإجلالهم إياه ، وشعورهم بعظيم فائدته ، وعن عطفه هو عليهم ، وتحريه إفادتهم .

أما ذلك المعلم الذى يظن تلاميذه أعداءاً، ما من صداقتهم بد ، والذى لا تربطهم به إلا

صلة، هى خليط من الخوف والبغض ، والذى يرى أن التدريس عمل رسمى جاف، ووظيفة يؤديها لينال أجرها غير شاعر بالتبعة الملقاة على عاتقه ، ولا آبه للناحية الأدبيـة فى أحوال الطلبة وأخلاقهم ، فهيهات أن يعود عمله بغير الضرر البالغ ، والعاقبة الوخيمة ؛ فما كانت القسوة على المتعلمين، وبث روح الذعر فى نفوسهم لتأتى بغير تعويدهم: الجبن، والنفاق، والـكذب، وعدم القيام بالواجب عليهم إلا مكرهين ، ونفورهم من العلم ، وإعراضهم عنه ، وأن يكنوا فى قلوبهم الحقد على هذا النظام العنيف الذى وصل بهم إلى تلك الغاية .

وفى كلمة واحدة : حب الطفل إلى درجة الولع والاغرام به كما يغرم الانسان بولده وسليله، هذا هو نصف التربية والتعليم ؛ أما النصف الآخر : فطرق تدريس وأساليب تعليم .

الطرفة الثانية : ثم قال الأمام الماوردى فى الطرفة الثانية ما نصه :

« وليحذر المتعلم التبسط على من يعلمه ،وإن آنسه، والادلال عليه ، وإن تقدمت صحبتـه ، وقد قيل لبعض الحـكماء : من أذل الناس ؟ قال : عالم يجرى عليه حكم جاهل .

وينبغى ألا يظهر الاستـكفاء منه ، والاستغناء عنه، فان فى ذلك كفراً لنعمته ، واستخفافا بحقه ، وربما وجد بعض المتعلمين قوة فى نفسه : لجودة ذكائه ، وحدة خاطره ، فقصد من يعلمه بالاعنات له،والاعتراض عليه، إزراءا به،وتبكيتاً له،فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لأبى البطحاء :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد(١) ساعده رمانى

وهذه من مصائب العلماء ، فمن انعكاس حظوظهم أن يصيروا عند من يعلمونه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين» .

ثم أردف ذلك بقوله: «وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتا ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : العـلم خزائن ، مفتاحه السؤال ، فاسألوا رحمكم الله ، فانما يؤجر فى العـلم ثلاثة : القائل ، والمستمع،والآخذ . وقد قيـل لابن عباس رضى الله عنهما : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول» اهـ.

فالسؤال المباح للمتعلم هو الذى يزيل عنه لبساً وينير أمامه طريقا ؛ أما السؤال الذى يقصد به الاعنات والتبكيت ، فيعد خروجا من جانب المتعلم على المبدأ الأول المتقدم ذكره، وهو أن التعليم يجب أن يقوم على التوقير والحب المتبادلين بين المعلم والمتعلم .

وختم الماوردى هذه الطرفة بملاحظة جديرة بالاعتبار والتبصر ، وهى قوله : وينبغى ألا تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الاعنات له إلى التقليد فيما أخذ عنه .

فترى أن الماوردى فتح بذلك للمتعلم باب الاجتهاد وإعمال الفـكر،وأباح له تحليل ما تلقاه عن معلمه وتقليبه على وجوهه حتى يستوثق من صحته ، ويطمئن قلبه إلى صـدقه ، ولم ير للمتعلم أن يلغى عقله ، ويمحو شخصيته ، فيرى أن قول معلمه دليل،وإن لم يستدل ، وأن اعتقاده حجة، وإن لم

(١) استد : صار سديداً

يحتج ، كما يقول بعض المشارقة ؛ قال الشيخ: وكما كان علماء أوربا يقولون MAGISTER DEXIF ؛ وذلك لعمرى مبدأ يجب التمسك به حتى ينشىء التعلم رجالا مفكرين قادرين على إقامة الحجة البالغة ، واستنباط الأدلة الواضحة ، ذوى آراء يعتد بها ، لا مقلدين يلوكون كلام المعلمين بلا تفهم ويرددونه كما تفعل الببغاء .

هكذا يقرر الأستاذ الامام الماوردى، ومن قبل ذلك يرى المتصفح لتاريخ التشريع الاسلامى فى أقدم عصوره، أن تقديس حرية الرأى وتفهم الأحكام تفهما صحيحاً إنما كان من أهم ما تأسست عليه علوم الأولين من قومنا ، وقامت عليه آراء الباحثين من أساطين ديننا، وأنت إذا تدبرت كتاب الله تعالى ، قلما تجد موضعاً خلا من الحث على التدبر والتفكر والتعقل والانتفاع بتلك الجوهرة الفريدة : جوهرة العقل .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى قاضيه أبى موسى الأشعرى - دستور القضاء - ذلك الدستور الخالد على الدهر ، فكان مما قال فيه :

« ... ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ، فراجعت فيه نفسك ، وهديت إلى رشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ، والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم ، الفهم ، عند ما يتلجلج فى صدرك مالم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها عند الله ورسوله، وأشبهها بالحق » .

ولقى عمر رجلا ، فقال : ما صنعت ؟ قال : قضى على بكذا وزيد بكذا ، قال : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال: فما منعك والأمر إليك ؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسوله لفعلت ، ولكنى أردك إلى رأيى ، والرأى مشترك ؛ فلم ينقض ما قال على ولا زيد.

وعلى ذكر ذلك لابد لى أن أصارح إخوانى المدرسين بحقيقة طالما نبهت إليها فى تقاريرى إيام كنت مفتشا على المدارس، وهى تتلخص فى أن كثيراً من مدرسى مدارسنا لا يميلون إلى مناقشة الحقائق العلمية التى يلقونها على التلاميذ، وتقليبها على وجوهها لتمحيصها أمامهم، وحثهم على إمعان النظر وإعمال الروية ، واستخلاص ما يمكنهم استخلاصه منها، حتى يتعودوا التفكير فيما يعرض لهم من الشؤون فى حياتهم العملية ؛ بل هم فوق ذلك ، قد يحظرون عليهم السؤال وإن كان ضروريا، لازالة غموض فى بعض عناصر الدرس، بدعوى أن المقرر طويل ، وأن الترخيص للتلاميذ فى المناقشة مما يعوقهم عن إتمام ذلك المقرر — مع أن التعليم فى نظر المربيين من عهد سقراط إلى يومنا هذا - وإلى ما شاء الله ، وشاءت التربية الصحيحة - ليس هو تقديم الحقائق العلمية إلى النشء عقيدة مهيأة ، وتكديسها فى أذهانهم أكواما مركومة مجتمعة بدون إنعام النظر إليها ، والانتفاع بها ، وإنما هو تهيئتهم لتقبلها ، وإرشادهم لاستكشافها ، وهدايتهم إلى العثور عليها .

ومما عرف عن أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - أنه كان فى دروسه يقصد إلى إعداد أذهان جديرة بفهم كتاب الله ، ومن أجل هذا كان يبقى طوال الأيام فى تفهم الآية الواحدة من القرآن الكريم ، وتعرف مراميها ، والوصول إلى أسرار التشريع والتكيف بروحه، وكان الطلاب جد حريصين على أن يستمعوا التفسير جميعه فى حياة الأستاذ ، فكان رحمه الله - فى بعد نظره ، ووافر حكمته - يقول لهم : إننى لن أعيش حتى أفسر كتاب الله جميعه ، ولكنى أعنى فى حياتى بتهيئة أنفسكم ، وتسهيل طرائق البحث عليكم ، ولفتكم إلى الأعلام المنصوبة أمامكم ، ثم أعرض عليكم الأمثال ، وأسوق الأمثلة لما يجب أن يفهم عليه كتاب الله ، وأدعكم بعد ذلك إلى أنفسكم .

وقد حدث فى العام الماضى أن بعض أعضاء مجلس النواب الفرنسى ضيقوا الخناق على وزير المعارف المسيو (هريو) أثناء مناقشة المناهج ، وشكوا إليه من بعض منهج الفلسفة فى المدارس الثانوية - وكانوا هم قد نبا أساتذة الفلسفة بها - فأجابهم الوزير بعد طول الجدل جواباً أفحمهم وألزمهم به الحجة ونال استحسان المجلس وهو قوله : ليس التعليم كأساً تدفق ، وإنما هو مشكاة تضاء.

وهكذا كان العرب يرون التعليم ، فقد كانوا يكرهون من الطالب أن يكون خامد الروح ، يقبل ما يلقى عليه بدون مناقشة ، أو يمنعه الحياء أن يسأل عما يجهل ؛ فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه .

وعلى ذكر وجوب تحصيل العلوم بالتفهم لخاتمتها أقص على قراء « المعرفة » الغراء حادثاً غريباً وقع فى شهر أكتوبر الماضى مجمله : أن الدكتور (ماكدولاند) الأستاذ بجامعة هرفورد بأمريكا ألقى أخيراً محاضرة انتقد فيها طرق التربية والتعليم ، وحث الطلبة على الإكثار من المناظرة والمناقشة فى المسائل العلمية ، لأنها خير الوسائل لحصول على ملكات العلوم والحذق فيها ، واستدل فيما استدل بنبذة لابن خلدون نقلها من كتاب فرنسى ، ثم ترجمها إلى الانكليزية ، ونظرا لنفاسة تلك النبذة الدالة على رصانة آراء ابن خلدون فى نقد التربية والتعليم فى زمانه ، بعث الدكتور (شارل واطسن) مدير الكلية الامريكية بالقاهرة بتلك النبذة إلى الأستاذ أمير بقطر ليترجمها إلى اللغة العربية ، وينشرها فى مجلة التربية الحديثة وشفعها بخطاب منه قال فيه : إنه دهش كثيراً لهذه النبذة وعجب من أن ابن خلدون الذى عاش فى القرن الخامس عشر ، اهتدى بفطنته ونور عقله إلى نقد طرائق التربية والتعليم فى زمانه نقداً علمياً صحيحاً ، لا يزال هو النقد العلمى الصحيح الذى يصوب إلى التربية فى العصر الحاضر ، وهاهى تلك الكلمة الثمينة الصادرة عن ابن خلدون .

« وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ، ولم يتصل سند التعليم فيهم ، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم ؛ وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية ، فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها ، فتجد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتاً

لا ينسقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكات التصرف فى العلم والتعليم؛ ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكته قاصرة فى علمه، إن فاوض أو ناظر أو علم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم، لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية» اهـ

نعم والله إنه ليجدر بهؤلاء المعلمين الذين أشرت إليهم آنفاً، والذين يحصرون عنايتهم فى إتمام المقرر كيفما كان، دون الاهتمام بتربية الملكة وإنماء قوى الملاحظة، والتفكير، والمناقشات العلمية — يجدر بهؤلاء — أن يتدبروا قول ابن خلدون الذى اهتدى بنور بصيرته منذ خمسة قرون إلى أن أيسر الطرق لتحصيل العلوم والحذق فيها، إنما يكون بفتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية، أما التعليم بطريق الحفظ فلا يجدى نفعاً فى الحصول على ملكات العلوم وبخاصة: ملكة التصرف، وبعد النظر، وتقدير الظروف؛ فلقد شاهدت غير مرة أساتذة يدرسون لصغار تلاميذ المدارس الأولية عين الدروس التى تلقوها فى المدارس العالية، بلا تبديل ولا تغيير، ذلك لأنهم لم ترب فيهم ملكة التصرف، ولم يتعودوها، وصعب على الانسان هجران ما تعود.

أجل! يجدر بأساتذتنا أن يسيروا فى تعليمهم على السنن القويم الذى رسمه لهم الامام ابن خلدون، وأن يعلموا أن الغرض من تدريس العلوم المختلفة فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ليس تخريج إخصائيين فى تلك العلوم، بل الغرض منه تمرين التلاميذ على التفكير والنظر الصحيح إلى الأشياء، والحكم عليها حكماً صحيحاً بواسطة تلك العلوم، أو بعبارة أخرى ليست تلك العلوم المختلفة غايات ومقاصد تطلب لذاتها، وإنما هى وسائل ووسائط تتضافر كلها للوصول إلى نتيجة مشتركة واحدة، هى تهذيب العقل وتقويم الفكر، ويجب عليهم منذ اليوم ألا يتعلقوا بأهداب دعوى إتمام المقرر، بعد أن فوضت إليهم لجنة المناهج العامة البت فى أمر المناهج، وبعد أن جربوها سنة كاملة وأقروها وأثنوا عليها؟

احمد فهمى العمروسى

نبعة الشعر

بقية المنشور على الصفحة رقم ٢٥

ولم يك هذا دين امرىء القيس وحده، بل دين الشعراء فى قدامهم أجمعين، ألا ترى إلى عنترة يفتتح معلقته فيقول:

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

فنحن إذا انحزنا فى دراسة الشعر الجاهلى إلى القرنين السابقين للاسلام، نفعل ذلك مضطرين لانقطاع الرواية الصحيحة عما قبل هذا التاريخ؛ وإنما قلنا الصحيحة لأن هنالك مرويات، ولكنها أقرب إلى الوضع والاختلاق؛ ومن العبث التعرض لها بكلام، فقد أفرط القصاصون فى التوغل برواية الشعر عن القديم حتى أوصلوها إلى العرب البائدة ونسبوا إليها منه الكثير تزييناً أو تأييداً لما يذكرونه عنها من أساطير، ناسين أنهم رووه بلغة مضر قبيل الاسلام، ومحال أن تتحد ولغة عاد فى أقدم عصور التاريخ؛ على أن ذلك ليس بالغريب على هؤلاء وقد نسبوا الشعر إلى آدم وأولاده، كما نسبوه إلى الجن وللملائكة والشياطين؟

السباعى بيومى

الارادة والعمـــــــــل

بقلم الاستاذ محمد جاد المولى بك
المفتش بوزارة المعارف العمومية

> الاستاذ جاد المولى بك من خيرة الاساتذة العلماء الذين تلمس فيهم نبل الخلق وسعة الاطلاع في غزارة مادة ، وفوق ذلك فهو معروف الى الحد الذي لا يحتاج معه الي أن نقدمه الى القراء ؟ المحرر

الارادة هى القوة التى أودعها الله الانسان ، وسلمها زمام عقله: فيها تعقد العزيمة على إمضاء عمل عاجل أو آجل ، فان كان آجلا ولم تحل دونه الحوائل الخفية تم إنفاذه على الفور، وإن كان آجلا بقى فى النفس مكنونا حتى يجىء حينه ، وربما طال عليه الأمد فتعذر إنفاذه، إذ قد تسخو النفس بالعزيمة على أمر ، وصاحبها متأثر بأحوال ومقتضيات، غير محيط بعواقب الأمور: حميدها وذميمها، منطوية نفسه على أمور مخبوءة فى غياهب ثنياتها ، حتى إذا جاء زمن الامضاء والانفاذ، وحقت الحقائق نجمت أحوال جديدة ، وانكشفت الأمور المكنونة ، فانحلت عزيمة النفس ، وثقل عليها العمل فتغيرت عن عزمها ، وخذلت صاحبها ؛ ولنضرب مثلا : يعقد السياسى العزيمة على أنه إذا تولى رياسة الحكومة مثلا التزم الاستقامة فيها والانقياد للحق فى مجاريها، وأقام أركان العدل، واجتنب الميل والمحاباة، والتشيع والمماراة، واستأصل جذور الظلم والظالمين، وحصد شوكة المرتشين والراشين والرائشين، واتخذ ظهرآ له أشياع الحق وأنصار العدل وأهل الدين والخلق وحماة الفضيلة والأدب، حتى إذا تولى صادف عزيمته الضعف والوهن ، واستحوذ عليه الهوى ، فصرفه عن الرشد وزين له قبيح عمله فأضله عن سواء السبيل، فركن إلى شيعة الباطل وأعداء الحق، واستمد رأيه من أتباع الغى وبطانة السوء.

من أجل ذلك قال علماء الأخلاق « عقد العزيمة لا يستلزم حتما إنفاذ العمل » فطالما هبت ريح العزائم على النفس فأنعشتها ، وأفعمتها بجم المقاصد، ثم ما لبثت أن سكنت، وهدأت ، كأنها كانت حلماً لصاحبها ، وإلى ذلك أشار على رضى الله عنه إذ يقول : « ما أنقض النوم لعزائم اليوم » فكم خطط بدرت بالخاطر ثم قرت، وكم عزائم صالت ثم انهزمت أمام تبدل الأحوال، مذعورة من اشتباه العقبى، وغموض المآل.

يتبين مما تقدم أن الارادة غير العمل، وأن القول بأنهما شىء واحد باطل ؛ حقاً قد تتصف الارادة بالقوة فيقترن بها العمل، ولذلك يخيل لغير المدقق أنها والعمل أمر واحد، والحق أنه لا اشتباه، لأن اتصافها بالقوة، لم يغير من حقيقتها، بل جعلها وسيلة قربى للعمل مفضية إليه ؛ وقوتها: إما فطرية، وإما كسبية مستفادة ، فان كانت فطرية فصاحبها يوسم غالباً بأنه غليظ الكبد ، قاسى

القلب، رابط الجأش، لايخشى ركوب متن الأهوال واقتحام المصاعب والمخاطر، وإن كانت كسبية، وأصحابها من ذوى الفكر الواسع الذين خبروا الأمور وسبروها، وتعرفوا مايهم منها ومالا يهم، فالى المهم وجهوا الهمم، وله شحذوا العزائم؛ ألا ترى قوة الارادة متجلية فى قول عمر رضى الله عنه «لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أتأخر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه» إذ معنى هذا أنه وجد من نفسه العزم الجازم على أنه لايتأمر مع وجود أبى بكر، وأكد ذلك بما ذكره من القتل، ومثل عمر من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر لفداه بنفسه، وآثر حياته على حياته .

حقاً لقد أراد عمر رضى الله عنه أن يجعل نفسه قدوة صالحة ، ومثلا كاملا ، وعبرة نافعة لمن رمت الشكوك بنوازعها عزيمة اعتقادهم ، واعتركت الظنون على معاقد يقينهم ، وتدحت قادحة الاحن فيما بينهم ، ثم عدت على عزائمهم خدائع الشهوات ، وطمست بصائرهم بلادة الغفلات ، وتولاهم غل التحاسد ، وشعبتهم مصارف الريب وانتسمتهم أخياف الهمم .

يستخلص مما تقدم أن الارادة القوية سر النجاح، ورائد الظفر وحياة الشعوب والأمم ولا شىء أدل على متانة الخلق ، واستحصاف قواعده ، من إرادة قوية تحبب إلى صاحبها الاستماتة والاستبسال فى الدعوة إلى: مكارم الخصال ، ومحامد الأفعال،والتعصب لخلال الحمد من الحفظ للجوار،والوفاء بالزمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغى، والانصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد فى الأرض.

وكل أمة يكثر فى أبنائها ذوو الارادة القوية والعزيمة الصادقة، لاتلبث أن تنشر النعمة عليها جناح كرامتها وتسيل لها جداول نعيمها ، ويمنحها الله سلطاناً قاهراً وعزاً غالباً ، يثبت ملكها ويؤيد دولتها ، ويجعل منها حكاماً على العالمين ، وملوكا فى أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم،وإلى درجة صدق الارادة والوفاء بالعزم يشير قوله تعالى فى كتابه الكريم «رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا» .

فلقد روى أن أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أرانى الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ماأصنع، فلما أتى العام شهد واقعة (أحد) فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال يا أبا عمرو إلى أين؟ فقال: واها لريح الجنة، إنى أجد ريحها دون (أحد)؛ فقاتل حتى قتل، فوجد فى جسمه بضع وثمانون: مابين رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته بنت النضر: ماعرفت أخى إلا بثيابه، وكذلك تفعل قوة الارادة بأهلها، وكذلك يكون اليقين .

ولما كانت الارادة بهذه المنزلة قال جمهور الخلقيين « إن الخلق صورة الارادة » ومرادهم أن

للنفس أحوالا شتى ، وخلقها هو الحال التى تتغلب عليها وتصرفها، فمن رسخ فى نفسه مثلا وتغلب عليها حال تقديس الواجب ، فاتخذه المرد الأعلى ، والمرجع الأسمى ، الآمر الزاجر ، الناهر القاهر ، فهو صاحب الأرادة الصادقة ، والخلق الحسن؛ ومن تغلب عليه حب جمع المال،ومنعه أهله، فهو البخيل الشحيح؛ ومن تغلب عليه الانفراد بالرأى، والاعراض عن النصيحة والمشورة، فهو العنيد المستبد ؛ ومن كان قلباً حولا ، ليس له حال متغلبة عليه ؛ فهو المتعطل من الخلق العارى من الأرادة الماضية، والعزيمة الصادقة : إذا عاشر الأسخياء ، شاكلهم وحاكاهم فجاد وأعطى، وإذا عاشر البخلاء تقيل أثرهم فمنع وأكدى ، إذا حببت إليه النجدة والأغاثة سارع وأبلى ، واذا زين له الكيد والوقيعة بالناس انقاد ولبى ، ذلكم الامعة ؟

محمد أحمد جاد المولى

فى الاســــلام

بقلم الاستاذ يوسف أحمد
مفتش الآثار العربية سابقاً

ما كان يختتم به الخطبة فى العصر الاول

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى نهاية الخطبة سورة «ق» ، وكان عمر يقرأ « إذا الشمس كورت » ، وكان عثمان يقرأ آخر سورة النساء « يستفتونك فى الكلالة » ، وكان على يقرأ سورتى « الكافرون » و « الاخلاص »

وأول من قرأ فى نهاية الخطبة آية « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » عمر بن عبد العزيز بدلا عن السب الذى كانت بنو أمية تذكر به علياً على المنابر .

حدث عمر بن عبد العزيز قال : كان أبى يمر فى خطبته يهزها هزاً، حتى إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتعتع ، فقلت له ذلك ، فقال : يابنى أدركت هذا منى ؟ قلت : نعم . قال : يابنى ، اعلم أن العوام لو عرفوا من على بن أبى طالب مانعرفه نحن لتفرقوا عنا إلى ولده .

فلما ولى عمر الخلافة قطع السب، وجعل مكانه قوله تعالى: « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » وقد لزمها الخطباء إلى يومنا هذا .

وقد أشار إلى ذلك الشريف الرضى الموسوى فى رثائه لعمر بن عبد العزيز بقوله :

ياابن عبد العزيز لو بكت العيـ	ـن فتى من أمية لبكيتك
أنت أنقذتنا من السب والشتـ	ـم فلو أمكن الجزاء جزيتك
غير أنى أقول إنك قد طبـ	ـت وإن لم يطب ولم يزك بيتك
دير سمعان لا عدتك العوادى	خير ميت من آل مروان ميتك

قلت : وقد امتنعت عادة سب آل البيت على المنابر بعد عمر بن عبدالعزيز، وظلت ممتنعة إلى أن جاء الخليفة أبو جعفر المنصور فأعاد هذه العادة الممقوتة، حيث أمر بسب عبدالله بن حسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب، رضوان الله عليهم أجمعين، على المنابر سنة ١٤٤ من الهجرة لخروجه عليه (راجع النجوم الزاهرة)

وأول من قرأ فى الخطبة آية « إن الله وملائكته يصلون على النبى» المهدى ثالث الخلفاء العباسيين ، وأول من أمر الخطباء بهبوطهم درجة من المنبر إذا وصلوا إلى الدعاء فى الخطبة هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى صاحب الجامع المشهور باسمه بشارع السكرية بجوار باب زويلة (بوابة المتولى بالقاهرة) ليكون اسم الله ورسوله فى مكان أعلى من المكان الذى يذكر فيه السلطان ، وكان ذلك فى سنة ٨١٩ هجرية (١٤١٦ م) وتبعه الخطباء إلى وقتنا هذا .

نوادر بعض الخطباء

حدث التاريخ أن أبا يعقوب البلخى خطيب جامع أحمد بن طولون رقى المنبر وخطب يوم افتتاح الجامع سنة ٢٦٥ هـ بحضور الأمير ابن طولون ، فدعا للخليفة العباسى المعتمد بالله أحمد ولولده ولى عهده جعفر ، ونسى أن يدعو لابن طولون ونزل عن المنبر ، فأشار ابن طولون لخادمه « نسيم » بأن يضربه خمسمائة سوط ، فذكر الخطيب سهوه وهو على مراق المنبر ، فعاد وقال: الحمد لله وصلى الله على محمد ، « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً» اللهم وأصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، وزاد فى الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ، ثم نزل ، فنظر ابن طولون إلى الخادم وأشار إليه بأن يجعلها دنانير . ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى وهنأه الناس بالسلامة.

وحدث أيضاً أن علياً بن أحمد بن عبد الملك الفهمى خطيب جامع عمرو خطب بالناس صلاة العيد من سنة ست أو ثمان وثلاثمائة فى الجامع، وهى أول صلاة عيد فى الجامع ، وقد كان الناس يصلون العيد فى الصحراء بقرب عين الصيرة — فحفظ عنه أنه قال : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون » فقال بعض الشعراء :

وقام فى العيد لنا خاطب حرض الناس على الكفر

قلت : وقد حصلت أمامنا حادثة مثل ذلك ، فقد كنا إحدى الليالى نسمع القرآن ، فقرأ الفقيه « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله عذاباً أليما » بدلا من « فضلا كبيراً » فقال بعض الحاضرين وكان أمياً : وما فائدة الايمان إذا كان مصيرهم إلى العذاب ؟

ومثل ذلك ما حصل مرة من أحد الفقهاء حيث قرأ « فخر عليهم السقف من تحتهم » بدلا من «فوقهم» فقال أحد البنائين الذين كانوا يستمعون له: «ياسيدنا إن ما كنتش حافظ هندس».

وجاء عن الحافظ أبى الطاهر السلفى أنه قال: سمعت أبا منصور قسطة الأرمنى والى اسكندرية يقول : كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد فى عيد من الأعياد ، فقيل له: قد قرب منا العدو فنزل عن المنبر ، وقطع الخطبة ، فبلغه أن قوماً من الجند عابوا عليه فعله،

فخطب فى الجمعة التالية فى المسجد داخل البلد خطبة قال فيها : « قد زعم قوم أن الخطيب فزع، وعن المنبر نزع ، وليس ذلك عاراً على الخطيب ، فانما ترسه الطيلسان ، وحسامه اللسان، وفرسه خشب لاتجرى مع الفرسان ، وإنما العار على من تقلد الحسام ، وسن السنان ، وركب الجياد الحسان ، وعند اللقاء يصيح إلى عسقلان » .

قلت : وقسطة هذا هو صاحب مسجد قسطة الذى كان بقلمة الجبل المنشأ سنة ٥٣٥ هـ ومحله الآن مسجد سليمان باشا ويعرف بمسجد سارية .

من أرتج عليه وهو على المنبر فاعتذر بعذر حسن

أرتج على عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين فقال : « إنكم إلى أمير فعال ، أحوج منكم إلى أمير قوال »

وأرتج على يزيد بن المهلب فلما نزل قال :

فان لم أكن فيكم خطيباً فاننى بسيفى وإن جد الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب العرب .

وأرتج على خالد بن عبد الله القسرى فقال : « إن هذا الكلام يجىء أحيانا ، ويعسر أحيانا، وربما طلب فأبى ، وكوبر فعتا ، والتأنى لمجيئه أيسر من التعاطى لأبيه ، وقد يختلط من الجرىء جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، وسأعود فأقول »

وأرتج على أبى العباس السفاح فنزل ثم صعد وقال : « أيها الناس إن اللسان بضعة من الانسان، يكل بكلاله إذا كل، ويرتجل لارتجاله إذا ارتجل ، ونحن أمراء الكلام ، بنا تفرعت فروعه، وعلينا تهدلت غصونه، ألا وإنا لانتكلم هذراً، بل نسكت معتبرين ،ونطق مرشدين»

من أرتج عليه وهو على المنبر فاعتذر بعذر قبيح

صعد عبد الله بن عامر على منبر البصرة فاشتد جزعه ، فقيل له : إن هذا مقام صعب فامتحن فيه غيرك ، فأمر وازع بن مسعود أن يصعد ويخطب ، فلما ابتدأ الكلام حصر ، فقال : لا أدرى ما أقول لكم ، ولكننى أشهدكم (أن امرأتى طالق) فهى التى أكرهتنى على حضور الصلاة .

ثم أمر آخر فصعد فأرتج عليه ونظر إلى الصلع فقال : « اللهم العن هذه الصلعة » .

وصعد غباب بن ورقاء منبر أصبهان يوم النحر ، فحصر ، فقال : « لا أجمع عليكم عياً وبخلا، ادخلوا سوق الغنم، فمن أخذ منكم شاة، فهى له وعلى ثمنها » .

قلت: وهذه النادرة تذكرنا بأخرى شبيهة لها وقعت هنا فى مصر فى أيام الانتخابات،فقد رشح بعض أعيان الريف الأغنياء نفسه ضد مرشح آخر يؤيده حزب كبير له نفوذ وسطوة فى الجماهير

وكان هذا المرشح الحزبى ، علاوة على نفوذ حزبه، فانه عام مشهور بالخطابة وزلاقة اللسان، فتركه الغنى الريفى يخطب فى الناس حتى إذا لم يبق بينه وبين يوم الانتخاب إلا أيام معدودات ، دعا هذا الغنى جميع المنتخبين فى الدائرة ، حتى إذا اجتمعوا فى محفلهم الحافل طلع عليهم هذا الغنىّ فقال: إخوانى! أنا لا أعرف كيف أتكلم، ولا لى مقدرة على هذه الثرثرة، وكل ما أقوله لكم هو: «دونكم هذه الأجران بما فيها من القمح ، والشعير، والفول، خذوا منها ماشئتم ، ودونكم أيضاً المواشى فخذوا ما شئتم من جاموس وبقر وغنم وغيرها » وأمر ففتحت لهم الأبواب ، فكانت هذه الخطبة هى أول وآخر ما قيل ، وكان له ما أراد من فوز وظفر .

صعوبة تولى الخطبة

قيل لعبد الملك: لقد أسرع إليك الشيب ، فقال : كيف لا ، وأنا أعرض عقلى فى كل يوم جمعة على الناس؛ وفى رواية أخرى : شيبنى صعود المنابر ، والخوف من اللحن . وقد كان اللحن عندهم يستقبح غاية القبح .

وقيل : نعم الشىء الامارة لولا قعقعة البريد وصعود المنابر .

ما يحتاج إليه فى الخطبة

يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، جهير الصوت ، وأن يضع فى صدر كل خطبة مايدل على عجزها ، وأن يكون فيها آيات قرآنية، وإلا كانت شوهاء، ولذلك قال عمران بن حطان: أول خطبة خطبتها عند زياد ، فقال : هذا الفتى أخطب الناس لو كان فى خطبته شىء من القرآن ؛ وليس من السنة التمثل فيها بالشعر ، ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ، ولا يتغنى ، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة .

ويسن للخطيب أن يشغل يسراه بنحو سيف ولو من خشب، أو قوس أو عصا ونحوها ، ويمناه بحرف المنبر، وأن يكون جلوسه بين الخطبتين بقدر سورة الاخلاص، وأن يقرأها فيه أيضاً، وأن يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة « الجمعة » وفى الثانية بعد الفاتحة « المنافقين» جهراً أو «سبح اسم ربك الأعلى» فى الأولى « وهل أتاك حديث الغاشية» فى الثانية ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هاتين فى وقت ، وهاتين فى وقت ، فهما سنتان .

واعتماد الخطيب على السيف فى مذهب الحنفية فى البلاد التى فتحت عنوة بخلاف البلاد التى فتحت صلحاً، فانه يخطب فيها بدون سيف ، والحكمة فى أخذه باليسار كما هو شأن من يريد المقاتلة ، فهو استعمال وليس تناولا حتى يكون باليمين، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام، فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا عليهم بوجهه لا يلتفت يمنة ولا يسرة.

وقد كانت خطبة الجمعة بعد الصلاة كخطبة العيدين، حتى نزلت الآية الشريفة: «وإذا رأوا

تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما » فجعلها النبى قبل الصلاة ، وسببها أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة بعد الصلاة ، فوردت تجارة من الشام فيها جميع مايحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها ، قدم بها دحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان غلاء فى المدينة، فنزل بسوق المدينة ، وضرب الطبل هو أو أهله ، ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه ، وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة فى أنهم كانوا يستقبلون التجارة بالطبل والتصفيق.

فخرج النـاس من المسجد غير ١٢ رجلا ، وفى روايات أخرى غير أربعين أو ٨ أو ١١ أو ١٣ أو ١٤ ، وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة وليس هنا موضع استيعابه .

وقد تصادف قدوم التجارة ثلاث مرات متواليات كل مرة فى يوم جمعة وقت الخطبة ، ويخرج النـاس للابتياع قبل نهو الخطبة ظناً منهم أن الخروج بعد الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة ، فلما وقعت هذه الحادثة ونزلت الآية قدم رسول الله الخطبة وأخر الصلاة ، ويعلم من هذا أن النبى كان يخطب قائماً.

قلت : وأول من خطب جالساً معاوية بن أبى سفيان حين ترهل كما نص عليه القلقشندى فى صبح الأعشى .

هذا وقبل الختام لابد لى من إسداء الشكر لحضرة الأستاذ الفاضل محمود أحمد وكيل الآثار العربية لتفضله باعطاء الرسوم الخمسة الأولى من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية وهى من رسم حضرة الأستاذ حسن أفندى عبد الوهاب المصور باللجنة ؛ وقد نشرت فى المقال الأول عن « المنابر فى الاسلام » بالجزء السادس من مجلة « المعرفة » الغراء؟

يوسف أحمد

على باشـــــا مبارك*

١٨٢٤ — ١٨٩٣

زعيم نهضة العلم والتعليم فى عصر اسماعيل

بقلم الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعى

أعماله فى عهد اسماعيل

لما تولى إسماعيل الحكم ألحق المترجم بمعيته ، ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية ، وكانت إلى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المعدة لاقفال عيونها ، والمانع من إقفالها ماقرره المهندسون وقتئذ من أن القناطر لاتحتمل ضغط المياه قبل تقويتها ، وترتب على ذلك أن معظم المياه تحولت إلى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض الأمر على المترجم ارتأى إقفال قناطر فرع رشيد لتغذية فرع دمياط ، فعمل الخديوى برأيه ، وأمر باقفالها ، فانحدرت المياه إلى فرع دمياط ، ونالت البلاد التى تروى منه منافع الرى وخيراته ، وأما الخلل الذى كان متوقعاً حصوله فى بعض عيون فرع رشيد فقد تلافاه المترجم بحكمته ومهارته إذ أقام جسراً من الخشب أحاط بالقناطر ، فنشأت حولها جزيرة من الرمل حفظتها من ضغط المياه ، وهكذا تبين صواب الرأى الذى ارتآه على باشا مبارك.

ولما حفر رياح المنوفية أحيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على أحسن نظام.

وفى سنة ١٨٦٥ انتدبته الحكومة المصرية عضواً عنها فى اللجنة التى ألفت لتقدير الأراضى التى صارت حقاً لشركة قناة السويس طبقاً لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة خير الاداء .

(*) هذا هو القسم الثالث من سلسلة البحث الذى بدأنا فى نشره من العدد الحادى عشر من السنة الاولى للمعرفة (مارس سنة ١٩٣٢)

وكالة وزارة المعارف

وفى سنة ١٨٦٧ جعل وكيلا لوزارة المعارف العمومية (ديوان المدارس) وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور، فتقلد المترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية فى عهدته؛ ويبدأ من ذلك الحين عهد جديد للمترجم ، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذى يسمح له بانفاذ إصلاحاته فى دائرة التعليم العام .

كان من مزايا المترجم أنه يتقن كل عمل يتولاه ، ويبذل كل مافى وسعه ليقوم به على الوجه الأكمل ، فانتهز ندب الخديوى اسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس عقب تعيينه وكيلا لوزارة المعارف، وأخذ يستكمل معلوماته عن التعليم ونظام المدارس فى فرنسا ، ليقتبس مايراه صالحاً لمصر ، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يوماً، بما فيها الذهاب والاياب، فقد اطلع على برامج التعليم فى المدارس الفرنسية والكتب المقررة فيها ، ودرس أيضاً نظام المجارى المبنية تحت الأرض فى باريس.

توليته وزارة المعارف والاشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه اسماعيل سنة ١٨٦٨ برتبة الميرمران، فصار يعرف من ذلك العهد بعلى باشا مبارك ، وأسند إليه وزارة المعارف والأشغال ، وإدارة مصلحة السكك الحديدية ؛ وبعد قليل ضمت إليه نظارة ديوان الأوقاف ، فجمع بين هذه المناصب الرفيعة مع بقائه ناظراً للقناطر الخيرية والتحاقه بالمعية .

العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبى فى حياة المترجم ، وهو العصر الذى حفل بالأعمال العظيمة التى خلدت اسمه فى تاريخ مصر الحديث وخاصة فى نهضتها العلمية .

وأول مايلفت النظر فى هذا الدور من حياته، كفاءته الممتازة فى إضطلاعه بأعباء الوزارات المختلفة ، فقد كان فى وقت واحد وزيراً للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، ومديرا عاماً للسكك الحديدية ، وناظراً للقناطر الخيرية ، وهى مهام جسام ، تنوء بالعصبة من الرجال ، ولكن على باشا مبارك قام بها جميعاً ، وأظهر من الكفاءة وقوة الارادة والجلد على العمل مايدعو حقاً للاعجاب ، وصدقت كلمته المتواضعة التى قالها عن نفسه فى هذا الصدد « فبذلت جهدى ، وشمرت عن ساعد جدى فى مباشرة تلك المصالح، فقمت بواجباتها »

وهنا تتجلى ميزة كبيرة للمترجم ، تطالعنا بناحية من نواحى شخصيته، وهى مقدرته على الاضطلاع بالمهام العظام ؛ فقد يكون لعلى باشا مبارك أنداد فى العلم والذكاء بين زملائه الذين

تولوا مختلف الوزارات ، والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذ أقرانه فى الجمع بين مزايا متعددة ، وهى الكفاءة ، والجد على العمل ، والاخلاص والنزاهة فى أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التى تعهد إليه ، على ماتقتضيه من جهود ومتاعب ، فالرأس الذى يسع وزارات المعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفاءة التى تضطلع بكل هاتيك المصالح ، والهمة التى تصرف شؤونها المختلفة ، وتبتكر لها المشاريع الجمة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوغ فذ ؛ وهذا وحده يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم.

وزع على باشا مبارك أوقاته بين تلك الوزارات المختلفة ، فخصص نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لادارة السكك الحديدية.

فى وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى ترقية شؤون التعليم فى البلاد .

نقله المدارس إلى درب الجماميز

وأول أعماله أنه نقل المدارس من العباسية إلى درب الجماميز ، وذلك أنه رأى مايتكبده التلاميذ وأهلوهم والأساتذة من المتاعب والمشاق والنفقات فى ذهابهم إلى العباسية ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديوى اسماعيل إذناً بنقل المدارس إلى درب الجماميز ، وخصص لها سراى الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وجعلها على استعداد لايواء المدارس والمعاهد ، وخصص سلاملك السراى لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة فى ناحية من السراى ، فصارت أشبه ماتكون بالجامعة ، وجعل بها أيضاً وزارة الأشغال ، وديوان الأوقاف ، فسهل عليه القيام بأعباء الوزارات المختلفة .

ومع اضطلاعه بأعباء هذه الوزارات كان لاينفك يعنى بتفقد أحوال التلاميذ والمعلمين فى المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها ، وليطمئن على حسن نظامها وقيام المدرسين بواجباتهم .

لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه عنايته ، منذ تولى وكالة الوزارة ، إلى إصلاح التعليم فى المكاتب ، وتحويل مايمكن تحويله من الكتاتيب إلى مدارس ابتدائية نظامية .

فوضع لذلك لائحته المشهورة بلائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التى نظمت المدارس على اختلاف درجاتها .

ودعا طائفة من المشتغلين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبحثوه ويبدوا آراءهم فيه ، فدرسوه وأقروه ، وصدر أمر الخديوى باجراء العمل بمقتضاه .

وأنشئت فى عهده أولى المدارس الابتدائية النظامية فى القاهرة وعواصم المديريات .

وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الأوقاف فى يده أثر كبير فى نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الأوقاف الخيرية استطاع إعداد كثير من الأمكنة الموقوفة لجعلها معاهد للتعليم بعد إصلاحها ، ولولم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه المبانى معطلة لاينتفع بها ، ولعجزت الحكومة عن النفقات التى يقتضيها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الاشراف على معاهد العلم الموقوفة، أن ينظمها ويحولها إلى مدارس نظامية، فأحيا هذه المعاهد بعد مادرست فى أيدى نظار الوقف الخاملين ، وكذلك أحسن إدارة أموال الأوقاف الخيرية ، واستخدم جانباً منها فى الانفاق على التعليم ، بعد أن كانت تبدد وتضيع هباء .

وجعل على أهالى التلاميذ المقتدرين مصروفات قليلة تؤخذ منهم برغبتهم على حسب اقتدارهم ، مع ترك الباقين مجاناً ، واستوفى نفقات المدارس من إيراد الأوقاف الخيرية الموقوفة على المكاتب وغيرها من وجوه الخيرات، وخصص لها الخديوى إسماعيل إيراد أطيان تفتيش الوادى بالشرقية ، كما منحها بعض الأملاك التى آلت إلى بيت المال من بعض التركات، فكانت هذه الموارد ينفق منها على تلك المدارس عدا المصروفات الضئيلة التى يدفعها أهالى التلاميذ ذوى اليسار والاقتدار.

معلمو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكافى من الأساتذة الأكفاء، وقد حل على باشا مبارك هذه المعضلة بما أوتى من خبرة ، ونظر صادق ، وعزيمة ماضية ، فأنشأ « دار العلوم » كما سيجىء بيانه، لتخريج أساتذة اللغة العربية، واختار لتدريس بقية العلوم، كالرياضيات والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية نجباء التلاميذ المتقدمين ممن أتموا دروسهم فى المدارس العالية، كالمهندسخانة ، ومدرسة المحاسبة، ومدرسة الادارة (الحقوق)، بأن يجعلوا أولا معيدين لدروس المعلمين زمناً ، ثم يصيرون معلمين استقلالا .

دار العلوم

هى من أجل منشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٨٧٢ ، والغرض الأصلى منها تخريج أساتذة اللغة العربية والآداب للمدارس الابتدائية ، ثم لكافة المدارس .

ومرجع الفكرة فى تأسيسها، أنه لما أنشئت المدارس الابتدائية واتجه العزم إلى الاكثار منها، مست الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها فى المدارس الحديثة ، فارتأى

المترجم إنشاء مدرسة عالية دعاها « دارالعلوم » لتخريج أولئك الأساتذة ، واختار تلاميذها من طلبة الأزهر ممن حفظوا القرآن الشريف ، وتلقوا دروس اللغة والفقه ، وقد اختيروا لهذه المدرســة بالامتحان،واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التى لاتدرس فى الأزهر ، كالحساب والهندسة والطبيعــة والجغرافية والتاريخ والخط ، مع إتقان علوم الأزهر، من لغة ونحو وتفسير وحديث وفقه .

واختار المترجم للتدريس فى دارالعلوم جماعة من جلة العلماء الأكفاءفىالعلوم الأزهرية ، والعلومالعصرية ، وجعلالتعليم فيها مجاناً، مع دفع مرتب شهرى للتلاميذ .

وقد أثمرتالمدرسة، وتخرج فيها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدارس الابتدائية فى القاهرة والاقاليم، ثمللمدارس الثانوية والعالية ، ويعد إنشاء دار العلوم أعظمخدمة أسداها المترجم لاحياء اللغة العربية وآدابها فى مصر .

دارالـكتب

أسست سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الـكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقدمات ترجع إلى عهد محمد على ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومةفى بيت المال القديم، خلف المسجدالحسينى، ولما تقلد اسماعيل الحكم أضاف إليها نحو ألفى مجلد من المخطوطات العربية والفارسية، ابتاعها من تركة حسن باشا المناسترلى ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للـكتب .

ويستفاد مما ذكره علىباشا مبارك فىالجزء التاسع من الخطط (ص ٥١) أن فكرةتأسيس دار الـكتب ترجع إلىالخديوى إسماعيل ، فانه رغب فىإنشاء مكتبةعامة تجمع الـكتبالمتفرقة فى مخازن الحكومة ، ومكاتبالأوقاف، وفى المساجد ونحوها ، وأمر المترجم بالنظر فى ذلك، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الـكتب فىسراى درب الجماميز بجوارالمدارس.

ولـكن يؤخذ مما جاء فى الجزء الثالث من الخطط (ص ١٤) أن صاحب الفكرة فى هذا المشروع الجليل هو على باشا مبارك ذاته ، فقد قال فى هذا الصدد :

« ثم ظهر لى أنأجعل كتبخانةخديوية داخل الديار المصرية، أضاهى بها كتبخانةباريس، فاستأذنت الخديوى إسماعيل باشا فى ذلك ، فأذن لى ، فشرعت فى بناء الـكتبخانة الخديوية هناك أيضاً (بدربالجماميز)، وبعد فراغها جمعت فيها ماتشتت من الـكتب التى كانت بجهات الأوقاف زيادة على ماصار مشتراه من الـكتب العربية والفرنجية وغيرها ، وجعلت لها ناظراً، ورتبت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قانوناً لضبطها وعدم ضياع كتبها ، فجاءت بعونالله من أنفع التجديدات التى حدثت فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ، وحصـل بها النفع العـام للخاص والعام »

وقد ابتاع اسماعيل باشا مجموعة الكتب القيمة التى تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد وفاته وأهداها لدار الكتب .

وصرف على الدار من ميزانية المدارس، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت لهم الاطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات، ماكان يمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار، فأدت ولا تزال تؤدى خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية .

مدرج المحاضرات (الانفتياتر)

ورتب دروساً عمومية أو محاضرات دورية بالانفتياتر (المدرج) بسراى درب الجماميز سنة ١٨٧١ ، فعهد إلى النابهين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتثقيف أذهان الطلبة.

وكان يشجع هذه الحركة، فيحضر المحاضرات بنفسه، وحذا حذوه كبار الموظفين فى مختلف الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف.

وكان يحضرها أيضاً، عدا طلبة المدارس العالية، فريق من طلبة الأزهر، وصاروا نواة دار العلوم التى أنشئت سنة ١٨٧٢ .

وتولى إلقاء المحاضرات طائفة من العلماء المشار إليهم بالبنان، فكان الشيخ حسين المرصفى يدرس الآداب العربيـة ، واسماعيل باشا الفلكى ناظر المهندسخانة يدرس علوم الفلك باللغة العربية، ومنصور افندى أحمد أحد أساتذة المهندسخانة يلقى محاضرات فى الطبيعيات ، والمسيو فيدال (باشا) فى فن السكة الحديدية ، وفرانس بك (باشا) كبير مهندسى الأوقاف فى المبانى، وجيجون بك ناظر مدرسة الفنون والصنائع فى الميكانيكا ، وبروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم فى التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن البحراوى فى فقه الامام أبى حنيفة ، والشيخ أحمد المرصفى فى التفسير والحديث ، والمسيو بكتيت فى الطبيعيات ، وأحمد بك ندا فى علم النباتات ، وغيرهم؟

عبد الرحمن الرافعى

فى العدد القادم

تجد تتمة هـذا البحث ، ففيه يتناول الاستاذ الرافعى بك الكلام على : معمل الكيمياء والطبيعة ، أعمال على مبارك الهندسية ، انفصاله عن الوزارة ثم عودته فى وزارة نوبار باشا، فى عهد الخديوى توفيق ، الثورة العربية ، فى وزارة شريف باشا ؛ فى وزارة رياض باشا؛ وفاته.

مميزات الأدب الروسي *

بقلم الاستاذ محمد ثابت الفندى
ليسانسيه فى الفلسفة

فى قصة « الدخان » من قصص ترجنيف أتيحت فرصة لرجل روسى أن يبدى ملاحظة هامة عن طبائع الأمم المختلفة فقال: إذا تحدث رجل انجليزى فان حديثه، طال أم قصر، لابد مفض إلى الألعاب الرياضية ، وإذا تحدث رجل فرنسى فان حديثه، طال أم قصر، لابد مفض إلى النساء ؛ أما إذا تحدث إليك رجل روسى فان حديثه ، طال أم قصر ، لابد مفض بك إلى تناول روسيا بكل ما فيها .

كذلك يريد أن يفهم الروسيون أنفسهم، وكذلك ينبغى أن تفهمهم أيضاً، فان الروسيين والحق يقال قد أوقفوا حياتهم لروسيا وحدها ، لا لأنفسهم ومايشتهون من ألعاب رياضية أو ألعاب نسائية، حتى أن روسيا صارت شغلهم الشاغل، وخاطرهم الذى لاينقضى ، وغريزتهم التى عنها يصدرون فى كل شيء .

وأنت إذا بحثت فيما يميز الأدب الروسى عن غيره من الآداب الأوربية أو الشرقية ، فانك لن تجد غير هذه الميزة التى أشار ترجنيف إليها ضمنا، ألا وهى: ميزة القومية أو الاجتماعية .

هو أدب قومى لأنه اهتم بشؤون أمة واحدة لابشؤون الانسان على وجه العموم، اهتم بشئون الأمة الروسية ، ثم هو أدب اجتماعى لأنه لم يعن بالفرد من حيث هو فرد يحتاج إلى الرياضة والمرأة ، ولكن من حيث هو جزء من مجتمع واسع يتأثر بما تتأثر به الجماعة : يضحك لضحكها، ويعبس لعبوسها، وهذه الميزة التى أشرنا إليها هى التى جعلت الأدب الروسى فى مختلف عصوره أدباً واقعياً قريباً جداً من الحياة فى تلك البلاد .

وهذه الميزة عامة فى الشعر والنثر على السـواء ، ثم هى نتيجة ضرورية لمنطق الحياة فى روسيا، إذ أن الحكومات الاستبدادية كانت تقتل كل نشاط سياسى فى مهده، حتى أن جنود الوطن وحزب التقدم كانوا لا يجدون تحت نير ذلك الحكم غير متنفس واحد يتنفسون منه إذا شاءوا أن يشتركوا فى بناء مجد الوطن، ذلك هو « الأدب » ولذلك فقد حلت الكتابات الأدبية محل الكتابات والحركات السياسية فى روسيا، والصراع الشديد الذى كان ينشأ بين المذاهب الأدبية المختلفة لم يكن فى جوهره إلا صراعاً بين مذاهب سياسية متعارضـة ، وذلك أمر امتاز به

(*) مقدمة لمجموعة « أشهر قصص العالم » تحت الطبع .

الأدب الروسى دون غيره من الآداب الأوربية؛ فالمجتمع الروسى لم ينظر إلى الأدب كأداة للتسلية فوق المسارح أو فى أوقات الفراغ، كما ينظر غيره من المجتمعات الأوربية، ولكنه ينظر إليه كبرامج اجتماعية يقصد بها قبل كل شىء حل مشاكل الحياة كلها وخاصة السياسية، وهكذا كان الأدب مصباحاً يضىء طريق الحياة للناس فى روسيا.

الشعر فى روسيا

والشعر عامة ـ وحتى الشعر الغنائى منه، الذى يأخذ بمجامع قلب الرجل الروسى ويطير بلبه ـ ليس هو ذلك الشعر الرائق الجميل الانشاء، الحسن التركيب فى عبارته وفى معناه، ولا ذلك الشعر الذى يعبر عن المشاعر الباطنة للشاعر، ولكنه ذلك الشعر « الاجتماعى القومى » الذى يعبر عن الجماعة الروسية فى ألمها وأملها، وفى حقائقها الواقعية ومثلها العليا؛ فالشاعر الروسى فى الغالب شاعر اجتماعى يتحدث عن الجماعة وفى الجماعة وللجماعة، ولست أعرف بلداً من بلدان العالم كان الشعر فيه سلاحاً للاصلاح الاجتماعى والسياسى مثل الروسيا، فهناك بوشكين قيصر الشعر غير المتوج، كتب نشيداً طويلا (ODE) عن الحرية، حمل فيه على القياصرة المتوجين وطلب إليهم أن يطأطئوا الرؤوس أمام القانون الطبيعى، وأن يضعوا الحرية وحدها حارساً للعرش.

وهناك لرمنتوف الذى تزعم دولة الشعر بعد بوشكين، كتب شعراً من نار، طعن فيه على (الطغمة الفاسدة التى تحيط بعروش قصابى الحرية).

وشاعر آخر هو بيليف (PYLEEV) مجد فى (الافكار) الأبطال الذين ماتوا فى سبيل الحرية، وهؤلاء الأبطال هم الشعراء والكتاب، لأنهم كانوا القادة السياسيين.

ثم هناك أجاريوف (OGARIOV) المتأجج حماسة للثائرين والثورة التى هبت سنة ١٨٤٨، كان شعره كله سياسيا، حتى أن ناقدا وصف ديوانه بأنه ديوان سياسة لا شعر، ولد ومات وهو يلهج بذكر الحرية، حتى أن بعض أشعاره صارت أناشيد قومية، وذلك مثل المقطوعة التالية:

« عند ما كنت طفلا صغيراً،
وعند ما صرت يافعاً متأججا،
وعند ما جاوزت الكهولة،
وبالجملة دائماً ودائماً أبداً، مارن فى أذنى غير لفظ واحد،
رن فى أذنى لفظ واحد لم أسمع سواه،
الحرية! الحرية!»

هؤلاء هم شعراء النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهم فى الغالب لم يفهموا الحرية كما ينبغى أن تفهم، وكان تصورهم لها تصوراً غامضاً، إلا أن هذا التصور أخذ يتحدد ويتعين فيما

بعد، بفضل التجارب التى اكتسبتها روسيا، حتى أن الحرية فهمت على أنها اتحاد وتقدم على ضوء العلم، فقال بلشتشيف (PLECHTCHIEV)

« إلى الامام ياصحاب ! لاخوف ولا تردد ،

فان المخاطر والمصاعب تنتظرنا،

ألا إن يوم الغفران عنا،

قد أعلنه الله فى السموات.

تماسكوا بالأيدى ياصحاب ، وتقدموا بخطى جريئة إلى الأمام،

تحت سماء العلم والمعرفة،

يستطيع اتحادنا أن يزداد »

وهذه الأبيات صارت أنشودة وطنية فيما بعد، ينشدها الشباب والشيوخ فى الحفلات العامة والخاصة ، وهى تمتاز، ولاشك، بتجدد معنى الحرية فيها.

وكما نشد الشاعر السالف الذكر الحرية تحت سماء العلم والمعرفة، نشدها مينايف MiNAEV فى التحرر من الاعتقادات الموروثة والعدول عن كل ماهو قديم ، نظم هذا الشاعر قطعاً تهكمية كثيرة تهكم فيها على الاعتقادات التقليدية، ونادى بمساواة المرأة بالرجل، فكان بذلك بطل المذهب « النسوى »FÉMINISME فى روسيا .

وعلى العموم فقد كان شعراء الأغانى فى ذلك العصر يتأثرون بما يحس به الشعب أكثر من تأثرهم بما يحسونه هم، فكانوا قبل كل شىء شعراء الجماعة الروسية، ويشارك الشاعرات فى ذلك الشعراء : فمثلا الشاعرة باريهوف BARYHOV الطائرة الصيت لم تنظم أغانيها عن الحب وحول الليالى المقمرة وفى الثلوج وقمم الجبال والأنهار، وإنما حول ذلك الشعب البائس الذى يفنى بعضه بالخمر ، وبعضه الآخر بالذل،أو بالفقر، أو بالجهل، أوبالمرض، وكانت فى شعرها تعنف « أولئك الشعراء الذين يتغنون بمشتهيات النفوس،ويحياون عبقريتهم الشعرية إلى شىء يتسلى به »وذلك لأنها كانت تظن أن مهمة الشاعر الروسى هى الاحساس بحواس الجماعة .

وكانت السعادة الفردية عند شعراء ذلك الجيل شىء مهمل لاقيمة له إذا قيس بلذة النضال فى سبيل سعادة الجماعة ، ثم قال أحد شعراء ذلك العصر : « اترك أمك وأباك ، ولا تبن لك عشاً ... واقطع دابر العواطف الانسانية فى نفسك، واحتقر الحب والثروة والمجد ؛ كن قديساً، واستبق قلبك نظيفاً بين جنبيك، وأعطه بأكمله هبة منك إلى إخوتك البؤساء ، وحيث تسمع الأنين سر وتقدم، ابق فقيراً عارى القدمين، تكن عظيما ويخاف العالم منك » .

وفى هذه العبارات الحارة الحائرة لانجد ذلك الزهد الدينى فى العالم ، زهد المتصوفين والمتبتلين، وإنما نجد الزهد الثورى ، والتقشف السياسى الذى لابد منه للجندى فى ميدان

الجهاد الوطني ؛ وكثير من شعر ذلك العصر هو من قبيل ذلك الشعر الثوري السياسي ، وهذه الأبيات التي كتبها الناقد الروسي DOBROLUBOV تصور لنا تماماً الحالة الفكرية لهؤلاء الشعراء:

« أي صاح! إني أموت،
لماذا ؟ لأني كنت أبداً نزيها شريفاً،
أموت وأنا موقن بأن الوطن لن ينساني.
أي صاح! إني أموت،
ولكنني مطمئن النفس جداً ،
إني أباركك وآمل أنك ستتبع نفس طريقي »

ذاك شعر قصير الروح، سطحي بسيط ، فيه نزعة إلى النزاهة، وهي صورة من صور الزهد والامتناع عن الجشع، وتلك صفات تبين بسيكولوجية الشبيبة الروسية آنئذ، تلك البسيكولوجية التي تبعد جداً عن عقلية المفكرين الأوربيين المعقدة التي نراها في أشعارهم .

وهذا الشعر الذي سماه بعض النقاد « الشعر المدني » بلغ أوج كماله بكتابات NEKRASOV (١٨٢١ — ١٨٧٧)، وكتابات هذا الشاعر لا تلذ جميع الناس، ولا تتذوقها جميع الأنفس بالتساوي، فحتى عند حافة قبره ، وبعد أن ووري التراب، مازال الناس يتناقشون بحرارة في مسألة طالما تناقش الناس فيها أيام حياته، وتلك هي مسألة مواهبه الشعرية، فقد جرده البعض من كل شيء حتى اسم الشاعرية، في حين أن آخرين عدوه أكبر أقطاب الشعر في روسيا ؛ وسبب هذا الاختلاف هو تمسكه بالمذهب الواقعي المتطرف الذي صار فيه مضرب الأمثال . والحق أن « الواقعية » لا تليق بالشعر كما تليق بالقصص ، إلا أنها لائقة جداً لذلك الشعر الاجتماعي الذي اشتهرت به روسيا، وكل من شاء أن يعرف روسيا الحقيقية في عهد العبودية والاستبداد، فعليه أن يرجع إلى هذا الشاعر ؛ فهو الذي يصور مدينة بطرسبرج بما تعج به من أرستقراطية المال والادارة، وما يذوب في أرضها الرطبة، وفي صقيعها المميت من دماء فقيرة جنباً إلى جنب ، ثم هو يصف لك فيها حياة الأدباء وأصحاب الأقلام وبؤسهم وعذابهم ، فاذا خرج بك من بطرسبرج ، فهو آخذك إلى الريف حيث تذوب الرجال كداً وكدحاً في سبيل تحصيل كسيرة في آخر النهار ،وهو في كل هذا يفتش لك عن قلوب هؤلاء وهؤلاء من غير أن يشفق عليهم ، أو أن يتصور لهم مثلا علياً في الفقر أو الثراء ، وذلك لأنه كما قلنا واقعي إلى أقصى حد .

ولهذا الشاعر أثر في تبسيط لغة الشعر الروسية ، فكتاباته ميسورة القراءة لكل قارىء، ولقد لحنت بعض أشعاره وصارت من أغاني الشعب ، ثم له أثر من جهة أخرى ، فقد صارت كتاباته مدرسة يتعلم فيها الناشئون الروح الاجتماعية في الشعر .

ولقد عد المجتمع الروسي آنئذ شعراءه «كمدرسين للحياة » إلا أن هؤلاء المدرسين دفعوا

ثمن تلك الدروس غالياً بدلا من أن يكتسبوا منها : فبشكين بعد أن طال نفيه قضى بقية حياته تحت المراقبة السرية ، ولرمنتوف كان ضابطاً ولكنه خفض فى رتبته، ثم أقصى عن موطنه بعد ذلك ، وريليف مات بالشنق شر ميتة ، وأجاريوف اضطر أن يهجر موطنه والأسى ملء فؤاده، والناقد TCHERNYCHEVSKY أبعد إلى سيبريا كما أبعد أيضاً دستويفسكى ويعقوبوفتش، أما تولستوى فقد عاش وأعين البوليس ترمقه، وأما جوركى فقد فضل أن يبعد نفسه عن روسيا حتى لاتبعده هى عنها .

هؤلاء هم ضحايا الأدب فى روسيا ، ولكن كم من الأدباء ممن هم أقل مكانة منهم انتهوا إلى أسوأ مما انتهى إليه هؤلاء ؟ بل كم من القراء — نعم من القراء — قد روقب وشرد وعذب أوأميت؟ وكم من الكتب صودر وأعدم ! لذلك نجد أن آلهة الشعر الروسى - كما قال ناقد حصيف - إنما هم « آلهة الانتقام والحزن » لا أكثر.

وبعد وفاة نكراسوف انقسم الشعراء إلى مدرستين : إحداهما سارت على منهج المدرسة القديمة واحتفظت بالطابع الاجتماعى للشعر، وأهم زعماء هذه المدرسة هما: ZEMTCHUJNIKOV و YALSIBOVITCH ؛ ما المدرسة الثانية فقد كان شعارها الفن للفن ، فجددت بذلك الشعر الغنائى على طراز نادر المثيل ، وزعماء هذه المدرسة هم : TUTTCHEV وFÉTÈ وMAIKOV وALEXIS TOLSTOI .

ولقد صار الأدب الروسى أيضاً كغيره من الآداب منبعاً للذة الشخصية الفردية بفضل هؤلاء الذين حملوا راية الفن للفن، حتى لقد أعلن بعض زعماء تلك المدرسة بصراحة مثل . . . APUKHTIN وMINSKY بأن عواطف الفرد على جانب من الأهمية فى الحياة أعظم من عواطف الجماعة ، ولا شك أن هذا انقلاب فى اتجاه الأدب الروسى الذى كان من قبل أدباً اجتماعياً .

ولقد شاهد مفتتح القرن العشرين فريقاً آخر من الشعراء تأثروا فى شعرهم بالمذهب الرومانتيكى، وخاصة بأشعار (شلى SHELLY) التى ترجمت إلى الروسية. وأهم زعماء هذه المدرسة BRUSSOV الذى تغنى بمحاسن العصور القديمة وآثارها وأفكارها ، ثم BLOCK الذى أحاط نفسه بأفكار غيبية صوفية، وأخذ يتطلع إلى اكتشاف « اللا معروف » أى الله .

والآن ما مكانة الشعر الروسى فى عالم الشعر؟ قال CHAMOT الناقد الانجليزى: إن لانجلترا شكسبيرها ، ولفرنسا هوجوها، ولألمانيا جويتها، أما روسيا فلا تنجب فى عالم الشعر واحداً مثل هؤلاء، فى حين أنها أنجبت فى عالم المنثور أعظم من كتب بالنثر فى العالم: تولستوى، ودستويفسكى.

فما شأن هذا الأدب المنثور ياترى ؟

ذلك ماسنتكلم عنه فى العدد المقبل ؟

محمد ثابت الفندى

فى جنب دجلة

لشاعر العراق وفيلسوفها الكبير
الاستاذ جميل صدقى الزهاوى

الاستاذ الزهاوى من فحول الشعراء الذين امتازوا بخصب الشاعرية وقوة البيان وسلاسة الاسلوب وحسن الاداء الى غير ذلك مما لا يتوفر الا فى القليلين.

وحسبه فخرا أن يكون فيلسوف العراق الاكبر وشاعرها الفرد

وقد تفضل فبعث الينا بهذه الدرة اليتيمة والخريدة العصماء التى تنشرها لقراء «المعرفه» معجبين ؟ المحرر

أضاء ثم تدلى يافل القمر　　كما ارتمت من عل حسناء تنتحر
وخر يذكو شهاب لاح منبثقا　　كدمعة من عيون الليل تنحدر
أما النجوم فكانت فيه خافقة　　كأنهن قلوب راعها خطر
إذ نحن من دجلة فى عدوة رحبت　　وقد تصافح فيها الماء والشجر
طابت لنا دجلة تجرى مسارعة　　وطاب فى جنبها للسمر السمر
وبعد ذلك ران النوم يغلبهم　　على العيون فما قالوا ولا افتكروا
ناموا سوى عندليب فوق أيكته　　يقول شعرا وإما قال يبتكر
كأنه كان فيما كان يرسله　　من الأغاريد يشكو ثم يعتذر
يشكو إلى الليل أشجانا تؤرقه　　والليل يصغى إليه وهو معتكر
لقد شجتنى شكواه برقتها　　وكل صوت رقيق بى له أثر
أفى النهار لسان الشوك آلمه　　أم لم يصافحه لما زاره الزهر
أم هدمت عشه الغربان قادرة　　عليه وهو ضعيف ليس يقتدر
أم غاب عنه ، فلما ثاب مفتقدا　　ألفاه قد قام فيه حية ذكر
أم مات ألف له فالتاع يندبه　　حتى رثى وهو القاسى له الحجر؟

***

نزا على البان غريدا فهزهزه　　حتى تظنيت أن البان يتأطر
سمعت شهقته فى فرع أيكته　　فخيل لى أنها الآمال تنفجر
وخيل لى أنها نار مؤججة　　ينبث منها الى أطرافها الشرر
وخيل لى أنها باتت بأرديتى　　والصدر منى والاعصاب تستعر
صوت له شجوه كالسهم منطلق　　وربه فى ضمير الليل مستتر

***

وصحت أسمعه شعرى وأعلمه　　أنى كما هو شاد ماله وزر
شعر حكى العين معناه يفيض أسى　　ولفظه دمع تلك العين ينهمر

إنا شبيهان في البلوى بمجتمع — فيه كلانا لقاء الموت ينتظر
أجل! كلانا إذا ما الله لم يقه — شلو على الأرض ملقى أو دم هدر

***

أين القصيد التي أبياتها خزف — من القصيد التي أبياتها درر؟
إني وإن كنت قد مارسته عمراً — ما قلت شيئاً به أسمو وأفتخر
ياشعر كنت سلاحاً لي أذود به — عني الأذى وبه قد كنت أنتصر
عليك مني سلام عرفه عبق — فإنما عن قريب عنك لي سفر
لقد بلغت من السبعين غايتها — فالقبر لي بعد هذا العمر ينتظر

***

الشعر قد كثرت فيه مقلدة — وقل من نظموه مثلما شعروا
الشعر أوشك أن يردى بما ضغطت — عليه غلظة ناس فهو محتضر
العقل مفتكر والقلب مرتجل — وما كمرتجل للشعر مفتكر
القلب للشعر تغذوه عواطفه — والرأس للعلم فيه السمع والبصر
وبلبل الروض أني كان منبره — فهو الخطيب فلا عي ولا حصر
وجدت في الروض بعد اللأي مرقده — فكان في بقعة قد حفها الزهر
إني ملم بأخبار الحياة وما — عندي سوى الظن عما بعدها خبر

***

وطالما حارب الأحرار مرهفة — يراعها الصم جيشاً ثم ما اندحروا
إن القبور لأولى بالأولى عجزوا — عن الدفاع بدار الضيم فانتحروا
لقد طغى الضغط في أرض العراق على — حرية الشعب حتى كاد ينفجر
والشعب إن لم تحرره جراءته — فلا يحرره الاعوال والعبر(١)
الشعب يشبه بركاناً به حمم — فإن تفجر لا يبقى ولا يذر
والشعب يطلب حقاً منه مغتصباً — فليسعد السيف إن لم يسعد القدر

***

ألمعت للسيف في شعري وليس لنا — بل نحن كالشاء لا ناب ولا ظفر
سيفعل الشعر إن جدت معارضة — ماليس يفعله الصمصامة الذكر
وقد يجرده من شل ساعده — وقد يليح به من ليس يقتدر
والشعر ليس بمجد في كفاءته — إن أشغل(٢) القوم عنه اللهو والبطر

---

(١) عبره : جمع عبرة بمعني الدمعة .
(٢) اشغل : مثل شغل

لقد عثرنا لدى التأويب من شلل … فينا وأدلج أقوام فما عثروا
الويل للفرد فيما جاء من خطل … وأكبر الويل فى أن تخطل الأسر
ولا صلاح لفرد أو لأسرته … إلا إذا صد عن عاداته البشر
إنا بعهد يعاب الصادقون به … وليس يحمد إلا الكاذب الأشر
للصادقين عقاب فى مواطنهم … كأنما الصدق ذنب ليس يغتفر
وللسياسة أذناب بلا نظر … وللسياسة أقطاب لهم نظر
هناك دجلة لم ترقأ مدامعها … أتلك أم لأبناء بها غدروا
ما بال ليلتنا سوداء حالكة … فهل تقرر أن لا يطلع القمر؟

بغداد — جميل صدقى الزهاوى

حبيبة قلبى ؟!

حبيبة قلبى ! هل إذا مت تنقضى … صبابة قلبى أو يموت غرامى؟
وهل أغتدى ، لا الذهن منى مرهف … يصور قربى منك فى الأحلام
وينفث فى طي النثير تدلهى … ويبعث فى ناى القريض سلامى
وهل ياترى إن جاءنى الموت وانطوت … صحيفة عمرى وانقضت أيامى
ستبكين أم هل سوف تنسين ما البكا … وتنسين من فرط الجحود هيامى
وتنسين أيام اللقاء التى مضت … وتنسين ميثاق الغرام السامى

***

وهل تذكرين المرج: مرج لقائنا … وقد كان مهد الحب والالهام
وهل تذكرين البحر ؟ . . لله دره … لقد كان خدنا موجه المترامى
نزلت فى فلك ، شعاع شراعه … ومجدافه يحدوه بالأنغام

***

ذكرت الردى والعيش زهر ومركبى … إليك ذلول والشباب إمامى
فما كان أغنانى عن الشك فى الهوى … وما كان أغبانى بذكر حمامى

***

حبيبة قلبى ! ماحييت فانى … على عهدنا ، والحب كل حطامى
أحبك ؛ إما إن قضيت فانما … ستبقى على عهد الغرام عظامى

مختار الوكيل

الضمـــــير

بقلم الاستاذ محمد مهدى علام

أستاذ التربية والفلسفة بدار العلوم وقسم التخصص

> الاستاذ مهدي علام من خيرة الشباب العلماء ، الذين جمعوا الى الثقافة العربية الثقافة الغربية ، وهو بحق أحد الاساتذة المجدين الذين تفخر بهم دار العلوم .
>
> المحرر

خطر فى ذات يوم للقاضى (كورت ريت) الكندى أن يشرب الخمر ، فتجاوز الحد فى شربه، حتى عاد غير قادر على الوقوف على قدميه ، وخرج من الحانة وهو على هـذه الحالة ؛ فلما عرفه رجال الشرطة نقلوه إلى بيته . وشاع الخبر فى المدينـة ، وتناقلته الألسن ، وزادت فيه وجسمته وفقاً لأغراض البعض وميولهم ، فلما استوى القاضى (كورت ريت) فى اليـوم التالى على منصة القضاء، وهم كاتب الجلسة بتـلاوة أسماء المتنازعين والمتخاصمين أوقفه القاضى ، وأخـبر الحاضرين بأنه يريد أولا محاكمة القاضى (كورت ريت) الذى وجدته الشرطة فى اليوم الماضى سكران على قارعة الطريق ، وفى الحال أخذ يخاطب نفسه قائلا : اسمك كورت ريت ، وصناعتك قاض فى مدينة (وينيبج) الـكندية ، حسن ! هذه أول مرة فى حياتك تسكر فيها ؛ ولـكن نص القانون صريح ، لأنه يحرم السكر قطعياً ، والقانون يجب أن يسرى على كل إنسان بدون تطلع إلى مركزه وأهميته الاجتماعية ؛ غير أنى نظراً لماضيك الجيد الذى لا تشوبه شائبة حكمت عليك بغرامة قدرها عشرون دولاراً مع إيقاف التنفيذ ، وأملى ألا تعود إلى مثل هذا العمل الذى يحط من قدرك ، ويضيـع هيبتك أمام الناس ، وإلا حكمت عليك بالسجن ، وبدفع هذه الغرامة أيضاً .

وبعد أن حكم هذا القاضى على نفسه بهـذه الـكيفية ، طلب إلى كاتب الجلسة أن ينادى الأسماء ، وجلس هادئا ساكنا للفصل فى قضايا المتنازعين (١).

ترى ما الذى حمل هـذا القاضى على أن يفعل ما فعل ؟ إن هو إلا صوت الضمير يهمس فى أذن المرء لدى شروعه فى كل عمل ، ليقره عليه إن كان حسناً ، وليبغضه إليه إن كان قبيحاً ، أو يؤنبه من أجله إن كان قد وقع فعلا .

فالضمير إذن هو السراج الوهاج الذى منحه الله تعالى كل فرد لـكى يضىء له سبيل الحياة ؛

---

(١) نقلا عن صحيفة مصرية صادرة فى العام الماضى بتصرف قليل فى الالفاظ .

أما السراج فمع كل إنسان ، وأما وهجه فيختلف باختلاف الناس : فمنهم من سراجه وهاج ، ومنهم من سراجه مضيء ، ومنهم من سراجه مومض ، ومنهم من سراجه مظلم لا نور فيه ؛ وبعبارة أخرى : منهم ذو النفس الراضية المرضية ، ومنهم ذوالنفس التى إن فاتها أن تحول بين صاحبها والقيام بعمل الشر ، فلن يفوتها أن تلومه على عمله ، وتسلقه بألسنة حداد ؛ ومنهم ذو النفس الأمارة بالسوء ، وذوالنفس المظلمة التى ليس فيها شعاع من أشعة الهدى ، ولا بريق من سراج الضمير .

ويتضمن الضمير أمرين : أولهما إدراك الفرق بين الحق والباطل ، وثانيهما الشعور بوجوب اتباع الأول وتجنب الثانى .

وللضمير ثلاث مراتب :

١ — فقد يصدر حكمه قبل الشروع فى العمل ، كما إذا كنت تفكر فى الانتفاع بمقدار من المال، وكان عندك رغبتان : إحداهما للاتجار به ، والأخرى لاقراضه بالربا ، فاذا ضميرك يناديك: «وأحل الله البيع وحرم الربا » ، وهو فى هذه الحالة يرشدك إلى الخير ويحذرك من الشر .

٢ — وقد يرتفع صوت الضمير فى أثناء قيامك بالعمل فعلا ، وهو فى هذه الحالة يؤيدك فى اختيارك ويسدد خطاك ، إن كان العمل حقا ، ويعارضك ويقيم فى سبيلك العقبات ، إن كان العمل باطلا .

٣ — وربما جاء صوت الضمير بعد إنفاذ العمل، وهنا تحس بسرور وابتهاج إذا علمت أن ضميرك قد أقرك على ما فعلت ، أما إذا لم يكن عملك الذى عملت موافقا الحكم الذى يصدره ضميرك : فانك تشعر بحزن وانقباض : تشعر بأنك قد امتهنت كرامتك ، وجرحت عزتك ، وأتيت أمراً إداً .

يتبين لنا مما تقدم أن حكم الضمير على عمل من الأعمال يستتبع الشعور بواجب من الواجبات لا تجوز مخالفته ؛ فالأعمال التى نحكم بأنها حق يجب علينا أن نعملها ، والأعمال التى نعلم بطلانها يجب علينا أن نتجنبها ، وإن نحن حدنا عن تنفيذ ذلك ، كنا فى الحقيقة مقدمين على : انتحار خلقى ، وانتحار عقلى ؛ أما الأول : فلأننا نخالف الواجب الذى نشعر به ، ونصم آذاننا عن النداء الباطنى الذى يحفزنا إلى ما فيه منفعتنا ، وأما الثانى : فلأننا نناقض أنفسنا باعتقادنا أمراً وعملنا نقيضه . وفى ذلك يقول ابن المقفع :

« عمل الرجل فيما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف ، وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين ، وإقدامه على ما لا يدرى أصواب هو أم خطأ جماح ، والجماح آفة العقل » (١) .

---

(١) الادب الصغير ص ٥١ طبعة مدرسة محمد على الصناعية .

سلطان الضمير : قلنا : إن سلطان الضمير يختلف باختلاف الناس : ذلك أننا قد نقوى سلطان الضمير علينا ، وقد نضعفه ، بمقدار خضوعنا لأوامره .فاذا خالفنا ما يمليه علينا مرة من المرات ، سهل علينا أن نخالفه ثانية فثالثة ، ولا سيما إذا كان لنا فى المخالفة : جلب مسرة ، أو دفع ألم (ولو كان الحصول على تلك المسرة ، أو دفع ذلك الألم وقتيا) ، حتى تصبح تلك المخالفة أمراً عاديا، وعندئذ يضعف سلطان الضمير الذى كان يوماً من الأيام قاهراً غلابا ، ولقد يؤول أمره إلى الموت، وعند ذلك يصبح صاحبه ميتاً من الوجهة الأخلاقية، ويخلف قوة البحث عن الحق فى المرء قوة جديدة : هى قوة البحث وراء التلذذ من سبيل الشر ، عندئذ تتغلب على المرء الناحية الشريرة من نفسه ، تلك الناحية التى وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها: النفس الأمارة بالسوء .

ولا شك أن عمل الضمير بعد حدوث الفعل ، أيسر من عمله قبل الحدوث ، أو فى أثنائه، لأن الظروف والأحوال التى كانت تتخيل قبل حدوث الفعل ، والتى كان الضمير يبنى حكمه على تخيلها ، أصبحت الآن حقائق ملموسة ، إذ نحن نعلم الآن أن عملا خاصا قد تحقق - وإن يكن أمامنا باب ما يترتب عليه من النتائج مفتوحا - على أن عمل الضمير فى هذه الحالة ليس من السهولة بالمقدار الذى نتصور ، فانه على الرغم من أن العمل قد وقع فعلا ، وأن مسألة احتمال وقوعه وعدم وقوعه ليست موضع نظر ، ليس عمل الضمير هنا عمل المؤرخ الذى ينظر إلى حادثة تقدمت ليقول فيها كلمته تحبيذاً أو طعنا .

إن حكم الضمير هنا متعلق بالحاضر ، ومنصرف عنه إلى المستقبل . وبيان هذا : أن ذلك العمل الماضى (أو تلك العزيمة أو الارادة التى نفذت) إن كان قد فاز بتأييد حكم الضمير له ، فان الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل يتجاوزه إلى تقوية الميل والاستعداد عند ذلك الشخص لاتباع مثل ذلك العمل الذى أقره الضمير ، ولسلوك تلك الطريق التى حبذها ، وفى هذه الحالة تسود الطمأنينة نفس المرء ، ويعمم الرضا قلبه ، وتلك هى الحالة التى وصفها المولى جل وعلا ، بأنها : النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وإن كان العمل الذى انقضى قد باء بسخط الضمير ونقمته ، فان الاستعداد لهذا النوع من الأعمال يضعف ، ويقوى على أنقاضه -طبعا- ميل الى العمل فى الاتجاه الذى يضاده ، وفى هذه الحالة يحصل تأنيب الضمير والندم والتوبة ، وتلك هى الحالة التى وصفها العليم الحكيم بأنها : النفس اللوامة .

الضمير والارادة : وقبل أن نتكلم فى الندم والتوبة نستكمل بحثنا فى عمل الضمير بالقياس إلى الأعمال قبل الشروع فيها. ولقد تكلمنا فيما تقدم عن أعمال الانسان وحكم الضمير عليها سواء أكانت تلك الأعمال قبل الشروع فيها ، أم فى أثناء إنفاذها ، أم بعد الفراغ منها ؛ ولكن أحكام الضمير ليست مقصورة على الأعمال، بل هى تتناول حالات أخرى تمس الأخلاق، وإن لم تخرج إلى حيز الوجود ، تلك الحالات هى الارادات.

هبك كنت قد عقدت النية على أن تعطى لفقير يمت إليك بصلة قيمة من المال كانت ستصلك ربحاً لتجارة ، ولكن حدث ما من أجله كسدت تلك التجارة ، فلم تحصل على نقود ، ولم تستطع بناء على ذلك أن تمد يد المساعدة إلى ذلك المعوز ، كما كنت قد عزمت ؛ أو هبك كنت تريد أن تقامر بتلك القيمة ، ولكن عدم حصولك عليها حال بينك وبين ما تشتهى من المقامرة ، فما عمل الضمير فى هاتين الحالتين ؟ هنا يصدر الضمير حكمه على تينك الارادتين ولو لم تنفذا ، ولو لم يترتب عليهما نتائج : يصدر حكمه بالارتياح إلى الأولى ، والنفرة والاشمئزاز من الثانية .

وليس حكم الضمير فى هذه الحالات عديم القيمة ، بل هو حكم له أثر عظيم فى تكوين خلق المرء ؛ فانه حين يحبذ النية الأولى - ولو لم تبرز إلى حيز الوجود - يبذر البذور لتحبيذ كل ما من شأنه مساعدة الفقراء ومد يد المعونة إليهم ، وإنه حين يحتقر النية الثانية - ولو لم تظهر فى صورة فعلية كذلك - يغرس فى النفس احتقار كل رغبة تدعوه إلى المقامرة ، ومقت كل هوى يميل به إلى الميسر .

ومن ثم ندرك مرمى الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

<u>الندم والتوبة</u> : إذا عمل المرء عملا ثم فكر فيه بعد أن عمله ، فشعر بألم نفسانى لذلك العمل أو لما ترتب عليه من نتائج ، فذلك الألم النفسانى هو الندم أو تأنيب الضمير ، فان انتقل المرء خطوة بعد هذه ، بأن حمله ذلك التأنيب على إصلاح نفسه وتحاشى ذلك العمل وما شابهه فى المستقبل ، فقد أخذت التوبة تدب فى نفسه ، ويمكننا إذن أن نقول : إن الندم توبة لم يصحبها الأمل فى إمكان الاصلاح ، ولم تحلها العقيدة بالقدرة على أن يكون سلوك المرء فى المستقبل أفضل من سلوكه فى الماضى .

على أن الندم أحيانا قد لا يجدى إجداء عمليا من حيث الأمر الذى وقع ، والذى من أجله يندم النادم ، فماذا يجدى ندم القاتل بالنسبة للمقتول ؟ فأنت ترى أن ليس هنا سبيل إلى إصلاح الماضى ؛ ولكن هذا لا يمنع الجانى من أن يندم ، وأن يكون ندمه عميقاً عمقاً يتكافأ مع فداحة الخطيئة التى أخطأها . نعم لا يستطيع القاتل أن يعيد إلى القتيل حياته ، ولا أن يعوضه هو عن تلك الحياة شيئاً كائناً ما كان ، فهذا سبيل قد أوصد فى وجهه بابه تمام الايصاد ، إذ سبق السيف العذل ؛ ولكن هذه الاستحالة نفسها قد تكون من أكبر الدواعى لشدة الألم ، وعمق الندم ، فاذا انبثق فى نفسه نور الهدى ، واشتعلت نار العزيمة عزيمة أن يغير من تلك النفس الشريرة ، وأن يعترف بحق الحياة لغيره ، وألا يسلك مسلكا من شأنه أن يوقعه ثانية فيما وقع فيه أولا ، فهو تائب من غير شك ، على شرط ألا يعود ، أو بالأحرى : على شرط ألا يكون فى نيته أن يعود ، وإلا كان هازلا مستهزئا . قال الله تعالى : « إنما التوبة على الله للذين يعملون

السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليماً » .

والسر فى ذلك التشريع الحكيم : هو أن التوبة الصادقة التى تذهب بالخطيئة يجب أن تكون قبل الموت ، حتى يكون هناك متسع من الزمن يظهر فيه التائب استعداده لتحويل مجرى حياته الخاطئة ، ويحول فيه ذلك الجرى فعلا ، حتى يكون استعداده الأول قد استؤصل تماما ، فيكون غفران السيئة له عملا معقولا مبرراً . أما هؤلاء الذين يتوانون فى التوبة ، ويصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لايشعرون ، فليس لهم من الرحمة نصيب ، إذ لم يعد أمامهم وقت متسع لتغيير ما بأنفسهم : « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

والاعتراف بالذنب خطوة ضرورية للوصول إلى التوبة ، وإلا : فعم يتوب التائب إذا لم يعترف بأنه قد اقترف إثماً ؟ ولعل ذلك هو السبب فى أن توبة كثير من الناس لاتبلغ أوجها ، ولا تؤتى ثمارها ، لأنهم فى الحقيقة يتلكئون فى اعترافهم بآثامهم ، وإن الاعتراف بغير توبة لأفضل من إعلان التوبة بغير اعتراف . يقول ابن المقفع : « الاعتراف يؤدى إلى التوبة ، والاصرار وعاء الذنوب » والحكمة الانكليزية تقول : « الاعتراف نصف الموقعة » (١) ، يقصدون الموقعة النفسية التى تنشب بين المرء ونفسه فى محاولة إصلاحها .

ولقد يحدث الندم والتوبة حتى مع عدم تحقق الجريمة فعلا . هب شخصاً كان قد اعتزم أن يشهد شهادة الزور ليلقى بها متهما بريئا فى أعماق السجون . وهبه مرض يوم تأدية الشهادة فلم يستطع أن يؤديها ، ثم فكر فى الأمر ، فأدرك خطورة الموقف ومقدار الأذى الذى كان سينزله بانسان برىء ، ومقدار النقمة التى كان سينزلها من الله تعالى بعمله هذا ، فحمد الله على ذلك المرض الذى عاقه عن القيام بذلك العمل الذميم ، وشكر ذلك الظرف الذى جعل شهادته غير ممكنة ، والذى نجاه من هوة سحيقة كان على وشك أن يرتطم فيها ; إذا اتعظ بكل ذلك فأقام حول أفكاره سوراً منيعا يمنع سىء الرغبات أن تتسرب إليها ، وألجم شهواته فكبح جماحها ، وأصبح لا يرحب بفكرة لا يقرها ضميره — إذا فعل كل ذلك فقد تاب ذلك الشخص وأناب .

إذا فهمت ذلك اتضح لك أن عين التوبة تتطلع إلى المستقبل ، يدفعها الأسف على مامضى ، ويجذبها الأمل فى إصلاح ما تبقى ، وأن عين الندم ترنو بحسرة إلى ذلك الماضى الذى لم يعد فى قدرة البشر تغييره ، لهذا كان المخطىء — وهو فى حالة ندم فقط ، فى حالة موت نفسى : أما وهو فى حالة توبة حقيقية كالتى وصفناها فانه يكون فى حالة حياة نفسية عظيمة م ؟

محمد مهدى علام

---

[1] CONFESSION IS HALF OF THE BATTLE

فى الاجتماع

المثل الأعلى للزوجيـــــــة

بقلم الأستاذ مصطفى جاد أبو العلا
دبلوم دار العلوم

الزواج وعلاقته بالمجتمع :

الزواج : هو الوسيلة إلى تكوين العائلة . ولما كانت العائلة هى نواة الهيأة الاجتماعية ، فان كل ما يمس شرائع الزواج وعاداته يمس أساس النظام الاجتماعى .

ولما كنا أيضاً نعيش فى زمن قد تزعزعت فيـه العادات والعقائد إلى حد كبير ، ودخل الشك فى جميع طرائق العيش والنظر والتفكير ، حتى صار كل شاب يشعر كأنه يبتكر طريقـة جديدة فى الحياة ويتساءل عن معنى السعادة وقيمة الحب ، فان البحث فى الزواج قد أصبح من الموضوعات التى تشغل بال الكثيرين، ممن يهمهم مصير الحضارة الراهنة .

ولم يكن من الغريب أن يشمل التنبه العام الذى يجعل الأمم والأفراد تفكر فى جميع الأنظمة الاجتماعية « هذه العلاقة الزوجية » بل يشرع بعضها فى تجارب جديدة بغية الوصـول إلى أحسن الحالات التى تستقر فيها العائلة، وهذه التجارب ، مع مافيها من فوضى وتخبط ، هى دليل الحياة والرغبة فى الأصلاح ؛ فالتفكير وابتكار الطرق الجديدة ، مع مافيها من التعرض للخطأ ، خير من الاستسلام والاستنامة للعادات القديمة ، والعرف السائر.

وفوق ذلك فهو حالة دعت إليها طبيعة البشر ، ففرضتها الشرائع الالهية ، وهو سنة الله فى خلقه لدوام العمران ، بل فرض على كل إنسان ، لأنه مكمل لنقصه ، حافظ لكيانه ، صائن لكرامته وشرفه ، فهو إذن رباط دينى طبعى مدنى صحى ، وقد اتفقت الشرائع والأديان كافة على ضرورته لاقامة صرح العائلة ، وحفظ النوع البشرى من الانقراض، وصون الانسان من الخطيئة والذنوب، وإيجاد التآلف والارتباط بين أفراد ذلك النوع ، وقد قال تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » ومعنى السكون فى الآية الكريمة : الأنس بهن ، والاعتماد عليهن فى جلب المنافع ودفع المضار ، وتوثيق عاطفة المودة والرحمة ، حتى يكون من ثمرة ذلك كله ، النسل الذى عليه مدار الاجتماع الانسانى ، فهو

العامل الطبعى الأول لتكوين «الأسرة» رأس العمران الذى لولاه لاختل نظام الكون، وانقرض عقد نظامه.

والأسرة : كلمة صغيرة المبنى، إلا أنها كبيرة المعنى عند علماء العمران، إذ فيها تندمج معانى المدنية والارتقاء والنظام، والطبيعة البشرية باعثة للانسان على الزواج لما ثبت فى نفسه من الشعور بالحاجة إلى شريكة تقاسمه نعيم الحياة وبؤسها، ومثل هذا الشعور فى المرأة يدفعها إلى التماس الرجل تتخذه عونا وأزراً لها فى الملمات، وسنداً تطمئن إليه فى مشاق الحياة، ومن ثم تتكون فكرة الارتباط بين الزوجين، فيمتزج كلاهما بالآخر قلباً وقالبا، وتتجلى فيهما معنى الانسانية الصحيحة، ويؤيد ذلك قوله تعالى : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» .

بالزواج يجد الزوج من زوجه خير رفيق فى الحياة يشاطره السراء والضراء، ويصون نفسه وعرضه وماله وصحته، ويخلد بأبنائه منها ذكراه فى هذه الحياة، وغير ذلك فهو عقد شريف تتوثق به أركان الهيئة الاجتماعية، وتقوم على أساسه الحضارة والعمران؛ فالزواج والحضارة متلازمان، وكلما اشتدت روابط الزوجية تضاعفت العوامل الباعثة على الحضارة والارتقاء.

وقد فك الزواج عن النساء قيود الذل والاستعباد، وأنقذهن من بيئات السقوط، فقسم الناس (وكانوا جمعاً واحداً) إلى أسر يتميز بعضها عن بعض، وأوجد الحاكم المنزلية، وربى رجالا فى البلاد، ومد أنظار الناس إلى المستقبل بما بثه فيهم من الميل إلى ذريتهم، وزاد عطف الأفراد بعضهم على بعض، وهو يكسب الرجل الشهامة وكظم الغيظ والرزانة وسرعة الخاطر وقوة الفهم وحدة الذهن والحزم والعزم والاقدام والاعتماد على النفس فى الحياة، كما يبعث فى المرأة الهمة والنشاط والغيرة والعفة وحسن المعاشرة .

لولا الزواج لما كنا ولا كانت   هذى البلاد ولا شيدت مبانيها
إن الزواج يصون النفس يعصمها   عما يحيط بعلياها ويزريها

وقد قال ابقراط: «الزواج مصدر آداب المجتمع الانسانى» وقد قال تلر «الزواج قوام العالم، وهو الذى يبنى المدن ويملأ البيوت والمعابد» وقال مونتنى «فى الزواج الفائدة والعدل والشرف والثبات وهو شركة جليلة المنافع لقيامها على العهود المتبادلة» :

الخطبة

إذا كان الزواج من الخطورة فى الحياة بمكان، فلا بد أن يعتنى باختيار الحجر الأول للأساس حتى تكون حياتنا مشيدة على صرح ممرد، وهو ككتاب ومقدمته الخطبة.

وقبل أن نتكلم فى الخطبة نأتى بلمحة من عاداتنا المتبعة فيها.

أول تلك العادات التى طالما أفسدت علينا أمر مستقبلنا، هو أن تذهب أم الزوج أو أخته أو الخاطبة

المأجورة إلى بيت « العروس » ، ومن المعلوم أن الأم أو الأخت مثلا لايهمها إلا أن الزوجة تحسن الطهي مثلا، أو شعرها جميل، أو عيونها دعجاء، أو جسمها خصب، وهكذا، ولا تنظر إلى إلى ماوراء ذلك مما عليه دعامة الأسرة من الأخلاق الفاضلة، والتربية الحقة، والآداب الكاملة، وفوق ذلك لايمكنها أن تحكم على وفق ميول الزوجين حتى ينتهي هذا الزواج بالسعادة، كذلك الخاطبة المأجورة لايهمها إلا ماتتقاضاه من الأجر، فتذهب إلى منزل « العروس » ترغبها وآلها في الزوج مهما كان منظره أو كانت طباعه أو أخلاقه، حتى تكسب رضاهم جميعاً على هذا الزوج ، ثم تعود وتحمل للزوج من الألفاظ الطلية والقول المزخرف ، مايجعل الزوج يقدم على هذا الزواج الذي ربما يكون نواة شقائه، وسبب تعاسته، وانهيار مستقبله، وهو الغالب، وقد قيل « ما كل راء خاطباً، وما كل خاطب جادا في خطبته » فما أغرب القاعدة التي نسير عليها في مسألة الزواج في وقتنا الحاضر! ما أغربها لأننا مع استقباحنا الغش واستنكارنا له نجعله أس صرح الزواج ، وكثيرون عندنا ذهبوا ضحية هذا الغش، فقضى عليهم قضاء لايفرق بشيء عن القتل، والغشاشون الجناة لايطالبون بجريمة ولا يؤاخذون بذنب .

فطريقتنا هذه في الزواج مجحفة بحقوق الزوجين ، وهل عادة أقبح من أن يساوم فرد آخر على حرية شخص، على أن تنتهي هذه المساومة باجتماع شخصين معاً في مسكن واحد قبل أن يرى أحدهما الآخر ، أو يعرف شيئاً عن أخلاقه وعاداته؟!

لقد أباح الشرع الشريف لنا أن يخطب الرجل زوجه ويبصر مخطوبته، والنظر رسول القلب، والاستحسان علة الحب، والحب علة ذلك الكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية ، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة حين خطب امرأة « أنظرت إليها؟ » أجاب: لا ، فقال عليه السلام « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » أي أن النظر خليق بأن يصلح بينكما ليدوم بينكما الوفاق : فإذا لم ترق المخطوبة في عين خطيبها بعد رؤيتها ، وامتنع عن الاقتران بها فماذا يكون الحال ؟ الجواب : يجب ألا تشهر الخطبة قبل الزواج .

كيف يخطب الرجل قرينته ؟

لهذه المناسبة يستحسن أن أقول: إن الشريعة السمحاء لم تبح معاشرة الرجل خطيبته للوقوف على طباعها وأخلاقها وعاداتها كما يفعل الغربيون قبل العقد الشرعي، وذلك خشية الفتنة ، ومع هذا، فالمعاشرة قبل الزواج لاتكشف اللثام عن حقيقة الأخلاق والطباع، لأن الفتاة إذا كانت بمرأى ومسمع من خطيبها، تتكلف الظهور أمامه بالمظهر الذي تتوقع أنه يرضيه، كما يحاول هو أيضاً التجمل بالصفات الحميدة ليروق في نظرها ، فاذا ماتم الزواج ارتفع الستار عن الأخلاق الحقيقية، وانكشف الطلاء الذهبي عن خبث الحديد، وهنا يقعان في شرك البؤس والشقاء : فالشريعة حقاً قضت بما فيه مصلحة الفريقين، ولكني لا أزال أعتقد بأن السماح برؤية المخطوبة

لايفيد كثيراً، لأن للرؤية نظراً خادعاً فى بعض الأحيان، كما أن استحسان الصور فى تخير الأزواج لايكفى، وخصوصاً أن الزواج فى العادة يعقد فى سن الشباب، وهى السن التى تتأجج فيها العواطف والشهوات، والشاب كثيراً ما يعتقد أن السعادة لاتكون إلا بالحب، وهو بالطبع ند يحب لنظرة، وهذا اعتقاد صالح، فان الحب جوهر لا يخلو منه قلب بشر، لأنه كون بوساطته، وهو من أشرف العواطف التى تهذب بها النفس، ومن أكبر المؤثرات على قلب المحب وأخلاقه وميوله، حتى أن هذا السر العجيب الذى يدعونه «حبا» قد يجعل الشرس وديعاً، والقاسى حنوناً شفيقاً، والمتصلب ملايناً، والمحارب مسالماً، وهو جوهر يمتاز به الانسان عن كل مخلوق فى الوجود إن لم يدنسه ويلقه فى الأقذار.

والفضل لمن بدد عن حبه غيوم الفساد، وجعله يظهر للعموم بنوره المتلألىء، والواقع أن السعادة لاتكون فى شىء من الأشياء: فى الزواج، أو العمل، أو المعيشة، أو غيرها حتى تشعر فيها بالرقى المتواصل، ونرقى منها إلى هذا الرقى، فادمنا فى ارتقاء فنحن فى تطور هانئين بهذا التطور الذى هو لباب النفس الانسانية.

ولذلك فان الحب يثبت ويبقى إذا كان مقروناً إلى التبعات التى يتطلبها الرقى، فهذه التبعات تغذوه وتبقيه وتتسامى به، وهذه التبعات هى التى تلجئنى إلى استباحة الشريعة السمحة بالمعاشرة قبل العقد الشرعى، وإلى جانب هذه التبعات عدم علم المخطوبة بأن هذا الشاب يريد الاقتران بها، وبذلك يتمكن من عجم عود أخلاقها، ودرس آدابها، وتربيتها، وعاداتها، فلا تتكلف خلاف طبيعتها التى فطرت عليها، وما دام الشاب متيقظاً إلى هذه التبعات، ويقدر مستقبله، لا يمكن أن تتطلع نفسه إلى مادون ذلك من خيانة، حتى يعبث بعفاف الفتاة كما يظنه البعض بسبب الاختلاط قبل العقد الشرعى، وعلى ذلك لانخشى الفتنة التى يحذرنا الشرع منها ممن يريد الزواج حقاً.

وإن تكلمت الآن لاأتكلم إلا عن شخص طاهر النفس، كريم المحتد يريد مستقبلا زاهرا لا تشوبه شائبة أو يمسه غبار.

ونستدل على مسئولية التبعات وأهميتها بمقارنة هاتين الدولتين:

الزواج الفرنسى، مع أنه لا يقوم على الحب بل ينطوى فى الأكثر على اعتبارات مالية، يعيش ويدوم أكثر من الزواج الروسى القائم على الحب، أو ما يعتقده الشاب الروسى أنه حب، وذلك لأن المتزوجين فى فرنسا يرميان من زواجها إلى تأسيس أسرة يشتركان فى تقويمها ودعمها بالمال، فاذا لم يكن بينهما حب فهذا الاشتراك فى القصد والوسيلة يربطهما مدى الحياة، ولست بذلك أنقص قيمة الحب، بل أعنى أن الشاب كثيراً ما يخطىء معناه وينظر إليه باعتباره جوعاً جنسياً، وهو بهذا الاعتبار سريع الفناء لايثبت عليه بناء الأسرة، أما إذا نظر إليه كوسيلة للرقى، لها تبعاتها، فانه بلا شك يكون من أوكد الوسائل لتحقيق السعادة.

وبجانب ماتقدم لاننسى أن استشارة البنت حق من حقوقها قبل زواجها، ولكن الكثيرين يزوجون بناتهم من يشاءون، مخدوعين بالأحوال الظاهرة والدراهم الوفيرة، غير مراعين النسبة بين الزوجين، فيقذفون ببناتهم فى هذه التعاسة والشقاء، ويسددون فى وجوههن أبواب الرحمة والهناءة، ويميتون فى نفوسهن روح العمل، بل وما انبث فيها من العواطف بالتربية القويمة، فتصبح الفتاة المسكينة كحبة زرعت فى أرض مجدبة، أو فى غير أوانها، فلا نبات ينبت، ولا ثمرة ترتجى، وسرعان ماترى الخلاف حل محل الائتلاف.

الزواج أمر خطير الشأن، كما قيل « الزواج حياة أوموت. وليس هنالك بين بين » يجب الامعان فيه قبل الاقدام عليه، والزواج الذى يبنى على غايات ومآرب، ولا ينظر فيه إلى ائتلاف قلبى الزوجين هو زواج فاسد، وغير ذلك فان الزواج القهرى الذى تذهب إليه الفتاة أو الفتى انصياعا لأمر الآباء أو أحد الآل ليس بزواج، بل هو علة ومرض يتقوض بناؤه بزوال ذلك الغرض، بل هو المصيبة الدهماء فى الليلة الظلماء.

إن للآباء حقاً على البنين، لكن لذلك الحق روابط وحدوداً، حقا إن للأبوين سلطة تخولهما تسيير أبنائهم فى الطريق التى يستحسنونها، ولكن من الشروط اللازمة أن يكون لهما خبرة ودراية وحكمة يعرفان بها كيفية التأثير على ميول الأبناء وعواطفهم، ويجب أن يخضع الأبناء لتلك السلطة طالما الوالدان يقدمان الواجب على العاطفة، وطالما يحكمان عن ضمير حى، ووجدان سليم، نرى الشاب يبحث عن فتاة توافقه ليجعلها رفيقة حياته فيجدها، لكنه لا يأمن قبول والدته لها مثلا، لأن تلك الوالدة تكون قد عرفت فتاة بشت لها وتوددت إليها، مظهرة لها خضوعاً وانقياداً، وما أكثر اغترار أمهات الشبان بزلفات البنات الطامعات فى رضاهن، ولا يلبث الولد أن يعلن لوالدته رغبته فى الزواج ممن اختارها لنفسه رفيقة، حتى تهب لتبيان نقائص تلك التى اختارها، حتى ولو لم يكن فيها نقيصة، وعبثاً يحاول إقناع والدته وحملها على الرجوع عن حكمها، فيجب على ذوى الأمور أن يمنحوا أبناءهم حرية الاستشارة حتى يتم بين الزوجين الوفاق، كما أنه يجب على البنت أن تكون صريحة وإلا ساء المآل.

إن أرغموك على زواج فاسد ذرهم فصفو المرغمين شقاء
ولتذكرن العلم إثر عفافها ولتنبذن المال فهو هواء

مصطفى جاد أبو العلا

واجبـــــــــات المربى

للاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ التربية وعلم النفس بكلية أصول الدين

لست الان بصدد الوعظ والارشاد، أو الاصلاح الدينى أو الاجتماعى، فلهذا رجال اختصوا بها؛ ولكنى أقف موقف المربى، فعلى أن أبين مايجب على المربى عمله كى يقوم بالأمر الذى ألقى على عاتقه خير قيام .

ولست أقصد بالمربى المدرس فى المدرسة فقط، بل أريد به كل شخص مسؤول عهد إليه بتربية النشء ، وعلى الأخص الوالدين.

وأهم ما يجب على المربين مراعاته بالنسبة لقوانين الوراثة :—

أولا : أن ينتهزوا كل فرصة ممكنة لتعليم النشء هذه القوانين — فمن الواجب على الاباء أن يعلموا أبناءهم قواعد الوراثة بالطرق التى يرونها ملائمة لهم حينما يبلغون السن الكافية، وعلى الأمهات أن يعلمن بناتهن هذه القواعد فى الأوقات المناسبة، وبالطرق المنتجة .

ولما كانت عقول كثير من رجالنا ونسائنا لم تنضج بعد، أو لم تساعدهم التربية الماضية على تعرف تلك القوانين، صار من الواجب على المعلمين والمعلمات أن يأخذوا على عاتقهم القيام بهذه المهمة .

وليس الغرض من ذلك أن نضيف العلم بوظائف أعضاء التناسل وبأمراضها وبقوانين الوراثة إلى منهج الدراسة الغاص بالمواد؛ ولكنا نريد أن يبدأ بالكلام فى هذه الموضوعات عند الفرص المناسبة، وبالطرق الملائمة، كما سبق، وهذا عمل يمكن للمؤدبين المخلصين القيام به.

فعلى عميد الأسرة فى البيت، ومؤدبى التلامذة فى المدرسة، أن يلقوا على رجال المستقبل وأمهاته من المعلومات التناسلية ما يساعدهم على تنظيم شؤونهم الزوجية، ويهديهم إلى تحسين النوع الانسانى فى المستقبل .

لندع الحياء جانباً، فهذا أمر من الأمور الحيوية التى يضر فيها الحياء، ولا ينشأ عنه إلا مشاكل اجتماعية وأخطاء قد لا يمكن ملافاتها ، ولنأخذ أبناءنا بهذه التعاليم الحيوية، ولنؤدب بناتنا على الأخص هذا الأدب ، ولنعلمهن الحقيقة التى لا مراء فيها ، والتى يمكن تصديقها بفطرتهن، تلك

هى ألا سعـادة فى الحياة تضارع سعادة المرأة التى ترى أبناءها وبناتها متمتعين بالسعادة، عائشين عيشة قوامها الصحة الـكاملة، وأساسها الأخلاق القويمة، ومن أهم الوسائل الموصلة إلى هذه السعادة: العلم بالشؤون الزوجية الوراثية .

هذا مايجب بالنسبة للنشء، أما مايجب بالنسبة للنساء والرجال البالغين المتزوجين منهم وغير المتزوجين، فهو:

أولا: إنارة عقولهم وتزويدهم بالمعلومات الضرورية فى هذه المسائل ـ التى نحن بصددها ـ بالطرق المختلفة المناسبة لهم: كالقاء المحاضرات الخاصة، ونشر الـكتب النافعة، وإنشاء مراكز طبية للاستشارة.

ثانياً : أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تشجيع الصفات الوراثية القوية للوصول بقوتها إلى أقصى حد ممكن .

كلنا يعرف أننا متفاوتون فى الملـكات: فمنا من عنده استعداد فنى، ومنا من له ميل طبعى نحو العلم، وفينا من ترتاح نفسه إلى العمليات، وفينا من يحب البحث فى النظريات؛ فمن غير المعقول، بل من العبث، أن نرغم من عنده ميل فطرى واستعداد ذاتى لتعلم العلوم على أن يحول مجرى حياته فيوجد فى نفسه ميلا للفنون، كذلك لاينبغى لنا أن نرغم الفنان على أن يكون عالماً، بل الواجب أن نشجع كلا على السير فى طريقـه، والوصول إلى الغاية التى أرادتها له طبيعته، فربما يصبح من المهرة البارعين، والأشخاص البارزين فى عالمه الخاص، وإننا إن أردناه على غير ذلك، فربما يكون نصيبه الفشـل وخيبة الأمل، ويكون نصيب المجتمع، الحرمان من الانتفاع بمواهبه فى الطريق التى عنده استعداد فطرى لسلوكها .

وإذا علمنا أن إمكان تربية الملـكات كلها، فى شخص واحد بنسبة واحدة، من المسائل الخلافية التى لم يتفق عليها علماء التربية، تبين لنا أنه ربما يكون من العبث أن نحاول أن نجعل الناشىء من أبنائنا ماهراً فى كل شىء بنسبة واحدة، فان فى ذلك قضاء على ملـكته الخاصة، وحجراً على مميزاته الفردية، ومكونات شخصيته التى تجعله شخصاً ممتازا عن غيره من الأشخاص فى ناحية ما.

ولا نعنى بذلك أن نهمل نقط الضعف الوراثية فى الناشىء، ولـكن الغرض أن تـكون عنايتنا موجهة ـ على الأخص ـ نحو النقط القوية، وإن كنا فى الوقت نفسه نعنى بالنقط الضعيفة فنقويهـا بدون مغالاة ولا إكراه، بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى، على حسب ما تسمح به الظروف

ثالثاً : ألا يتسرعوا فى الحـكم، فلا ينبغى لهم أن يحكموا على من تظهر عليه علائم النجابة، بأنه مبرأ من صفات النقص، وعلى من ترى عليه أمارات النقص أنه خال من صفات حسنة، بل الواجب أن يعرفوا أنه لايخلو العنصر الرشيد من عيب كامن فى نفسه، مهما خفى عنا، وأن العناصر السيئة لاتعدم صفات حسنة، وإن عزبت عن ملاحظاتنا .

أما صفات النقص المفروض وجودها فى العناصر الجيدة، فلا داعى للبحث عنها إذا لم تظهر؛

واما الصفات الحسنة التى لاتخلو منها العناصر السيئة، فلا بد من البحث عنها بكل الوسائل الممكنة، فاذا ظهر على ابنك أو على تلميذك الغباوة العامة، فلاتيأس من أن تجده ذكياً ماهراً فى ناحية ما، وإذا تراءى لك أن تلميذك ضعيف فى جميع المواد الدراسية، فاعز ذلك لسبب أو أسباب، فابحث عن جميع الأسباب التى تظنها مسؤولة عن هذا الضعف، فاذا عثرت على السبب الذى يعزى إليه ذلك الضعف، فاجتهد فى إزالته، وأنا أؤكد لك أن هذا الذى تراه معيباً اليوم يصبح فى الغد ذكيا ولو بعض الذكاء.

وإنا نعلم أن كثيراً من الأغبياء فى الظاهر، أذكياء فى أنفسهم، وإنما تنقصهم الثقة بالنفس، أو الراحة العقلية، أو يعوزهم بعض التشجيع، وقد يرجع السبب فى غباوتهم إلى البيئة التى يتلقون فيها الدروس، أو البيئة التى يسكنونها، أو إلى ضعف فى الصحة، أو عدم ملاءمة المواد التى يدرسونها لاستعدادهم الفكرى، فاسع فى إزالة ما تراه من هذه الموانع بقدر مايمكنك، وأورد تلاميذك على جميع المناهل، فربما يستعذبون النهل من أحدها.

وبالجملة حاول أن توقظ ماعساه أن يكون نائما من ملكات تلميذك، وكما أن إيقاظ النائم يحتاج إلى شىء من الحكمة والرفق والملاطفة واللين، ومعرفة مايميل إليه النائم وما لا يميل إليه، وما يتأثر به وما لايتأثر، فكذلك يحتاج المربى الذى عليه أن يوقظ النائم من استعدادات تلميذه إلى شىء كثير من الحزم والرفق، كى لا تتشابه عليه الأمور فيضل سواء السبيل.

رابعاً: أن يدرسوا من يربون دراسة تامة؛ فكما أن من يريد إدارة آلة من الآلات كما يجب، ينبغى له أن يعرف أجزاءها ويحيط بمحتوياتها علماً، كذلك يجب على من يريد إدارة الآلة الانسانية الكثيرة الأجزاء المتعددة الأجهزة أن يعرفها حق المعرفة، فالمربى الجيد لابد أن يكون على علم تام بمن يربى، وذلك لا يكون إلا بدراسته ودراسة طبائعه وميوله، فهو كالطبيب الذى يفحص المريض أولا، ويشخص الداء ثم يصف الدواء، وليس الطفل - كما يقول البعض - كالصحيفة البيضاء التى تكتب عليها ما تريد، ولا كالحجر الأملس الذى تنقش عليه ماتود، ولا كالصلصال المرن الذى يمكنك أن تجعل منه أى شكل يتراءى لك وتصوره كيفما تشاء، ولكنه جسم حى، وكائن معقد التركيب يأتى إلى المدرسة، بل يأتى إلى هذا الوجود وقد زودته الوراثة بكثير من الميول والغرائز والمواهب، وليس هناك من شخصين متساويين تمام المساواة فى هذه الأمور حتى ولا التوءمان.

فعلى المربى الكامل: أن يدرس كل هذه ويعرفها معرفة تامة، ثم يعامل كل شخص على حسب طبيعته، ولا يكون كالفخارى الذى يصور الطين بصورة واحدة لوضعه فى قالب واحد، وليس للتربية أن تجمع النشء الذين ينتمون إلى أصول مختلفة وبيوتات تكاد تكون متباينة فى الأمور الوراثية فى صعيد واحد، وتنتظر منهم أن يتلقوا ما يلقى عليهم بنسبة واحدة، وإنما مثل

المربى، كمثل ضارب النقود الذى يفرق بين الذهب والفضة، وبين المعدن والنحاس، فيصنع من كل، النقد الذى يلائمه، فلا يصنع من الذهب ريالات، ولا من الفضة جنيهات ذهبية، فانه لو فعل ذلك لحسبه الناس مجنوناً، ولما عهدوا إليه بمثل هذا العمل الذى لا يحسنه .

فعلى المربى إذن: ألا يعامل كل من عهد إليه بتربيتهم معاملة واحدة، وألا يطبق عليهم كلهم قانوناً واحداً جافاً لاحياة فيه ولا مرونة، وعليه أن يشخص الداء ثم يصف الدواء، فلكل داء دواء.

بيد أن مرض النفس قد يستعصى على طبيب النفوس، وهو المربى، فيصبح المتربى مشكلة من المشاكل، أو لغزاً من الألغاز التى يصعب حلها؛ ومع ذلك لا يصح للمربى حتى فى هذه الحالة أن يقف خائر العزيمة يقلب كفيه على ما أنفق من الوقت بدون جدوى، بل عليه أن ينتقل خطوة أخرى، تلك هى دراسة الأسرة التى نشأ منها المتربى، وعلى الأخص أبويه، فان أحوال الوالدين وصفاتهما الوراثية قد تنير الطريق أمام المربى فيمكنه أن يكشف ما غم عليه من أحوال المتربى، فما الولد إلا صورة مصغرة من آبائه بحكم الوراثة .

ولذا قد يضطر المربى لدراسة الطائفة أو الشعب أو الجنس الذى ينتمى إليه الفرد فى البلاد التى تمتزج فيها الشعوب بعضها ببعض، ويحصل فيما بينها التصاهر؛ فاذا عرف المربى ميول تلميذه معرفة جيدة، وكان على بينة من مميزات الأسرة والبيئة اللتين نشأ فيهما، وعلم تمام العلم خصائص الجنس الذى ينتمى إليه، فانه يكون من السهل عليه أن يبدأ عمله ويؤسسه على أساس متين لا يتطرق إليه الوهن .

ومن ذلك كله يتبين لك تفوق الطريقة الانفرادية فى التربية على الطريقة الجمعية؛ إذ باتباع الأولى يتسنى للمربى أن يدرس طبائع تلاميذه الذين يكون عددهم بالطبع محدوداً، ويمكن أن يعامل كلا بما يراه مناسباً لطبيعته وميوله .

أما فى الطريقة الجمعية، فان ذلك يصبح متعذراً، لكثرة عدد التلاميذ وتفاوتهم فى الاستعدادات، وصعوبة دراسة أحوالهم كلهم ، وقلة الفائدة من اتباع طريقة واحدة فى تربيتهم: ولذا يقترح بعض المربين على من يدرس لمجموعة من التلاميذ، أن يلقى الدرس بطرق مختلفة، ويسلك فيه مسالك متعددة، فمن لا يستفيد من طريقة يستفيد من أخرى، ومن لا يفهم تعبيراً قد يفهم تعبيراً آخر؛ وفى ذلك من الصعوبة ومن ضياع الوقت على بعض التلاميذ ما فيه.

خامساً : أن يعنوا بشؤون البنت عناية خاصة .

إننا أثناء بحثنا لم نرد بذكر التلميذ قصر العناية على الذكور، ولكن أردنا بذلك ما يشمل التلميذة أيضاً ، بل إننا نذهب أبعد من ذلك فنقول : إن من أوجب الواجبات أن نعنى بشأن البنت عناية خاصة ــ لا سيما فى بلادنا المصرية ، فانها بالاضافة إلى كونها أحد الأصلين اللذين تنتقل نصف صفاتها الخلقية والخلقية إلى الطفل بالوراثة ــ تعتبر الشخصية المسؤولة مباشرة عن الجنين، وعن حياة الطفل الأولى .

ولما لها من المنزلة الكبرى والمكانة العليا فى عالم التربية، كان لها من الحقوق فى التربية أكثر مما لأخيها، فانها لن تكون أما كاملة قادرة على تنشئة أولادها تنشئة كاملة إلا إذا أعدت لذلك العمل إعداداً تاماً .

وهذا الاعداد يطلب أمرين: أحدهما هو صحتها الجسمية والعقلية كما سبق، وثانيهما تزويدها بالمعلومات الكافية اللازمة للمحافظة على صحة الطفل والقيام بشؤونه حق القيام، لا بعد الميلاد فقط، ولكن قبل الولادة أيضاً .

ويؤخذ من ذلك أننا لا نذهب فى تربية البنت مذهب من يسوونها بالولد من جميع الوجوه تقريباً ؛ بل إننا نقول إنه من الواجب أن نسلك بالبنت والولد مسلكا طبيعياً، ونسير بهما سيراً ملائما لتكوينهما الفطرى .

فالله تعالى خلق الرجل ليكون رجلا، والمرأة لتكون امرأة، وأراد أن يكون عمل كل منهما فى الحياة مكملا لعمل الآخر لا مساويا له؛ وإذا أردنا المرأة على أن تخرج عن دائرتها التى حددتها لها فطرتها، فان أحد أمرين واقع لا محالة: فاما أن ينقلب نظام المجتمع انقلاباً ليس من مصلحة النوع الانسانى ولا من سعادته فى شىء، وإما أن تتغلب طبيعة المرأة عليها فترجع إلى رشدها.

وإننا نرى الأمرين واقعين فى البلاد المتمدينة، حيث أخذت المرأة تتعدى على حقوق الرجل وتزاحمه فى معارك الحياة، وتترك معركتها الخاصة بها .

وبهذه المناسبة يقول مرب أمريكى كبير: « إنى مع عدم تعرضى لبحث تلك المشكلة التى قتلها الناس بحثاً فى كل زمان ومكان، ألا وهى مشكلة منزلة المرأة فى المجتمع، لا أرى مانعا من التصريح برأيى فى هذه المسألة بكل بساطة فأقول :

« إن المرأة يجب أن تربى تربية تكفل سعادتها وتضمن سعادة زوجها فى آن واحد، فيجب أن تعد نفسها للقيام بمهمة خاصة، لا للقيام بمهام عامة؛ فتعد نفسها للبيت والمدرسة لا لمنبر الوعظ، ولا لمنصة القضاء، ومن الواجب أن تكون تربيتها على نسق تربية أخيها؛ لكن فى النظام والطرق على العموم، لا فى المناهج والطرق الخاصة ، حيث يجب مراعاة طبيعة المرأة الخاصة ووظيفتها فى الحياة القاصرة عليها »

« ومن أهم ما يجب عليها معرفته أمران هما: التدبير المنزلى، وواجبات الأمومة، وهذا ما أظنه جارياً على فطرة المرأة، وهذه هى المبادىء التى سيكون لها الفوز والنصر المؤزر، عاجلا أو آجلا، وحينما يعلن انتصارها النهائى، وتحتل المرأة مركزها الجدير بها فى المجتمع، وفى المدرسة وفى البيت، تصبح إذن الركن الركين، والعماد الوحيد الذى يعتمد عليه فى تحسين أحوال النوع، والانتفاع بقوانين الوراثة إلى أقصى حد ممكن »

« وستعلم المرأة حينئذ أن هذه هى وظيفتها الحيوية فى المجتمع، وهى الوظيفة التى توقف

عليها سعادتها الكاملة ، مهما تظاهرت بأنها ترى سعادتها فى غيرها من الوظائف، ومهما ادعت أنها قانعة بحياتها حين تقوم بأعمال هى إلى أعمال الرجل أقرب وإليه أنسب »

هذه حقائق لا يكاد يشك فى صحتها من له إلمام بأحوال المجتمعات التى تمنح فيها الحرية للمرأة بلا قيد ولا شرط، فتجد من هذه الحرية زريعة إلى الاستقلال الاقتصادى والاستغناء عن الزوج، فيترتب على ذلك: انهيار نظام الأسرة من أساسه، وقلة النسل، وكثرة العمال العاطلين من الرجال؛ وفى آخر الأمر نرى طبيعة المرأة تتغلب عليها فتهيم على وجهها، وترجع إلى رشدها؛ ولكن بعد أن يفوت الوقت المناسب، فتضطر إلى إرضاء طبيعتها بطرق غير مشروعة .

وما أشد حاجتنا إلى الانتفاع بمثل هذه النصائح التى يلقيها علينا علماء التربية فى البلاد الأوربية وغيرها من الممالك المتمدينة، فإنهم لم يصلوا إلى هذه النتائج إلا بعد التجارب والبحث الفنيين؛ وإذا كانت هذه التجربة (أى تجربة تربية البنت) على نسق تربية الولد لم تفلح تماماً فى البلاد الأجنبية التى ضربت فى الحضارة بسهم، فما بالنا نتمسك بأذيال ذلك النظام الذى لم يرض به واضعوه، ولم يطمئن إليه أصحابه؟ وما لنا نترك تقاليدنا الاجتماعية، ونتجاهل طبيعة بلادنا ومميزات شعبنا، ونحاول أن نقلد أقواماً لا يمتون إلينا بصلة ، ولا تجمعنا بهم رابطة ؟ ولماذا نغض الطرف عن المسائل الأساسية، ونعلق أهمية كبرى على الأمور الكمالية التى لا يصح أن نفكر فيها إلا بعد تقويم البنت، وتحسين أحوال المعيشة المنزلية التى وصلت فى بلادنا إلى حالة لا يصح السكوت عليها؟

إننا لا نريد من بناتنا أن يكن: مهندسات، ولا قاضيات، ولا محاميات، ولا عالمات بالكيمياء، والطبيعة، والتاريخ، والجغرافيا، حتى ولا موظفات فى مصالح الحكومة، فلدينا من الرجال من هم أكثر عدداً من هذه الوظائف كثرة فاحشة .

ولكننا نريد منهن أن يكن ربات بيوت وأمهات بمعنى الكلمة، والبنت لكى تعد نفسها لأن تكون ربة بيت وأماً كاملة، يجب عليها أن تتعلم أشياء عدة قد تقضى فى تعلمها سنى شبابها، بل وحياتها كلها إذا أرادت، فلا تجد وقتاً كافيا لتلك الأمور الكمالية الزائدة عن الحاجة .

أليس من الواجب أن يتعلم بناتنا: تدبير الصحة، وعلم وظائف الأعضاء، وعلوم النفس، والتربية، وتدبير المنزل، والموسيقى، بدلا من أن يتوغلن فى تعلم التاريخ والجغرافيا والكيمياء والطبيعة ؟

وهل من الحزم أن نرسل بناتنا إلى الخارج ليتخصصن فى التاريخ أو الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة، ونحن أحوج ما نكون إلى مربيات قديرات ملمات بشؤون التربية من جميع أطرافها؟

إنى لا أريد أن يغلق الباب فى وجه النابغات منهن، فأحرم عليهن التخصص فى مادة قد يكون لدى بعضهن استعداد كبير لها؛ ولكنى أرى أن المجتمع المصرى أحوج فى الوقت الحاضر إلى مهات متعلمات منه إلى رياضيات أو مؤرخات؛ ولا أنكر أن الأمة الراقية لا بد أن يكون فيها النابغون والنابغات فى جميع العلوم والفنون؛ ولكنى فى الوقت نفسه مقتنع بأنه من العبث بل من الحمق ان نعنى بالكماليات قبل أن نعنى بالضروريات .

حامد عبدالقادر

نظريات فى

نشأة التطور الاخلاقى

للمربية الفضلى : السيدة نظلة الحكيم

تكلمت الكاتبة الفاضلة فى العدد السابق عن أن الاخلاق لا تتم الا فى العمل، ودعمت رأيها بمباحث طلية مستمدة من علم الحياة ، فتحدثت عن نشأة الكائن نباتا كان أم حيوانا، دنيئا كان ام راقيا ، وأثبتت أن هذه النشأة ان هى الا حرب مع البيئة لا يحيا فيها الا الاصلح والاقوى ، ولكن المدنية الفاسدة سطت على ميدان الفطرة والطبيعة ، فامتطى المجد من ليس اهلا له ، وارتقى المناصب غير ذوى الخبرة والمقدرة، وفى هذا المقال تتمة هذا البحث الممتع ؟ المحرر

ما الذى حمل رجلا كجون استيوارد مل J.S.MiLL على طول المناداة بأهمية الفرد فى حد ذاته، وفى نفس الوقت كان يحمل حملة شعواء على أصناف الحكومات، حتى الديموقراطى منها ؟ لأنه كان يجهل قيمة النظام ؟ أم لأنه كان يظن أنه من الممكن أن تسير دفة الأمور فى أية بلد بدون حكومة ؟

كلا ! إنه أولا رأى أن وجود الحكومات ضرر لا بد منه؛ ولكنه رأى أيضا أهمية الفرد ومقدار ما تجنيه الأمم من الأفراد ، إذا ما أعملوا الفكر ووجدوا الجو المناسب للعمل الذى ينمى مواهبهم ، ويشجع ابتكارهم ؛ ولم يقع (مل) فى خطأ (هيجل) الألمانى الذى أنكر حياة الفرد إلا فى ظل الحكومات والدول .

فكان (مل) ينقم من الحكومات لمجرد اعتقاده بأن للحكومات نظما تدعو إلى توحيد الأعمال وسيرها على نمط واحد، مما قد يقيد تفكير الفرد ويحصره فى نواحى معينة، كى يتمشى مع روح النظام الحكومى ، فكيف بك يا (مل) الآن إذا كنت معنا ، وعلمت أن الحكومات فى الوقت الحاضر - حتى فى أرقى البلدان - سائرة إلى خطأ أكبر، إذ هى فى الواقع تشجع الفرد على الكسل وعدم إعمال فكره ، فتحمله بذلك على أن يصبح عالة على الأمة ، يمتص من دمها ولا يعوضها شيئا فى نظيره ؟

إذا فكرنا فى أحوال المحسوبية وغيرها، مما أثقل كاهل ماليات الأمم، بالرغم من أنها تئن تحت أعباء أزمات مالية، وصناعية، وعلمية ، وفكرنا فى حظوظ الأفراد من معونة أمتهم - وسبحان من قسم الحظوظ - نجد هذا يتغنى (كالزنبور) فى خلية النحل ، وذاك يبكى انهمارا ، وذاك يفتك فيه الفقر، والمرض، والجهل، وذلك ينهش فى أموال الأمة وليس له من وظيفة إلا مشاركته لغيره فى الهواء الذى يستنشقه .

كنت أتكلم إلى رجل ألمانى فى شأن الأزمة الاقتصادية فى العالم، فتحدثنا فى أمور عدة حتى وصل بنا الحديث إلى نقطة قرر عندها هذا الرجل؛ أن متاعب الأفراد ناشئة من أن العدد الأكبر من المصالح الحكومية يديرها فئة الكتاب، وهؤلاء مع أنهم يستحقون الشكر، إلا أن إدارتهم لا بد أن تكون ناقصة بحكم نقص معلوماتهم، أما الرؤساء فلكونهم يصلون أعلى مناصبهم بدون استحقاق، فانهم يصبحون على جانب عظيم من الغرور، ولا يعبأون بالأعمال، لأن المادة التى كانوا يسعون إليها قد حصلوا عليها بسهولة، فهم يجلسون إلى مكاتبهم لامضاء الأوراق فقط، ووضع بعض الملاحظات التى كثيراً ما توضع خطأ على الأوراق، لعدم اهتمام الرئيس بقراءة الأوراق وفهم المطلوب منها. ولقد صدق هذا الرجل فيما قال «لأن عدداً كبيراً من الأفراد فى مختلف الأمم يعامل بما أسميه (الرفق المزيف) الذى يشجعهم على الكسل».

ألا إن هذه المعاملة فى حد ذاتها منافية لما أودعت الطبيعة فينا ؛ فالطبيعة قد أعدتنا للعمل وللتغلب على الصعاب فى الحياة، فان نحن عشنا حسب وحى الطبيعة، فانما نعيش جسما وعقلا، والجهاد فى الحياة هو أحسن أنواع الرياضة الطبيعية.

وصلت أعظم الأمم الآن، وأعنى بها انجلترا، إلى نتيجة عملية من جراء تشجيع العاطلين، فانها بعد الحرب الكبرى منحت مرتبات (حسب نظام THE DOLE) للرجال الذين فقدوا وظائفهم، كما أنها منحت الفتيات والنساء العاطلات إعانة أسبوعية حتى يجدن عملا يرتزقن منه ؛ فمع ما فى هذا العمل من الخير - لأنه قائم على مبدأ راق - فانه لحصول بعض التهاون، قد شجع هؤلاء الأفراد على التكاسل وعدم البحث عن عمل.

قرأت فقرة من تقرير اللجنة الملكية المكلفة بدرس مسألة الضمانات الاجتماعية وملخصها: قد بلغت النفقات الاجتماعية ١٩٢ مليون جنيه، أى نحو ٣٤ ونصف فى المائة من مجموع ميزانية النفقات، فاذا أضفنا إلى ذلك معاشات التقاعد وفوائد الديون وغير ذلك، أدركنا فداحة المبالغ التى تنفقها انجلترا على أمور غير مثمرة.

على أن أهم الأعباء التى ترزح تحتها الميزانية الانجليزية، هى أعباء الاعانات المخصصة للعمال العاطلين، والآخذة فى الازدياد من أسبوع إلى آخر ؛ فقد كان مجموع هذه الاعانات ١٢ مليون جنيه فى سنة ١٩٢٨، فبلغ فى السنة الحالية ٣٦ مليونا، وسيزيد إلى ٥٥ مليونا فى السنة المقبلة.

إزاء هذه النفقات الباهظة، وحالة الكساد، وتفاقم الأزمة الاقتصادية، رأت وزارة المالية البريطانية أن تقترح جعل المبالغ المقرر صرفها فى هذه السنة، لاعانة العمال العاطلين، الحد الأقصى لما ينفق عليهم فى المستقبل مهما بلغ عددهم ؛ وفى هذه الحالة لا بد من حصول أحد ثلاثة أمور

(١) إما أن تنقص الاعانات فلا تعد تكفى لاعانة العاطلين، (٢) وإما أن تزداد المبالغ المفروض أداؤها على أصحاب الأعمال، على ما هم عليه الآن من سوء الحال، (٣) وإما أن يكلف ولاة الأمور المحليون فى المناطق الصناعية وغيرها بمد يد المساعدة إلى العمال الذين لا عمل لهم، بمقتضى إعانة الفقراء؛ ولكن هذه الحلول كلها تؤدى إلى نتيجة واحدة، وهى ارتفاع أسعار المعيشة ونقص الصادرات.

وبديهى أن خمس سكان انجلترا لا يمكنهم أن يعيشوا إلى الأبد على نفقة الحكومة ... إلى آخر ما ورد فى تلك الفقرة.

فاذا كانت هذه هى نتيجة عمل إنسانى كهذا فى بلد من أحرص البلاد على مصالحها، فكيف بالأمم الأخرى التى تبدأ بفكرة الانتقام من الأفراد على حساب مالية الأمة؟ لقد قدمت للقارىء فى العدد الماضى أنه من أثر جهاد الكائن أو الانسان فى المرحلة الأولى من حياته تنشأ فى الجسم فضيلة المثابرة على حل مسائل ومشاكل الحياة، مع إخضاع أعضاء الجسم ليتجه فى جهات خاصة، تتناسب مع وظائفه المتباينة، كأنى بالغريزة فى هذه المرحلة الفكرية تخلى طرفها نوعا ما، وتعطى القيادة للعقل لترى إذا كان سيحسن التدبير أو يسيئه، فلم لا نعطى العقل فرصته وندعه يتعلم ويرتقى من تجاربه الخاصة؟ لم نشل حركته ونعتبره فى مهده بذلك العطف المزيف او المجاملة المرذولة؟

إن عطف الأم على ابنها الذى يؤدى إلى سلبه ميزة العمل العقلى لهو جريمة شنيعة، والرئيس الذى يجامل فى العمل إنما جريمته أكبر فظاعة، لأنه يحرم الأمم من مجهودات الأفراد، ويعودهم التواكل، مضافا إلى ذلك ما يحصل من التعدى على مبدأ العدالة القومى.

ولا شك أن حضرات القراء يعلمون أن مبدأ المجاملة ومبدأ العدالة خصمان لا يجتمعان؛ فقد علمتنا الحياة فى العمل والوظائف أن الرئيس الذى يجامل شخصا لا بد ظالم لآخر، ومميت لمواهب محسوبه؛ والشخص الذى يظل معتمداً على تفكير غيره لا يلبث أن يعود إلى مرتبته الأولى - وما هذه؟ (إنها الحيوانية - بلا ريب - التى يعمل فيها حسب وحى الغريزة لا العقل). ومع أن المرحلة الحيوانية انتهت إلى طلوع فجر العقل، بل وأوصلته إلى مرحلة - كما قدمت - أخذ الجسم فيها والعقل يتميزان بفضيلة المثابرة على الكفاح وحل المسائل، أضف إلى ذلك ما تنتجه عملية التفكير من التمييز بين الأشياء، وإيجاد أوجه الشبه والخلاف بينهما، والوقوف على نسب الأشياء بعضها لبعض، فيدرك الانسان من حقائقها الكثير، وعليه فكلما استمر الجهاد والتغلب على الصعاب، كلما انكشفت للعقل أسرار الكون، وبذلك يصل الانسان الى مرتبة سيطرة العقل بالمعنى الصحيح على الجسم ونزعاته، إذ هو يخضع الشعور كى لا يقف فى سبيل العمل المراد تأديته بناء على اختيار مبدأ خاص؛ نعم قد تثور فى نفس الانسان عوامل مختلفة عند

القيام بعمل من الأعمال : كشعور الملل ، أو الحقد ، أو اليأس والاستسلام ، أو الانانية ، وما إلى ذلك ؛ فاذا لم يسيطر العقل فى هذه الأحوال ، فقليل أن يصل الانسان إلى غاية منشودة عن طريق شريف ، لأن جميع الأعمال محفوفة بالصعاب ، وفى إخضاع الشعور لسلطان العقل مران على كبح جماح النفس الحيوانية ، وإعطاء المكانة الأولى للنفس الراقية العلوية ؛ وهنا نجد حلقة الاتصال بين نتيجة هذا التحليل، وبين نظرية الصوفية، من حيث تقسيم النفس: بالأمارة، واللوامة، والممتحنة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية .

وقد رأيت أن أشير إلى مبدأ الصوفية ، لأن هذا التقسيم إنما هو نتيجة عمل فكرى أعقبه تحليل نفسى، ليكن ما يكون إن خطأ أو صوابا، ولكنه مثل للصوفيين نتيجة قبلتها عقولهم واطمأنوا إليها واسترشدوا بها فى حياتهم الفعلية ، فوجه الشبه هنا منظور إليه على اعتبار النظريات التحليلية السابقة من حيث إنها سلسلة تدرج إلى الرقى فى كفاح النفس ومغالبة الظروف المحيطة للوصول إلى الأفق الأعلى من مراتبها ، ولذلك فالعمل والتفكير هما خير الطرق للتهذيب .

ومبدأ هذه السلسلة من حيث التدرج والرقى، يضع الأساس الأول لفضيلة المثابرة ، وهنا يصح الانتفاع برأى أفلاطون القائل: بأن الفضيلة تأتى عن طريق العادة ، إذاً يتضح أن من نتائج فضيلة المثابرة تكوين فضيلة أخرى هى فضيلة الشجاعة والاقدام ، لأن الفوز مع المثابرة يشجع على التغلب على جزء آخر من الصعاب ، فما كان يصعب على النفس مغالبته فى المبدأ يصبح سهل التناول فى الكفاح ، ويقوى العزم على مواجهة ما هو أكبر منها خطراً ومسئولية ، وبنجاح الانسان فى اجتياز الصعوبات تتولد فيه فضيلة الاباء ، والاباء هو أن يربأ الانسان من أن يستحل لنفسه ما اكتسبه غيره ، فيعرف لنفسه حقها ، ولغيره حقه ، ولا يركن أو يعتمد على أحد ، وبذلك تكون شجاعته موجهة لما هو فى مقدوره ، (وهذا يزيل منه رذيلة الغرور والاقدام على ما لا يستطيعه) . هذا هو ما أقصده بالاباء فى معناه العملى، والعاقل من قاس مقدرته على مقدرة غيره واعترف بالحقيقة ، فالاعتراف بالحق فضيلة وإباء .

ونتيجة الاباء تؤدى إلى فضيلة الثقة بالنفس إلى حد معين، وهذه تبعد الانسان عن التماس المعونة من الآخرين بلا حق ولا موجب ، وتربأ به عن إذلال نفسه فى الرجاء وإخضاع عزتها إلى ما لا يلائم كرامتها ؛ لأن حق النفس يحتم - منطقيا - أن ينحصر فى نيلها ما هو مشروع لجهدها ، لا على أنه مكافأة لم تكتسبه بالفعل .

إن الانسان إذا نجح فى مساعيه يكون قد حقق الغاية ، التى عمل لها على مبدأ اقتنع بصحته قبل البدء فى العمل، ويكون بذلك قد اكتسب ما عمل لبلوغه بشرف ونبل، وإن هو أخفق من حيث النتيجة، فقد اكتسب الخبرة ولم يعرض بكرامته إلى الهوان ؛ ومعنى هذا أن الأجر يساوى الجهد، وفى هذا أكبر معنى للعدل .

ومن النجاح والاخفاق فى ميدان الحياة تتولد فى النفس فضيلة الصبر، ففضيلة الاعتراف بمواطن الضعف، وبذلك لاتمرض نفسه بداء الغيرة ممن بزوه أو يبزونه فى الحياة فى ناحيةمن نواحيها، لأنه بخبرته للأمور ومعرفته لمقدار ما تتطلبه من مجهود، يستيقظ فيه شعور تقدير الآخرين، فيمتدح فيهم شجاعتهم ويحترم مواهبهم ومؤهلاتهم، وبذلك تشفى نفسه من داء الحقد، ويتحلى بفضيلة العدل، فلا ينتصر إلا للمستحق، لأنه يرى نوعا من السعادة فى تأييد مبدأ العدالة لذاته،وهو إن نقم ممن ينال ما لا يستحق، فما ذلك لأنه يحقد عليه فى شخصه، وإنما لأن شعور العدالة الذى بنفسه يتأذى لاذلال العدل فى ذاته، دون تأثر بالعوامل الشخصية، ويمكن أن يقوم البرهان على صدق هذه الظاهرة فى كثير من حوادث الحياة: فمثلا إذا سمعنا بأن أحداً جد واجتهد، ثم تغلب عليه غيره بدون وجه حق، فاننا نتألم مع الشخص المظلوم، ونثور ضد الظالم، لامراعاة للأشخاص ولكن مراعاة للعدالة.

فمثلا بعض أبطال الروايات الذين لا يقيهم إتقان الحرفة من نقمة السامعين، لأن أشخاصهم تمثل الظلم والخيانة، وقد يختفى ضعف الممثل إذا كان يمثل دور العادل أو الأمين، إذاً فالخصومة الشريفة هى التى تقوم دفاعا عن مبدأ، لا بالنسبة للمشاحنات الشخصية.

مما تقدم يتضح أن الذى خبر هذا كله،وتكونت فى نفسه هذه الفضائل، وانمحى منه ما يعادلها من الرذائل، يصبح شخصا حكيما يرى الأشياء على طبيعتها،ويقدرها بتقاديرها الحقيقية، فلا تثور نفسه لعوامل أوحوادث هوأدرى بنتائجها من غيره، ولا تهزه اضطرابات نفسية هو أعلم بطبائعها من سواه، ولو أنه فى حالته هذه يرى أمام الآخرين بحالتين:

١ — إما الجبن لأنه لايواجه الحوادث بنفس الحدة التى لا يواجهها بها قليلو الخبرة (والحدة هنا يعدها قليل الخبرة شجاعة) وهكذا الجهل بالأمور يحل الرذيلة محل الفضيلة.

٢ — وإما الغطرسة لاستخفافه بالصعاب، حالة أنه ينظر الى العالم نظرة عدم اكتراث لأنه فهم من أسرار الحياة، وميزات البشر، وسنن الطبيعة والوجود، ما جعله يقابل كل جديد بجأش ثابت، ولا يسترعى انتباهه شىء من مظاهر الحياة إلا ما احتاج فى ذاته إلى تقدير يقبله العقل باعتدال، فتنشأ فيه فضيلة الاعتدال مكملة لكل ما سبق من الفضائل، وهى فى نظرى أم الفضائل التى يعتمد عليها الانسان فى حياته.

ومن هنا يمكن التصديق بنظرية سقراط، من حيث إنه أفضل مرتبة يصل إليها الانسان،هى التى لايمكن فيها إثارة النفس بعوامل عارضية،وكذلك عبر أرسطوطاليس عن نفس المعنى بقوله: إن أحسن حياة يصل إليها الانسان هى حياة (الثيوريا) أى حياة الفكر التى لاتثور فيها عاصفة العواطف، فكل ما يمر عليه فى الحياة نجد له مكانته بين باقى خبراتنا، ومن ذلك نصل إلى الحد المتوسط، حيث نرى الأشياء فى نسبها المعتدلة، ونعطيها قيمتها المناسبة، ونشعر نحوها الشعور

القانونى بدون إفراط أو إسراف يدعو إلى التهيج، وبدون نقص أو بخل يدعو إلى عدم التوازن والارتباك، وعليه فتكون أفضل حال يصل إليها الانسان، هى تلك التى يظهر فيها هدوء الشعور بعد طول الخبرة، ومن هنا نصل إلى: مرتبة النفس المطمئنة، فالراضية، فالمرضية، ولو على مبدأ الصوفية ؛ وهذه النظريات يصح أيضاً تأييدها بمباحث علم النفس، إذ أن كل جديد وكل غريب يسترعى الانتباه ويثير الشعور، ولكن الأشياء المألوفة والتى حل الفكر رموزها مرة ما، يحتمل أن يترتب عليها، ما يحتمل أن تصل العقول البشرية الى معرفته منها، فانه يصبح من الأشياء العادية، فلا يتهيج له الانسان، وهنا نجد حلقات الاتصال بين العقول المفكرة ، فمعظم العلماء الذين فكروا فى هذه الناحية، (أى ناحية التطور الانسانى والنشوء الأخلاقى) سواء أكان تفكيرهم بدأ عن طريق البيالوجى، أو عن طريق الصوفية، أو الفلسفة، وعلم النفس الخ، فقد وصلوا جميعاً إلى نتائج متشابهة من حيث الرحلة الأخيرة، ألا وهى طمأنينة النفس، وهى بحق المرتبة التى يظهر فيها رقى الانسان الحقيقى، ومقدار الثقافة التى اكتسبها، والتى تجعله ينطق بحكمة ويتكلم بعقل.

لقد قلت الحكم فى عهدنا لعدم إعمال الفكر ، فخذوا مثلا لبعض الحكم الجارية مجرى المثل (صاحب بالين كداب) هذه حكمة لا يصل إليها إلا من جرب واستنتج، وهذه الحكمة بعينها تعب فى إثباتها أكبر علماء النفس، فقاموا بعمل مباحث طائلة حتى وصلوا فى النهاية إلى أن الانسان لا يستطيع القيام بعملين فى وقت واحد، إلا إذا عمل أحدهما بطريقة آلية، لأن قسمة الانتباه غير ممكنة .

خذوا حكمتين أخريين هما :

١ —(فى التأنى السلامة، وفى العجلة الندامة)— ٢ —(خير البر عاجله) .

نفس التناقض فى هاتين الحكمتين على قيمة الخبرة، وما تؤدى إليه من استنتاجات مقنعة فى الظرف الخاص ، هل يصل الى تلك الحكم وغيرها متقاعد كسول؟ كلا ثم كلا، إن العاطل لا تربى له أخلاق، ولا تصدر عنه حكمة، وهو إن استعمل الحكمة، فانما يفوه بها على سبيل التقليد كالببغاء .

ها نحن قد تتبعنا أطوار نشوء الكائن ووجدنا أن وصوله إلى المرتبة النهائية، مرتبة الهدوء النفسى، متوقف على مجهوده العملى .

ألا فلنعمل، ومن جد وجد، ولكل مجتهد نصيب ، العمل العمل به تحيا الأفكار، وعلى طريقه ترتقى الأمم وتحيا الجواهر باستعمالها، فجوهر العين مثلا ينعدم نوره إذا توقف إبصاره، بأن سادت الظلمة ؛ ألا وإن نور البصائر متوقف على التفكير وتتبع الحقائق، فدعونا نعش للحق بالعمل، فهو الرياضة الطبيعية المشروعة لبنى الانسان، وبه يسترد حريته ويحيا حياة مجيدة ؟

نظلة الحكيم سعيد

أبو عامر بن شهيـــــــــــد

بقلم الدكتور زكي مبارك

« ابن شهيد » اسم يطلق على عدة رجال من أعلام الأندلس، ينتسبون إلى شهيد بن عيسى ابن شهيد، مولى معاوية بن مروان بن الحكم، وكان من سبي البرابر، وقيل إنه رومي (١) وأشهر بني شهيد أبو عامر أحمد عبد الملك، وهو حفيد ابن شهيد وزير الناصر عبد الرحمن الأموي، وكان ابن شهيد الوزير معروفا بالدهاء وحسن التدبير (٢)، وكان كذلك من أبرع الشعراء، وهو الذي يقول :

ترى البدر منها طالعاً فكأنما	يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى	ومفعمة الخلخال مقعمة القلب ٣
من اللائي لم يرحلن فوق رواحل	ولا سرن يوماً في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة	وشدو كما تشدو القيان على الشرب

ولد أبو عامر سنة ٣٨٢هـ، وقد ورث عن أجداده الغرام بمظاهر الصبوة والفتوة، والشغف بملاعب الحسن والجمال، ولم يقدر له أن يظفر بما ظفر به أجداده من أسباب الجاه والمال والملك، لأن ثقل سمعه حجبه عن الاتصال بالملوك والوزراء، (٤) ولكنه انقاد لشبابه وهواه، وأسلم زمامه لفطرته وطبعه، فجاء شعره ونثره في أعلى درجات البيان.

كان همّ أبي عامر أن «يعيش» ولذلك أجمع من عرضوا لذكره على وصفه بالتهتك (٥).

والعيش في عرف أبي عامر بن شهيد، هو مجموعة من الحسن والخمر والأدب؛ فالحياة عنده: وجه أصبح، أو كأس مترعة، أو رسالة أنيقة، أو قصيدة بديعة، فإن خلت الدنيا من بعض ذلك فهي لغو وفضول وعيش الأديب فيها عبء ثقيل.

وما ظن القارىء برجل يبيت في الكنائس لينعم بما فيها من الخمر العتيق والحسن الطريف، ثم يقول في وصف القسيس والدير والرهبان :

---

[١] نفح الطيب ص ٣١ ج٢ طبع ليدن [٢] نفح الطيب ص ٢٤٦ ج١ [٣] القلب بالضم سوار المرأة، والمقعم بالقاف من القعم بالتحريك، وهو كما نص الفيروزابادي ميل وارتفاع في الاليتين، والمراد هنا وصف السوار بالارتفاع لامتلاء المعاصم (٤) انظر الذخيرة ج١ص١٢٣ [٥] وصفه صاحب نفح الطيب بالمنهمك في بطالته ج١ ص ٣١٩ وتحدث عنه صاحب الذخيرة فقال : أبو عامر بن شهيد فتى الطرائف — كان — بقرطبة في رقته وبراعة ظرفه خليعها المنهمك في بطالته وأعجب الناس تفاوتاً بين قوله وفعله، وأحكمهم في هوى نفسه، وأهتكهم لعرضه، وأجرأهم على خالقه ج١ص ٢٦

ولرب حان قد شممت بديره	خمر الصبا مزجت بصرف عصيره
فى فتية جعلوا السرور شعارهم	متصاغرين تخشعاً لكبيره
والقس مما شاء طول مقامنا	يدعو بعود حولنا بزبوره
يهدى لنا بالراح كل مخفر	كالخشف خفره التماح خنيره [١]
يتناول الظرفاء فيه وشربهم	لسلافه والأكل من خنزيره [٢]

أو يتعرض لجارية من أهل قرطبة ذهبت للصلاة (وأمامها طفل لها كأنه غصن آس، وظبى يمرح فى كناس) فتنصرف مروعة خشية أن يفضحها بشعره، فيتبعها ويقول:

وناظرة تحت طى القناع	دعاها إلى الله بالخير داعى
سعت خفية تبتغى منزلا	لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرءوم ٣	تناغى غزالا بروض اليفاع [٤]
وجالت بموضعنا جولة	فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تبختر فى مشيها	فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذاراً على طفلها	فناديت ياهذه لاتراعى
غزالك تفرق منه الليوث	وتنصاع منه كماة المصاع [٥]
فولت وللمسك فى ذيلها	على الأرض خط كذيل الشجاع [٦]

وكان مع تهتكه كريم النفس محمود الخلال حتى لتراه أشرف الناس إذ يقول:

إن الكريم إذا نالته مخمصة	أبدى إلى الناس شبعاً وهو طيان [٧]
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا	والوجه غمر بماء البشر ملآن

أو حين يقول:

ألمت بالحب (٨) حتى لو دنا أجلى	لما وجدت لطعم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قدماً ولعت به (٩)	ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وذكر ابن حيان أن أباعامر (كان من أصح الناس رأياً لمن استشاره، وأضلهم عنه فى ذاته، وأشدهم جناية على حاله ونصابه، وكان له فى الكرم والجود انهماك مع شرب وبطالة حتى شارف

---

[١] المخفر: الممنوع، والخشف بالتثليث ولد الظبي [٢] راجع نفح الطيب ص٣٤٥ ج١ (٣) الرءوم: الظبية الالوف [٤] واليفاع ماارتفع من الارض (٥) الكماة جمع كمى وهو الشجاع، والمصاع الضرب بالسيف [٦] الشجاع: الذكر من الحيات (٧) طيان: من الطوى وهو الجوع. وفي رواية أخرى ريا وهو ظمآن. انظر هامش النفح ص٤١٠ ج١ [٨] وفى رواية أخرى « كلفت بالحب » [٩] وفى رواية أخري ـ وذادنى كرمى عمن ولهت به وهى أفصح من الرواية الثالثة «وعاقنى كرمي»

الاملاق) [١]. ومن العجيب فى تشابه الحظوظ، أن النقاد الفرنسيين يصفون (لافونتين) بهذا الوصف ،فيذكرون (أنه كان من أصح الناس رأيا لمن استشاره، وأضلهم عنه فى ذاته[٢])وما أكثر ما يتشابه رجال الأدب فى سوء الحال !

قلت: إن أبا عامر بن شهيد كان يحب الحياة حباً شديدا، وكان يرى العيش كل العيش فى معاقرة الجمال والصهباء ، فلنذكر الآن أنه كان لذلك من أشـد الناس إحساساً بكراهة الموت ، وقد بلغ من تفزعه أن شعر معاصروه جميعاً بألمه وامتعاضه وتهالكه على التشبث بأذيال الحياة.

قال ابن بسام: « ولما طال بأبى عامر ألمه، وتزايد سقمه، وغلب عليه الفالج الذى عرض له فى مستهل ذى القعدة سنة خمس وعشرين وأربعمائة،لم يعد منه حركة ولا تقلب،وكان يمشى إلى حاجته على عصا مرة، واعتمادا على إنسان مرة ، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً فانه صار حجرا لا يبرح ولا يتقلب،ولا يحتمل أن يحرك لعظيم الأوجاع مع ضغط الأنفاس وعدم الصبر حتى هم بقتل نفسه» [٣]

فلنتصور قسوة المرض التى تحمل رجلا كابن شهيد على التفكير فى الانتحار ، ولنقرأ محزونين قوله فى ذلك :

أنوح على نفسى وأندب نبلها	إذا أنا فى الضراء أزمعت قتلها
رضيت قضـاء الله فى كل حالة	على وأحـكاماً تيقنت عـدلها
أظل قعيد الداء تجنبنى العصا	على ضعف ساق أوهن السقم رجلها
ألا رب خصم قد كفيت وكربة	كشفت ودار كنت فى الحل وبلها
ورب قريض كالجريض[٤] بعثته	إلى خطبة لا ينكر الجمع فصلها
فمن مبلغ الفتيان أن أخاهم	أخو فتكة شنعاء ما كان شكلها
عليكم سلام من فتى عضه الردى	فلم ينس عيناً ثبتت فيه نبلها
يبين وكف الموت يخلع نفسه	وداخلها حب يهون ثـكلها

ولم يفت ابن شهيد أن يظل على عنف المرض ظريف الحس والروح ،فقد حدث أبو بكر المصحفى، قال :

دخلت يوما على أبى عامر بن شهيد، وقد ابتدأت به علته التى مات منها، فتأنس بى وجرى الحديث إلى أن شكوت له تجنى بعض إخوانى على وتعاره عنى ، فقال: سأسعى لاصلاح ذات البين ، فاتفق لقائى لذلك المتجنى مع بعض إخوانى وأعزهم على ، فلما رآنى موليا عن ذلك الصـديق أنـكر على وسأل عن السبب الموجب فأخبره وزادا فى مشيهما حتى لحقانى ، وعزم

---

[١] الذخيرة ج١ ص٢٩٤ [٢] استطاع La Fontaine أن يكون أحكم الناس، وأن يفرض حكمته فى شعره على الفرنسيين من شباب وكهول ، وأن يظل فى طليعة الحكماء على اختلاف الاجيال ، ولكنه عجز عن الظفر باستقامة الخلق في حياته الشخصية فلم يكن لزوجته ولا لولده من رعايته نصيب. وسبحان من تفرد بالكمال !
[٣] الذخيرة ج١ ص١٦٥ [٤] الجريض بالجيم البريق ، وهى فى نسخة الذخيرة بالحاء المهملة.

على فى تـكليم صاحبى ، وتعاتبنا عتاباً أرق من الهوى، وأشهى من الماء على الظما ، حتى جئنا دار أبى عامر ، فلما رآنا جميعاً ضحك وقال : من كان تولى إصلاح ما سررنا بفساده ؟ قلنا: قد كان ما كان ! فأطرق ملياً ثم أنشد :

من لا أسمى ولا أبوح به   أصلح بينى وبين من أهوى
أرسلت من كبدى الهوى فدرى   كيف تداوى مواضع البلوى
ولى حقوق فى الحب ظاهرة   لكن إلفى يعدها دعوى (١)

وحدث المصحفى أيضاً قال : دخلت عليه يوماً فى تلك العلة ومعى غلام وسيم من إخواننا، وكان أبو عامر قبل ذلك يحب ممازحته فينافره ، حتى خاطب أبو عامر بعض إخوانه بشعر مسه فيه بطرف لسانه، فقال له ذلك الغلام: هجوتنى يا أبا عامر دون أن تتثبت فى أمرى، ولا تعلم من سرى مايوجب ذلك ؛ فقال : على تـكفيره بما يمحوه من القراطيس والصدور ، وكان ذلك أثر صلاة العشاء الأولى ، فطفنا بالجامع ثم انصرفنا إليه فأنشدنا :

ألا بأبى زائر فى العتم   بوجه يجلى سواد الظلم
تـكتم بالليل فى ظله   وهل يمكن الصبح أن يكتتم
أتى يستجير إلينا به   كما جاور الباز رطب العنم(٢)

وقد أخذ ابن شهيد يخاطب بالشعر أحبابه وأصدقاءه خطاب الوداع فأرسل إلى أبى محمد ابن حزم هذه الأبيات :

ولما رأيت العيش ولى برأسه   وأيقنت أن الموت لاشك لاحق
تمنيت أنى ساكن فى عباءة   بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
خليلى من ذاق المنية مرة   فقد ذقتها خمسين قولة صادق
كأنى وقد حان ارتحالى ولم أفز   قديماً من الدنيا بلمحة بارق
فمن بلغ عنى ابن حزم وكان لى   يداً فى ملماتى وعند مضايقى
عليك سلام الله إنى مفارق   وحسبك زاداً من حبيب مفارق
فلا تنس تأبينى إذا ما فقدتنى   وتذكار أيامى وفضل خلائقى (٣)

وكان ابن شهيد يشعر أنه أهل لأن يبكى حين يموت ، ويقول فى ذلك :

سقى الله فتياناً كأن وجوههم   وجوه مصابيح النجوم الزواهر
إذا ذكرونى والثرى فوق أعظمى   بكوا بعيون كالسحاب المواطر
يقولون: قد أودى أبوعامر العلى   أقلوا فقدماً مات أبناء عامر

---

[١] الذخيرة جـ١ ص١٦٣ [٢] القصيدة بقية طويلة يجدها القارىء في الذخيرة جـ١ص١٦٤ [٣] انظر جواب ابن حزم على هذه الابيات في ص ١٦٦ جـ١ من الذخيرة .

هو الموت لم يصرف بأجراس خاطب[١] بليغ ولم يعطف بأنفاس شاعر
ولم يجتنب للبطش مهجة قادر قوى ولا للضعف مهجة صابر
يحل عرى الجبار فى دار ملكه ويهفو بنفس الشارب المتساكر
وليس عجيباً أن تدانت منيتى يصدق فيها أولى أمر آخرى
ولكن عجيب أن بين جوانحى هوى كشرار الجمرة المتطاير
يحركنى والموت يحفر همتى (٢) ويهتاجنى والنفس عند حناجرى

وهذا حقاً عجيب ، فان ابن شهيد ظل يتلهف فى أيام علته المهلكة إلى محبوب له اسمه عمرو، وكان حبه له مشهوراً يعرفه القريب والبعيد ، ولننظر كيف يتوجع وهو يخاطبه خطاب المفارق المشتاق :

اقرا السلام على الأصحاب أجمعهم وخص عمراً بأزكى نور تسليم
وقل له يا أعز الناس كلهم شخصاً على وأولاهم بتكريم
الله جارك من ذى منعة ظفرت منه الليالى بألف غير مظلوم
ما كان حبك إلا صوب غادية طيباً وحاشا بحبى فيك للوم
إن شاء صرف الردى تقديم أطوعنا فقد رضيت حماك الله تقديمى
عشنا رفيقين فى بر الهوى زمناً حتى زقا بنوانا طائر الشوم
فشتتت نوب الأيام إلفتنا قسراً ولم يغنها طى وتنجيمى

وحسب القارىء أن يعلم أن آخر شعر قاله ابن شهيد هو هذه الأبيات ، وفيها يودع إخوانه ومحبوبه آخر وداع :

أستودع الله إخوانى وعشرتهم وكل خرق إلى العلياء سباق
وفتية كنجوم الغرب نيرهم يهدى وصليهمو يودى باحراق.
وكوكباً لى منهم كان مغربه قلبى ومشرقه ما بين أطواقى
الله يعلم أنى ما أفارقه إلا وفى الصدر منى حر مشتاق
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا وإن أمت فسيسقيه الردى الساقى
لا ضيع الله إلا من يضيعه ومن تخلق فيه غير أخلاق!
قد كان بردى إذا ما مسنى كلف لا يشلم الحب آدابى وأعراقى
إنى لأرمقه والموت يضغطنى فأقتضى فرجة ترتد أرماقى

ثم أوصى أن يدفن بجنب صديقه أبى الوليد الزجالى، ويكتب على قبره فى لوح رخام هذه الكلمة:

(البقية على الصفحة رقم ٨٤)

---

[١] الخاطب : الخطيب ، وهى لفظة قليلة الاستعمال وأذكر أنى رأيتها فى كلام الجاحظ ، وهى أكثر موازنة لكلمة كاتب وكلمة شاعر (٢) يحفر : يقطع

التدبير الغذائى

فى علاج البـــــول السكرى

للدكتور محمود فريد

تفضل حضرة الدكتور محمود فريد الاخصائى فى الامراض الباطنية والاشعة فبعث الينا بهذا الموضوع القيم وهو ملخص المحاضرة التي ألقاها على المؤتمر الطبي الخامس

كان مرض السكر معتبرا من الأمراض التى لا تشفى، وكان يعد رسولا للموت والهلاك، واليوم خفت كثير من مخاوفه ومخاطره، فقد كنا منذ سنين قلائل نقف أمام الحالات الصعبة أو مضاعفاتها مكتوفى الأيدى حيارى لا نملك لأصحابها نفعاً، بل نعجز عن مد يد المساعدة لأولئك المنكودى الحظ، فما أبعد اليوم من الأمس! فأمثال هذه الحوادث اليوم أجدى ما يكون فيها نجاح العلاج، ولو أنه أصعب مايطرق فى الأبواب العلاجية.

فمرض السكر اليوم من الوجهة النظرية، بل من الوجهة العملية أيضاً، مرض يشفى. ويقصد من نوال المرضى للشفاء زوال الأعراض المرضية زوالا تاماً وبصفة مستديمة، ولكن ليس بمعنى أن يصلح ماعطب، ويرجع كل شىء إلى أصله. ولا يرجع هذا الانقلاب الهائل فى نجاح علاج البول السكرى إلا لاكتشاف الانسولين واستعماله بطريقة عملية فى العلاج، على أن الآمال الواسعة التى كانت معقودة عليه لم تتحقق بعد، ولم يكن بد من تقليل كمية ما يتناول المرضى من الطعام فحسب، بل نرى بالعكس أن الأصول المرعية قديماً فى التدبير الغذائى لعلاج مرض السكر لم تزل حافظة لأهميتها كاملة، ولم يزل جميع المؤلفين معتبريها أنها وحدها الأصل الفعال فى نجاح العلاج، بل لا يرجع نجاح العلاج بالأنسولين نفسه إلا للتدبير الغـذائى! فللأنسولين يرجع الفضل فى كسر شوكة التضييق الشديد فى التغذية والسماح للمرضى بأطعمة كانوا منهـا محرومين، ولا يزال التدبير الغذائى يعتبر بمثابة السلسلة الفقرية لعلاج البول السكرى، ولم يزل عماد العـلاج، وهو الذى يؤدى بناوحده إلى الغرض المقصود فى شفاء الحالات البسيطة من البول السكرى.

ونجاح العلاج يتوقف على إقصاء السكر والأسيتون (الاحماض) من البـول، وتنمية قوة تسامح الجسم لتناول المواد الـكاربوادرانية (النشوية والخضراوات والفاكهة) دون أن

يفرز السكر فى البول أو يزداد سكر الدم. فالحالات البسيطة يمكن مباشرة علاجها فى منزل المريض من اى طبيب، اما الحالات الصعبة فيلزم مباشرتها فى المستشفى من اسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وتكون بملاحظة طبيب إخصائى.

ولا يجب ان يكون فى اتباع نظم التدبير الغذائى غضاضة على المريض وعداب له، وكما لا تجب المبالغة فى إنقاص كميات الأغذية التى يتناولها المريض حتى يشكو ألم الجوع، ٥د، استمر على تناول ما قدر له من التغذية ازداد جسمه نحولا، وإذا لم يتمكن من ضبط نفسه سطا على الأطعمة دون أن يحسب للعاقبة حساباً، ولو علم أن فيه الضرر كله ،فلا معنى للاستمرار على إنقاص التغذية لغير المصابين بالسمن أو بمرض القلب، كما أن ازدياد كمية الأغذية فوق حاجة الجسم ضارة به من غير شك ،ويستحسن منع المرضى يوماً فى الأسبوع من تناول المواد (الكاربوادبرانية) وعلى الطبيب المعالج أن يشرح للمريض حالته جيداً، ويفهمه معنى التزامه لمقادير خاصة فى التغذية حتى يعمل على تنفيذ أوامر الطبيب بالدقة ، فتثمر أتعابنا وينال بذلك الشفاء أو نقربه منه على الأقل .

أشكال التغذية

وقد شرحنا أمام المؤتمر الطرق المختلفة فى التغذية وهى للاصابات البسيطة أو المتوسطة أو الصعبة، ويرجع تاريخها كلها إلى ماقبل عصر الأنسولين فمنها ما يتميز بالاقتصار على أطعمة خاصة كالاقلال من المواد الكاربوادبرانية والزلالية (اللحوم) فلا يسمح إلا بالبيض فيها، ومنها ما يوصى بازدياد كمية المواد النشوية كالأرز والشعير ،وأول من وضع هذه النظرية DURING عام ١٨٦٨ ،ويتميز هذا النوع من التغذية بقلة المواد الدهنية، وكثرة ما يعطى فيه من اللحوم. وقد رجع بعض المؤلفين الحديثين ALLEN إلى هذا الرأى بشرط إعطاء الانسولين. ودلت أبحاث PORGES و ADSBERY حديثا على أن كثرة المواد الدهنية فى طعام السليم تقلل من قوة هضمه للمواد الكاربوادرانية، ولذلك ينصحان بتقليلها فى غذاء المريض بالسكرى، وثبت أخيراً أن نجاح العلاج بالسماح بتعاطى المواد النشوية عند اختصار المرضى على أيام يعكفون فيها على تناول الشعير مثلا إنما يرجع إلى ما اكتشفه العالم الفسيولوجى COLLIP حيث إنه توصل باتباعه نفس الطريقة التى تتبع فى تحضير الأنسولين باستخراج مادة من بعض النباتات تشبه فى تأثيرها الأنسولين سماها GLYPOPININ فهى تقلل سكر الدم وتزيل السكر من البول فمنها: الخميرة والبقول والخس والبصل وبعض الحشائش والبطاطس والكرفس والبنجر والفجل والخرشوف والسبانخ والفاصولية وأبو فروة ... الخ .

وقد عرضنا طائفة من المشاهدات عالجناها كلها بالتدبير الغذائى دون الالتجاء فيها للحقن بالانسولين ، وذلك باشارتنا على المرضى بتناول طعام خاص .

وقد كانت النتائج التى قدمتها كما يلى : نقص السكر من ٧٨ فى المائة إلى ٢٧ فى المائة أى من ٣١٢ جراماً إلى ٣٨٫٨ جراماً سكراً فى مدة ٦ أيام فقط ،من بدء انعكاف المرضى على الطعام

الخاص، وقد صار البول خالياً من السكر بعد مضى ٢٣ يوما . ولم تظهر على المريض أى مضاعفات.

وفى إحدى المشاهدات كان المريض يفرز ١٠ لتر بولا يقابلها ٦٠٠ جراما سكرا فى اليوم الواحد وهى نسبة كبيرة. وبعد ٦ أيام من بدء العلاج بالتغذية الخاصة نقصت كمية البول فصارت ٢ لتر فقط، وكمية ما يفرزه المريض من السكر ٢٥ جراماً مقابل ٦٠٠ . وقد احتاج هذا المريض لعشرين يوماً ليكون السكر فى البول سلبياً، ويسمح لمرضاه بعد اختفاء السكر من البول. بتناول كميات يسيرة من المواد الكاربوادراتية فى شكل خضار أولا ثم، خبزثانياً، يزيد المقدار تدريجاً حتى يتمكن المرضى من تناول الطعام العادى أو مايقرب، دون ظهور السكر فى البول وقد مضى على علاج أكثرهم مايزيد عن خمس سنوات. دون أن يعاودهم المرض أو يظهر للسكر أثر فى البول، مما يشجع ـ بلامراء ـ على إتباع هذه السنة فى التغذية مع مرضى البول السكرى الأقوياء البنية .

محمود فريد

أبو عامر بن شهيد

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٨١)

« بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب، مات وهو يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. وأن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها . وأن الله يبعث من فى القبور. ومات فى شهر كذا من عام كذا » ويكتب تحت هذا النثر هذه الأبيات. وهو يخاطب بها صديقه المدفون:

يا صاحبى قم فقد أطلنا ... أنحن طول المدى هجود!
فقال لى : لن نقوم منها ... مادام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا ... فى ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا ... سحابه ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى ... وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ ... وضمه صادق شهيد
ياويلتا إن تنكبتنا ... رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأنت مولى ... قصر فى شكره العبيد

قال ابن بسام : وكان أبو عامر كثيراً مايخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب إلى الله أن يرفق به، ويكثر من ذكره ، وقد أيقن بفراق الدنيا، إلى أن ذهبت نفسه ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة، ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل .

زكى مبارك

العـــــالم

كيف خلق وكيف تطور؟

بحث فى تطور الفكر البشرى

للأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ التربية وعلم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

تاريخ الانسان حافل : بالمشكلات العقلية ، والقضايا الفكرية المعقدة ، التى لانغالى إن قلنا : إنها ولدت ودرجت معه ، وتطورت بتطوره، وكانت له فى كل أدواره التى مرعليها من همجية وتمدين ، وتقدم وانحطاط ، ظله الذى يلازمه ، وشغله الشاغل ؛ ولكنه مع هذا كله ، لم يستطع فيما مضى - ولن يستطيع فيما سيأتى - أن يسبر لها غوراً ، أو يعرف لها حقيقة ، مادام إنساناً له عقله المحدود وتفكيره الآدمى . ولا تقف خطورة هذه المعضلات عند حد بقائها أسراراً وطلاسم خفية ؛ ولكنها أصبحت الآن موضع نزاع بين العلم والدين من جهة، والدين والأساطير من جهة أخرى ، وهدفاً يصيبه كل منهما من ناحية ، فلا يلتقيان .

وستتسع الهوة وتبعد شقة الخلاف، كلما ازداد الانسان تقدماً فى العلوم المادية ؛ ولا جدال فى أن الموضوع الذى نتناوله اليوم بالبحث ، هو أهم هذه الموضوعات خطورة ، وأصلحها جميعها للدلالة على صحة رأينا هذا ؛ فقد لجأ الانسان فى حل معضلاته بادىء ذى بدء ، إلى الأساطير والقصص الخرافية ، التى لاتستند إلى أى أساس علمى، أو منطق معقول - على الأقل - فلا تصلح لأن تكون أداة صالحة للوصول إلى الحقائق الكونية .

ثم احتمى بالقصص المجازية التى ذكرتها الكتب السماوية عن خلق العالم ، وتكوينه بأسلوب بسيط يتفق وعقول العامة ، الذين تنزلت فى عهدهم هذه الكتب، لأشباع ما فيهم من نزعة للمعرفة والسؤال عن المجهول، ولم يكلف نفسه مؤونة الغوص وراء ماتنطوى عليه هذه القصص من حقائق ، وحكم معنوية ، لا تدركها عقول العامة ، وغاب عنه المعنى فى سبيل تمسكه باللفظ .

وظل الانسان قروناً طويلة يؤمن بصحة هذه الآراء الدينية وغيرها ، من قصص الطوفان، وعمر الدنيا والمعجزات ، عن عقيدة ، لاعن اقتناع ، حتى ظهر القرن العشرون بنزعته العلمية المادية البحتة ، المتحررة من نير الأساطير والدين ، وحتى الفلسفية الجدلية القديمة ؛ وأصبح

كله مجموعة حقائق، تبنى على حقائق، ليس للظن أو التخمين مجال فيها، ولا يقام لرأى وزن، إلا إذا قام الدليل على صحته، وإن تلك التجارب العملية، واستطاع العلماء بفضل أجهزتهم وآلاتهم الدقيقة وطرقهم المضبوطة فى البحث، كشف القناع عن الكثير من أسرار الطبيعة التى تتصل بموضوع خلق العالم؛ ولم يبق هناك مفر من قبول هذه النتائج، ولو فى شىء من التحفظ، من ناحية العلم، وشىء كثير من المرونة فى التفسير من ناحية الدين.

ولكن هذا العلم الذى نتغنى به، ونعده مفخرة القرن العشرين، لم يزل بعد فتياً، قاصراً عن حل رموز الطبيعة، وكشف أسرار العالم المعقدة؛ أليس غريباً أن يتوصل الانسان بالعلم الحديث إلى كشف الكهرباء وتسخيرها لخدمته، دون أن يفهم ما هى الكهرباء؟ ويستعين بالحرارة على توليد البخار، فيسيره كيف يشاء، دون أن يفهم ماهى الحرارة؟ هذا المخلوق العظيم بعلمه، الحقير لجهله، المسيطر على العالم، المتسلط على مفاتيح العلم، المتصرف فى كنوز الحكمة، يقف حائراً لايدرى أمام مظاهر الحياة، وعجائب الكون، ولطالما ذهب فى تفسيرها، منذ القدم مذاهب شتى؛ فتارة كان يصيب، وطوراً كان يخطىء بقدر نصيبه من العلم والتفكير الصحيح، وقد خلق محباً للاستطلاع، كثير الاستفهام، يسائل نفسه عن حقيقة ماحوله، ويطلب من الطبيعة، أو من نفسه – الجواب عن كل مايعرفه وما لا يعرفه، ميالا للبحث والتعليل، فاذا أعياه الأمر، حار وارتبك، وسلك إحدى سبيلين: إما الاقتناع بالعجز والسكوت، وهذا شأنه فى العقائد الدينية المنزلة، أو الطقوس التى يفرضها عليه رؤساء أو زعماء أرقى منه عقلا، وأكثر قوة، فيؤمن بها، ويسلم بصحتها، ويقتنع بحكمتها من غير تفكير أو مناقشة؛ وإما المكابرة والتضليل، والاستعانة بالمنطق الفاسد والخيال المعقد، على إقامة مايظنه دليلا معقولا يقتنع هو به، ثم يطلب إلى الناس أن يقتنعوا به معه، فهو كابنه الطفل يمطرك الألوف من الاسئلة، ويطلب اليك الاجابة عنها فى وقت واحد، كأنها جميعها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً، ويقبل منك أى جواب تلقيه عليه، إن تعقله اعتقد فى صحته، ونقله إلى سواه من الصبية، فى لهجة الواثق العارف بدخائل الأمور، وإن تعذر عليه الفهم تركك وشأنك والتمس لنفسه بنفسه حلا يناسب عقليته، ثم يملؤه الغرور، فيظن أنه فاتك علماً وأنت الرجل العالم المجرب! وقد يخرج عليك ويرميك بالجهل، وهذا شأنه فى الأساطير والخرافات، التى صورها له خياله، وابتكرها عقله، لتكون حلا مؤقتاً لمشكلة علمية شغلت باله، ثم نقلها إلى أولاده، وهؤلاء إلى أحفاده من بعده، حتى أصبحت عقائد وقوانين وطقوس يمارسها الناس. من غير أن يفهموا لها معنى. ويعاقبون من يخرج عليها، وينبئهم إلى فسادها بأشد أنواع الأذى — وهل الانسان على حداثة عهده فى الوجود إلا كالطفل أمام الطبيعة الهرمة لن يتسنى له فهمها حق الفهم؟ ولكن على كل حال، كلما عمر فى الارض كلما قرب

رأيه من الصواب ، وبلغ علمه شيئاً من شبه الكمال ، وهنالك طريق ثالث يتبعه بعض الذين كشف الله الحجاب عنهم من العلماء والفلاسفة ، يعرفون شيئاً من حقيقة الوجود ، فيستبقون الجوهر لأنفسهم ، ويظهرون أعراضه للناس مستورة في رداء كثيف : من الطلاسم ، والرموز ، والأساطير ، فيستهويهم ما فيها من خيال رائع ، وقصص أخاذة ـ وذلك شأن الانسان الأول الذى نشأ في فجر التاريخ في مصر وبابل وغيرها ، في الأساطير التى لقنها له كهنته ورؤساء دينه عن الآلهة والعالم وسر الخلق والوجود .

هكذا وقف الانسان أمام سر خلق العالم ونشأته وتطوره حائراً لايدرى ، وهكذا تدرج فكره ، وتطورت عقيدته ، من خرافات نسجها عقله الأولى البسيط ، إلى أساطير ، وضعها له الكهنة ، إلى قصص مجازية ذكرتها الكتب المقدسة ، بأسلوب يتفق وعقلية الناس ، وقت نزول هذه الكتب ، حتى وصل أخيراً إلى ربوة العلم يشرف منها على آخر ما أوصله إليه من بحوث ونتائج لايسعه إلا التسليم بصحتها ، ولو خالفت ما عرفه من قبل .

نشأ والطبيعة تحوطه بمظاهرها المتغيرة من كل جانب ، فكان أول ما استرعى نظره ، وشغل فكره : السماء ، والأرض ، وما فيها من شمس تشرق عليه ، فيقوم لمعاشه ، وتشتد حرارتها ظهراً ، فيلجأ إلى ظلها ، مستفيئاً من حرها ، ثم يتلطف الجو عصرا ، فيعود لأمره ، ثم تغرب ، فيؤوب إلى مربعه ، ويقبع طول ليله ، وتحيط به الظلمة ، فيخشع ، حتى إذا ظهر القمر ، ابتهج لرؤيته ، وقام يستنير به في دياجير الحلك . وهكذا يتدرج بين حر وبرد ، ونور وظلام ، وليل ونهار ، مصدرها الشمس والقمر ؛ وفى لحظة أخرى يتجهم له وجه الطبيعة ، وتكشر له عن أنيابها ، فتسود السماء وتزمجر ، وتصليه صواعق من نار وشهب ، تحرق له أرضه ، وتقتل له مواشيه ، وتتمزق الجبال فوق رأسه ، فيسمع لها رعدا متواصلا يصم أذنيه ، وتفتح له أفواهها فتمطره سيولا جارفة ، يحاول منها الفرار ولا مفر ، فيتملكه الخوف والذعر ، وينذر في سره النذور والقرابين لهذه القوى التى غضبت عليه ، إن هى كفته شر هذا البلاء ، ولطالما وقف بعد هذا كله يناجى الطبيعة فى خضوع وخشوع ، يسائلها عن حقيقة ما حوله تارة ، فلا تجيبه ، ويسأل نفسه طورا فيزداد ارتباكا ، وحاول أن يتلمس فى أركان عقله المظلم بصيصا من النور ، يهتدى به فلم يفلح وأعياه الأمر ، وامتلأ قلبه خشوعا ورهبة ، وانتهى به إلى تأليه هذه القوى وعبادتها ، وهكذا نشأ الانسان الأول يعبد : الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والمطر ، والنور ، وغيرها من آلهة الخير ، والرعد والبرق ، والنار والظلام وغيرها من آلهة الشر ، وقدم القرابين والذبائح استدرارا لخير الأولى ، واتقاء لغضب الثانية ، ثم تدرج من هذا إلى عبادة الحيوان ، ثم آبائه وأجداده وملوكه وحكامه ، ثم تماثيله وأصنامه ؛ وأخيرا اهتدى إلى عبادة الواحد القهار ، وهو بين هذا وذاك منصرف إلى أمور معاشه ومعاده ، من : أرض يزرعها ، إلى

زرع يحصده، إلى كوخ يبنيه ، إلى عدو يقهره ، وحيوان يسخره ، يسير سيرا حثيثا نحو بوادر التفكير وفجر المدنية ، فإذا خلا لنفسه ، سولت له أن يفكر فى حقيقة آلهته هذه وفى ماهيتها ومكانها ، وعين حقيقة الوجود ، وكيف خلق العالم ، وكيف وجد من العدم ، وإلى أين مصيره ؟ — أسئلة معضلة لاجواب لها ، ولكنه لن يعجز عن تلمس حل يرضيه ويقنعه ، فلينظر إلى الطير كيف يجتمع الذكر بالأنثى فتبيض وتحتضن بيضها ، ثم تنقر فى الوقت المناسب ، فتخرج منها صغارها كاملة النمو ، فيها كل عناصر الحياة ، وليتمثل خلق العالم كله على هذا النحو ، بعد أن يغذيه بشىء من الخيال ، ويهول فيه ، ويخرج للناس أسطورة جميلة رائعة تجدها عامة عند الأمم المنقرضة التى عاشت فى فجر التاريخ ، وإلى اليوم عند الهنود الحمر ، وسكان أستراليا ، وبورنيو ، وغيرهم من القبائل التى ظلت على الفطرة .

فهنود الاسكا يمثلون الخالق كغراب ممسك بقناع على هيئة وجه إنسان يلقحه وينفخ فيه الحياة ، فيصير إنسانا كاملا ؛ وهناك نموذج لهذا محفوظ فى متحف (جامعة بنسلفانيا) ؛ ولهنود الشمال الغربى لأمريكا أساطير غريبة ، عن مخلوق مضحك ، فى هيئة البازى أو الغراب الأسود ، يقولون عنه إنه سرق الشمس والقمر والكواكب من صندوقها ونثرها فى السماء لتضىء الأرض ، وأخذ جزءاً من الطين لقحه بلقاحه ، فاستحال إلى بيضة خرجت منها كل الكائنات الحية ، ويقول أهل الجزائر الاسترالية — وهم أغنى أهل الأرض جميعاً بمجموعة أساطيرهم — : إن الاله الأعظم ، كان فى الأصل طائرا عظيم الحجم يحلق فوق الماء ، وهناك وضع بيضة تولد من قشرها السماء والأرض ، وإنه لايزال يعيش إلى الآن فى قوقعة أو بيضة يكسرها من آن لآخر ، فتنشأ الجزائر الاسترالية من قشرها ، وبذلك يزداد العالم عاما بعد عام ولا ينقرض .

ولأهل اليابان كذلك أسطورة قديمة يمثلونها فى إحدى هيا كلهم (ببلدة مياكو) بثور من الذهب الخالص بين مقدمتيه بيضة من الذهب والأحجار الكريمة ، تدفعها الأمواج إليه ، فيبقرها بقرنيه ، فتخرج منها كل عناصر الحياة ، ثم ينفخ فيها فيخرج منها الأنسان .

فأنت ترى من هذه الأمثلة القليلة أن أساطير الانسان الأول على ما فيها من خيال غريب ، ووصف رائع ، على غاية من البساطة ، كالنوع الذى يخلقه خيال الأطفال ؛ وأظهر مافى هذه الأساطير ، استنتاج فكرة خلق العالم من عملية التلقيح والتوالد المادى ، فيكون الخالق أو وسيط الخالق طيراً أو حيوانا آخر غير مألوف ، له قوى خارقة للعادة ! يستطيع بمقتضاها أن يخلق العالم من بيضة الوجود الأزلية ، وقد يتطور هذا الحيوان بأن يصير إلها ، أو يحل فيه فيه إله كامل بالفعل ؛ وعندها فقط يستطيع خلق الانسان .

بزغت شمس المدنية الأولية فى مصر وبابل وغيرها من الأمم المعاصرة ، وقطع الأنسان شوطا — ليس بالقصير — فى التفكير المعقول ، أوصله إلى معرفة الآلهة ، ثم الاله الواحد

الأحد ، وفلسفة الوجود والعدم ، وطبيعة الخير والشر ، وغير هذا من النقط الفلسفية ، التى لم يكن فى مقدور الانسان الأول أن يتناولها بالبحث ، فكان طبيعيا أن تتطور فكرته عن خلق العالم ونشأته تبعا لهذا التطور العام ؛ ولذلك تجد أن كهنة الديانات القديمة فى مصر وبابل وغيرها ، قد تناولوا الأساطير القديمة بيد المسخ والتعديل ، فأضافوا إليها الكثير من أسماء الآلهة التى تمثل المظاهر المتعددة للاله الواحد ، وصورا رمزية ؛ وعبارات مجازية ، تتضمن الكثير من حقيقة الوجود ، ولكن بأسلوب يخفيها عن أنظار العامة ،وهى تتلخص فيما يلى :

١ — استبدال فكرة اتصال الذكر بالأنثى بالظلام والنور أو العدم والوجهود ، وغير ذلك من المظاهر المتعددة التى يجمعها مذهب الازدواج أو المذهب الثنائى (ديوالزم) .

٢ — تأليه العدم أو الفوضى أو الظلام ، على اعتبار أنه أصل الوجود ، أو ما وجد قبل الوجود .

٣ — تأليه الماء والنور ، على اعتبار أنهما أول ما استخدم من الوسائل لخلق العالم المادى.

٤ — إعلاء الخالق من مرتبة الحيوانية إلى الألوهية ، فيكون إله الآلهة يخلق الجوهر الأزلى للوجود ، وتليه آلهة أخرى ثانوية تتم عملية الخلق ، أو تنوب عنه فى الأشراف على العمل ، وبعبارة أخرى يخلق كبير الآلهة العالم إجمالا ثم يترك التفاصيل لغيره .

٥ — خلق العالم على أدوار متعاقبة ، يرتاح الخالق بعد كل دور منها مدة تناسب صعوبة العمل الذى قام به فى الدور السابق .

وهناك تعديلات أخرى ثانوية: منها تمثيل العالم بالانسان أو العكس، واعتبار أن السماء كانت فى الأصل ماء .

ولكن هناك صعوبتين لم تستطع عقول واضعى الأساطير ، أن تتغلب عليهما، وهما: خلق المادة من لا شىء ، والكيفية التى خلق بها العالم ، أهى مادية كما يفعل الانسان فى كل شىء يصنعه ، أم هى مجردة فيكفى أن يقول الاله للشىء كن فيكون ؟ ذلك لأن العقل البشرى فى ذلك الدور من تطوره ، لم يكن ليستطيع تصور خلق شىء من لا شىء ، ولا فهم صورة الاله مجردة من ثوب المادة والحس ، فكان لزاما عليه أن يحتفظ بجوهر الأساطير التى وضعها من سبقه من البربر والمتوحشين الذين عاشوا فى فجر التاريخ ، ولذلك تجد لبيضة الوجود مقاما كبيرا فى كل الأساطير المتأخرة .

ولا أدل على هذا التطور فى الفكرة من أنك تجد للهنود الحمر أساطير متأخرة أرقى من التى ذكرناها سابقا بكثير .

فقبائل الايروكويس يقولون-كما كان يقول أهل مصر وأشور وبابل : فى الأصل كانت السماء فوق الماء كالجزيرة ، وكانت الجنة على الأرض ، فبينما الآلهة(آتاتاسيك) تتريض فيها ،

سقطت من السماء — وهى حامل — فوقعت على ظهر سلحفاة هائلة الحجم : مغطاة بالطين (وهى التى تحمل السموات والأرضين) وهناك مكثت حتى ولدت بنتا ، وهذه بدورها ولدت توأمين : (ولا ندرى كيف ولدتهما) أحدهما كان شريرا فقتل أمه وخلق الأرض والنباتات ليعيث فيها فساداً ، فلم يكن من الثانى إلا أن يخلق السماء ليهرب إليها ، والحيوان والانسان انتقاما من أخيه ، (وأنت ترى هنا وجه الشبه بين هذه القصة، وبين قصة هابيل وقابيل،كما هى مذكورة فى التوراة) . هذه هى قصة العامة.

أما الكهنة فلهم رموز خفية يفسرون بها كل أساطيرهم تفسيرا معنويا، فهم يسمون الأم (ذات الجلد الأسمر) أى الأرض،والابن الاول الثلج ،أى كل مايتلف الأرض ويقتلها ، والثانى البذرة الصالحة التى هى أصل كل الكائنات، ويحتفظون كذلك بآلهة أخرى لايخرجونها للعامة، منها : (باشا كامو) إله النيران الكامنة فى باطن الارض ، و (فيراكوشا) الذى خلق الماء، والاله الرجل القادر (مونيو) وأخته زوجه (موما) بيضة العالم ، التى تحولت بعد أن لقحها الرجل إلى الشمس والقمر .

ولهم أسطوره أخرى قديمة تقول بأن ابن الخالق البكر (كذا) رأى عالم السموات والنجوم الذى خلقه أبوه جميلا ، فأكل الحسد قلبه ، فأقسم أن يفسد كل ما صنعه أبوه ، فغضب عليه أبوه وطرده من السماء ، فذهب إلى الارض ، وهناك خلق لنفسه حيوانات وآدميين وبحارا وجزائر يعيث فيها فسادا كما يشاء ، (مما يماثل قصة إبليس وطرد آدم من الجنة)

وكذلك لسكان استراليا أساطير جميلة غير التى ذكرناها سابقا ، يؤلهون فيها بو (الظلام) إله الآلهة الذى خرجت منه كل الاشياء ، الواحد الذى ليس له شريك !

ويقول الماورى (١) إنه عند بدء خلق العالم،كانت الارض والسماء قطعة واحدة ، فتمزقت السماء وانفصلت عن (بابا) الارض، كما كان يقول أهل مصر وبابل ، ومن ذلك نشأ (تونجالو) إله البحر والاسماك والزحافات.

وسنتكلم فى العدد المقبل عن معتقدات مصر وبابل والمدنيات القديمة إن شاء الله

محمد مظهر سعيد

(١) قبائل من أهل بولينيزيا .

تاريخ الخرائط[1]

بقلم الأديب محمد بهجت

الخرائط القديمة :

من منا لايستعمل الخرائط فى الآونة الحاضرة ؟ لاشك أننا إذا ما فكرنا فى مكان قريب أو قصى سارعنا إليها لنتبينه عليها ؛ غير أن الذين يدرون كيف تسنى رسم مواقع الأماكن التى تقع عليها أنظارنا قليلون جداً.

ولما كان الانسان مميزا عن سواه من الحيوانات بمعارفه التى تميزه عن ماعداه، فلا يضره أن ننعته بالحيوان المصور ، وهذه خاصية فيه منذ نشأته ؛ ويلوح أن جميع أفراد البشر بالسليقة يعربون عن آرائهم برسم أنواع شتى من الصور ، فأولى ملاهى الطفل أن يخطط تعاريج مشوشة لا تدل على شىء ينعتها منزلا أو رجلا ، وليست هذه نزعة المتمدين فقط ، بل هى سجية المتبربر المتخبط فى ديجور الجهالة ، فهو يعبر عن أفكاره برسوم تخطيطية على الحجر أو الخشب أو بالوشم على جسمه ، وليس أدل على هذا الميل فى غريزة الانسان من الكتابة الهيروغليفية عند قدماء المصريين ، والكتابة التصويرية عند المكسيكيين الغابرين .

فاذا ما استمال الانسان شىء بادر الى رسمه بأشكال تخطيطية. وقد نما هذا الفن بين القبائل الرحل المتبربرة ، فكان أكبر مرشد لباقى عشائرهم فى اقتفاء آثارهم ؛ ولا تأخذنك الدهشة إذا عرفت أن أكبر معوان لـ(بارى) و (كيلنتوك) فى رحلتهما لاكتشاف المناطق القطبية، هى أمثال تلك الخرائط التى قدمها الأسكيمو الأقزام لهما .

ولقد كان المصريون أسبق الشعوب إلى رسم الخرائط فى العصور الخالية ، فقد حدثنا (ابولونوس[2]) عن الخرائط المصرية الخشبية التى عملت فى عهد رمسيس الثانى أى حوالى عام ١٣٠٠ق.م. التى كانت تتناقلها الملوك بالميراث، ويوجد فى متحف (تورين) إحدى أوراق البردى القديمة رسمت عليها منذ أربعة عشر قرنا قبل الميلاد الطرق والتماسيح والأسماك تسبح فى اليم ؛ وقد اكتشف (لايارد)المنقب عن خرائب(نينيفيا) خرائط فى آشور، ولا يرى فيها سوى رسم الطرق ، ولا يمكن مطلقا اعتبارها خرائط علمية : أى التى تبحث فى تقاسيم الكرة الى يابس وماء وأطوال الحدود كالخرائط الحديثة ، وطريقتنا الآن ترتبط تمام الارتباط بعلم الفلك . وإنا نقدم مع الفخر من كان لهم الأسبقية فى نيل قصب السبق فى هذا المضمار وهم المصريون ثم الكلدانيون ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الاهرام لم تك فقط مقابر ملوكية بل كانت أيضاً مراصد فلكية ، وإنا وإن حدا بنا عامل الشك فى عدم وصول المصريين إلى معرفة كروية

(١) الخرائط ورسم الخرط للأستاذ لاتون [٢] APOLLONUIS OF AHODES

الأرض ، وأنكرنا ذلك بتاتاً ، فان تأكدنا من معرفتهم لأوقات الخسوف والكسوف تمحو عاملي الشك والنكران ، فهذا يصعب حسابه مالم يكن هناك إلمام تام بمعرفة كروية الأرض ، وأخذنا بعدئذ من اليونانيين الذين عرفوا ذلك من البابليين أن الدائرة تنقسم إلى ٣٦٠ درجة ، والدرجة تنقسم الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة تنقسم الى ٦٠ ثانية .

وعلى ذلك نرى أن المبادىء الأساسية الجوهرية التى بنى عليها علم تخطيط البلدان وضعتها المدنيات القديمة التى تبهر عظمتها الأبصار ، وتوجب علينا الثناء عليها والفخر بها كلما قرأنا أو تحدثنا عنها ، ومما لا مراء فيه أن الرومانيين مدينون بكثير من علومهم الى المصريين ، كما وأنهم — كما وصلت اليه معلوماتنا — أول من حاول وضع الخرائط العلمية ، أعنى أنهم أول من استعمل الالات لرصد الأجرام السماوية ليبينوا المواقع الحقيقية للأماكن بالنسبة لبعضها ، وبذا تسنى لهم شيئا فشيئا وضع خرائط لأقاليم صغيرة من الأرض . وأمكنهم فى النهاية رسم ممالك برمتها ، ثم خريطة الدنيا ، كما وصلت اليه معارفهم .

وأول خطوة محمودة فى هذا السبيل خطاها (أنا كيماندر) ٥٦٠ ق.م ، فقد حاول رسم خريطة الدنيا ، ولكنه كان كالرومانيين عموما فلم يضع نظرية يبنى عليها عمله ، بل جمع الحقائق التافهة التى أمكنه الوصول اليها مع بعض نظريات وهمية ، ورسم خريطته . وهى أن الارض تكون دائرة واليونان مركزها ، وسار على هذا فى رسم الممالك حولها .

وبعد نحو مائة عام بعدئذ رأى (ديمكريتوس [١]) بعد رحلته الى الشرق — وربما الى الهند — أن الشكل الذى عمله سالفه لا يمكن أن يكون صحيحاً . فأملت عليه تصوراته غير المدعمة بأسس علمية — لأن درايته برصد الأفلاك تكاد تكون معدومة — أن يرسم خريطة للدنيا اتساعها من الشرق الى الغرب نصف اتساعها من الشمال الى الجنوب .

وفى عهد الاسكندر الأكبر اختلط الرومانيون بالمصريين ، فأخذ الأول من معلومات الأخرين شتى العلوم والمعارف ، فقام سائح رومانى برصد خط عرض مدينة مرسيليا بعد وفاة هذا الفاتح بعام ، كما أن فلاسفة الرومان الذين أنجبتهم مدرسة الاسكندرية تعلموا منها أن الأرض كروية ، فحاول (ايراتوثينس [٢]) أن يجد مساحتها فكانت مرامى أبحاثه ونظرياته من وجهة المسافات التى تربط الأمكنة بعضها ببعض أقرب للصحة ، وذلك باستعماله شبكة من خطوط الطول والعرض .

ولكن الفلكى العظيم (هيبارشس [٣]) (١٥٠ ق.م .) هو الذى وصل إلى المبادىء الصحيحة لرسم الخرائط باقامته الدليل على وجوب حساب خطوط الطول والعرض بعلم الفلك ، غير أن (كراتس) رسم الكرة كما توهم أكثر مما تحقق ، فغمرها بالماء حول خط الاستواء ثم قسمها بعدئذ إلى أربعة قارات : أنصاف أرباع دوائر شاغلة لباقى الكرة .

ثم جاء الفلكى الأشهر (كليوديس بطليموس) وهو ثانى فلكى عظيم وأكبر كاتب

[1]DEMOCRITUS OF ABDRA[2]ERATOSTHENES OF CYRENE[3]HIPPARCHUS NICARA

فى علم الجغرافيا أنبتته أرض أثينا . فتوصل الى حساب خطوط الطول والعرض لكل الأمكنة المعروفة بدقة ، مستعينا بما لديه من المعلومات الفلكية التى تأكد منها ، ولكن لسوء الحظ كبا كبوة ، إذ خانه حسابه فى إحداها ، فأدى ذلك إلى خطأ فى النتيجة ، ولكنه لم يضع بنفسه خرائط ، ولو أن الخرائط وضعت على أساس حسابه ولا زالت تعرف باسمه ، وأهم خطأ فيها هو أن البحر الأبيض طويل جداً ، وأن القارة الأوروبية ضيقة للغاية ، والقارة الاسيوية مترامية نحو الشرق البعيد ، وليس فيها شبه جزيرة الهند ، مع إثباته جزيرة سيلان ذات مساحة كبيرة ، أما أفريقيا فرسمها جنوبى خط الأستواء ذات اتساع شاسع ، ورسم قطعة كبيرة من الأرض فى الجنوب للمحيط الهندى ، ويمكننا أن نعتبر فى الجملة أن هذه الكرة بالنسبة لسابقاتها متوسطة فى صحتها .

الخرائط فى العصـــور المظلمة : يمكن أن يقال إن جغرافية (بطليموس) هى أقصى ماوصل اليه فى الزمن القديم ، مع العلم بأن الرومانيين ليسوا قوما علميين ، ولذا وضعوا خرائط فى منتهى الأبداع للطرق والمدن للأعمال الحربية ، ولم يحولوا أنظارهم نحو طريقة (هيبارشس) العلمية ، وضربوا صفحا عن ما وصل اليهم عن معرفة كروية الأرض ، ثم تلا ذلك سقوط الدولة الرومانية ومعه ولت العلوم . هذا وخرائط الكرة الارضية فى العصور المظلمة غريبة ومضحكة وشكلها العمومى كما هو مبين بالرسم .



ولكنها كانت تحلى بمهارة زائدة ، فكانت ترسم مدينة بيت المقدس بمناراتها وقلاعها فى وسطها : ففى الشرق الاقصى الذى يعتبر قمة الخريطة ، ترى جنة عدن بسياجها البديع التصوير يقوم فى وسطها آدم وحواء ، والبحر يرسم بأمواجه تمخر فيه السفن وتسبح فيه الدلافين والحيتان ، — ولما أن كانت الكنيسة تقول بانبساط الارض ، وجب على الناس فى ذلك العهد أن ينبذوا العلم ويتبعوا ما قالته الكنيسة .

وفى النهاية بدد النور غياهب الظلمات ، واكتسح جحافل الحلك ، وانتصرت المعرفة على الجهل ، فجاء (ماركو بولو) السائح البندقى بعد أن جاب أعظم مدن الصين واليابان عام ١٢٩٥ وسجن فى (جنوه) ، فكتب عجالة عن كل ماشاهده فى تلك البلاد ، وهو فى غياهب سجنه . فأثارت قصصه الغريبة الأذهان ، وحولت الأنظار الى مرام بعيدة ، بل قل إنها كانت السبب الاكبر فى كسر قيود الجهالة .

وعرفت البوصلة البحرية فى نفس الوقت وشاع استعمالها ، بينما أن المدن التجارية الايطالية الكبيرة كانت محط رحال تجارة العالم ، ومهبط الجم الغفير من مختلف النحل والشعوب ، كما أن أسطولها التجارى أخذ يرتاد كل ميناء معروف ، فوصل قواد سفنه لعمل مايسمونه

(لوح البوصلة) ، ومن عدة نقط اعتبروها مراكز ثابتة مدوا منها وإليها كثيرا من الخطوط التى تعينت بالبوصلة . وبذلك أمكنهم معرفة كل الموانىء والرؤوس بتقابل كل خطين من مركزين مختلفين ، وعلى هذا وضعوا خريطة حسنة لشواطىء البحر الابيض المتوسط

الخرائط الحديثة : عند ما بزغ فجر العلوم ، وانتعشت المعارف ، وترقت الفنون ، ترجمت إلى اللاتينية أعمال (بطليموس) العظيمة عام ١٤٠٩ وطبعت عام ١٤٧٥ ، ومنذ ذلك العهد اعتبرت تقديراته ولوحاته التى رسمت على نتائج حسابه المرجع الأكبر .

أما تقديرات (ماركوبولو) وغيره من جوابى الأمصار فلم يعد لها اعتبار ، وأخذ الاعتقاد بكروية الأرض يجد له معضدين ومؤمنين ، حتى أن (كولمبوس) وجد السبيل ممهدا عند ما أخذ على عاتقه إنفاذ مشروعه العظيم .

وتقديرات (بطليموس) تجعل الشاطىء الاسبانى اكثر بعدا إلى الغرب والصين فى بعد سحيق من الشرق ، وقد قدر (كولمبوس) المسافة بينهما فى عرض المحيط أقل مما هى عليه ، وبذلك اعتقد أنه وصل الى جزائر الهند الشرقية عندما حط رحاله فى بهاما .

ولقد كان كل اكتشاف جديد مدعاة لتكملة الخرائط الحديثة ووضوحها : ففى عام ١٥٤٤ وضع (سباستيان كابوت) خريطة للعالم ، وفى سنة ١٥٦٩ وضع (هنرى لويد) العالم خريطة عن انجلترا ، وفى سنة ١٥٧٥ طبع (ساكستون) أطلسا انجلزيا مكونا من ستة وعشرين لوحة ، أما (مركاتور) الذى اسمه الحقيقى (جيرارد كرامر) ، فكان أعظم جغرافى فى ذلك العصر ، فقد وضع عدة خرائط وطبعها بنفسه بطريقة حسابية ابتكرها هو شخصيا .

وانبثق فجر القرن السابع عشر بتغييرات عظيمة ، فقد أصاب (بيكون) كبد الحقيقة ، وعلمنا طريقة البحث الصحيحة ، وأثبت أن هذا العلم خير ماعوج للوصول به الى كمال وخير الانسانية ، واخترع بعدئذ (التلسكوب) المنظار المعظم ، واكتشف (جاليليو) عام ١٦١٠ أقمار النجم (جوبيتر) ، وبعدئذ بنحو ستين عاما حقق (كاسينى) أقوانين حركاتها ، وبذا أتحفنا بطريقة محققة قيمة عن خطوط الطول ، وقد اشتغل الأخير برفقة أحد أولاده وابنه الاكبر بالأعمال الجغرافية الجليلة ، فقاس الأولان قوس نصف النهار بالقرب من باريس الى دنكرك ، وحصلا لأول مرة على نتيجة تكاد تكون صحيحة ، بينما أن الابن الثانى أخذ على عاتقه عملا أجل وأعظم وهو القيام بمساحة فرنسا وقد تمت عام ١٧٥٠ .

وقبل أن ينصرم هذا القرن أدخلت تحسينات عظيمة فى آلات الرصد فتوصل (جاسكويجين) قبل وفاته فى حرب (مارستون مور) فى سن الرابعة والعشرين كيف يستعمل سلكين متوازيين فى منظاره المعظم ، كى يتسنى له قياس الزوايا الصغيرة ، وبه أمكنه قياس أقطار دوائر القمر والنجوم ، ولكن موته المبكر حال دون طبع بحوثه ، ولذا كان أول تحسين اكتشفه (بيكارد) والآخر بمعرفة (أوزوت) . وتوصل (هيوجينز) ، الى استعمال البندول فى الساعة الفلكية ، ومكن الفلكيين أن يحكموا بمنتهى الدقة على الوقت المضبوط لأى رصد .

واخترع رومر آلة الانتقال التى يمكن للفلكيين بها أن يخبروا بدقة عن متى يعبر أى نجم نصف نهار المرصد .

وهذه الآلات الفلكية كانت أكبر عون للأخذ بيد علم الجغرافيا، وبها توصلنا الى معرفة حركات الأجرام السماوية بالتحقيق ، وهذا العلم كان أول خطوة فى طريق احتساب أطوال الطول والعرض .

أما غرة القرن الثامن عشر، فقد تأكد العالم فيها من كروية الارض ، وأصبحت حقيقة لاجدال فيها ، ففى كل نقطة معينة عند خط معين يدق البندول مرة فى كل ثانية ، ولكن وجدت أماكن لها أطوال مختلفة بتغيير دقات البندول ، وهذا يؤكد لنا بأن مسافات الأماكن من مركز الكرة الارضية ليست متساوية .

ثم قام الرياضيون وأثبتوا أن كل جسم مائع يدور حول محوره لايمكن أن يأخذ شكل كرة، ولايدور حول محوره إلا كل جسم كروى أو كروى مفرطح عند قطبيه .

ولقد برهن على شكل الأرض الحقيقى بمقياس أطوال درجات خطوط أنصاف نهار مختلفة بمنتهى الاتقان ، وهذه المسافات وجد أنها تختلف شيئاً ما عما قدر ، فتزيد قليلا عند خط الاستواء وتقل نحو القطبين، وباحتساب قطر دائرة الكرة عند خط الاستواء حكم بأن طوله ٧٩٢٥ر٦ ميلا وفى القطبين ٨٩٩ر٢ ميلا .

وأهم عمل عمل فى هذا القرن القيام بأنجاز مساحات عظيمة على أساس الطرائق والآلات التى استنبطها العلم لهذا الغرض ، واذا ما أتينا على وصف مساحة المثلثات يجب أن نفهم أولا ماهيتها ، فقد قامت تقريبا جميع الحكومات الأوروبية بهذا العمل وكذا الولايات المتحدة والممالك التى غزاها الأوروبيون ، حتى بعض الممالك التى نالتها مسحة من المدنية ، فأخذت كل مملكة فى وضع خرائط لشواطىء أراضيها بمنتهى الدقة لقواد البحار ، وزود المكتشفون لمناطق المتوحشين بآلات الرصد وكيفية استعمالها، ومعلوماتنا عن داخليات البلاد الغربية الآن تكاد تكون تامة ، وفى كل عام يضىء النور على بقعة مجهولة مظلمة ، ولو أنه لا تزال هناك بقع لم يصل اليها المكتشفون بعد ، إلا أن الأمل قوى فى الوصول إلى مالم يصلوا اليه حتى الآن .

ولقد قام عدة رحالين فى الماضى بمخاطرات ومجازفات فى اكتشاف مجاهل الكرة يستحقون من أجلها التمجيد والثناء وتتويج هاماتهم بأكاليل الفخار أمثال : (كوك) و (مانجو) و (بوبارك) و (ليفنجستون) و (ستانلى) . ولقد كان عملهم أكبر مشجع لمن خطا بعدهم الخطوات الواسعة الموفقة التى عادت على العالم بالتمدين والعمران .

محمد بهجت
موظف بالمساحة بالقاهرة

حظ الاديب فى مصر

ما للاديب بمصر عاثر الجد ... وما لمن دونه عيشة رغد
حتام ياأدبى فى الدهر تصحبنى ... بئس المصاحب، فاتركنى به وحدى
فقد رأيتك تردى من تصاحبه ... وكنت أحجوك: إن لم تجد لاتدرى
دعنى فما لذتى إن عشت مضطرباً ... بين الصحائف لا ألوى على قصد
ولاتلمنى إذا نكبت عن رشد ... مواقف الدهر منى أذهبت رشدى
وكيف عيشة من لم تصف عيشته ... يوماً، وطالعه لم يخل من نكد
أصارع الدهر أحيانا ويصرعنى ... بما يعبئه فى الغيب من جند
فأنثنى متعبا لاشىء يؤنسنى ... سوى همومى وماعندى من الوجد
واليوم أكرع صاب الدهر منفرداً ... لأمنح الناس مايحلو من الشهد
وقد تفرق عنى من أؤمله ... من الصحاب ولم يبقوا على عهدى
وخلفونى أناجى الهم مكتئباً ... وأقطع الليل فى حزن وفى سهد
يستكثر الناس بلواهم وليتهمو ... جاءوا إلى أريهم بعض ما عندى
قالوا: نواسيك بلواك، قلت لهم ... هذا مصابى فلأنهض به وحدى

* * *

دع المواهب: لاتغبط بها أحدا ... هى البضاعة لاتغنى ولا تجدى
إن الذكاء سراج أنت توقده ... لكن لغيرك فاحذره فقد يردى
أؤنفق الوقت فى علم وفى أدب ... وينفق الوقت من دونى على النرد!!
يقضى النهار على مقهى يلازمها ... ويصرف الليل بين الكأس والخرد
اسود حظى فى الدنيا فلا أمل ... فى أن أصادف حظاً غير مسود
وكوكب النحس قد أمسى يلازمنى ... وما شهدت حياتى كوكب السعد
أينقضى العمر لم أبلغ به وطراً ... وقد بلغت المدى فى اللأى والجهد
وأوهم النفس أن يجمح بها بطر ... إن السعادة لاشىء سوى الكد
وأطرق الروض عل الروض يؤنسنى ... ويصرف الهم عنى باسم الورد
فأبصر الروض فى صمت يصوره ... لى الخيال دليل البغض والصد
وأسمع الطير أحياناً فأحسبه ... لما تجمع فى نفسى صدى الرعد

طلبه محمد عبده
دار العلوم

بين ذكاء الانسان والحيوان

بقلم الاستاذ أحمد فؤاد الاهوانى
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

من الظواهر النفسية العسيرة الادراك، والتى كثر الجدل حولها، بل كان ولا يزال من الصعب الاتفاق على مغناها وحدودها: الذكاء؛ ودليلنا على هذه الصعوبة هو قلة من تكلم فى هذا الباب من القدماء، وإذا تكلم أحدهم فان رأيه اليوم بعيد عن الاعتداد به كل البعد، وهذا بعكس بعض الظواهر الأخرى التى تناولها الفلاسفة من قديم: كالعادة، والذاكرة وتداعى المعانى ... الخ، ومازلنا نأخذ بوجهة نظرهم فيهما مع شىء من التعديل كثير أو قليل، وقد تعجب إذا علمت أن أول من تكلم فى الذكاء بصفة علمية هو (بينيه) BINET، وعهد بينيه ليس عنا ببعيد، بل نستطيع أن نعتبره معاصراً لنا؛ ذلك أن التفرقة بين الناس من حيث الذكاء، أى أن هذا ذكى وهذا غبى، هى تفرقة نسبية، فأنت تحكم على (قيمة) عملياته العقلية، وقيم الأشياء تختلف حسب وجهات النظر، بل أكثر من ذلك لا تستطيع أن تخضع الأشياء من حيث قيمها إلى قانون علمى أو قاعدة صحيحة. من هنا كان من الصعب ومن العسير تحديد الذكاء ومعناه، ومن هنا كان من الصعب إلى حد ما، قياس الذكاء واختلاف العلماء فى طرق هذا القياس، لأنك لا تستطيع أن تقيس شيئاً إلا إذا عرفته، واتفقت مع العلماء على مدى معناه؛ ومع ما فى هذا من الصعوبة كما رأيت، سنبدأ بتعريف الذكاء إذ لا مندوحة لنا من ذلك، وستجد هذا التعريف متعدد النواحى، هو خلاصة آراء كثير من العلماء والمدارس، كل واحد على حدة ناقص بنفسه، ولكنها فى مجموعها صحيحة إلى حد ما: فالذكاء هو مظهر الآلة العقلية، هو القدرة على أداء الأعمال أداء صحيحاً، هو الوصول إلى نتائج حسنة، هو حل المشكلات عملية كانت أم نظرية.

من هذه التعاريف المتعددة نستطيع أن نختزلها فى رأيين: الأول أن الذكاء هو مجموع العمليات العقلية أو هو جماع هذه الآلات، وهذا هو رأى بينيه، لأنه إذ أراد أن يقيس الذكاء قاس هذه العمليات العقلية، مبتدئاً بأدناها إلى أرقاها، مبتدئاً بالاحساس خصوصاً عند الأطفال الصغار، ثم الادراك الحسى، والتذكر، والتخيل، والتفكير، والاستدلال، والفهم. والرأى الثانى أن الذكاء هو التصرف، أو هو حل مشكلة من المشكلات، وبمعنى آخر لا ذكاء إلا فى العمل وفى النتيجة، وهذا رأى حديث نستطيع القول بأنه نتيجة الفلسفة العملية التى سادت أمريكا، والتى يسمونها برجماتزم PRAGMATISM، أما قياس الشىء بنتيجته فمعروف، ولكن فى مجال

آخر غير مجال علم النفس ، فى ميدان الاخلاق ؛ قال ابن ربيع فى كتابه سلوك المالك (١) «فأول نعمة أنعمها الله على الأعجم والفصيح حياة الروح، لأن بالحياة يذوق اللذات، وينال الشهوات، وهى نعمة عامة على جميع الحيوان ليست خاصة للانسان ، لكن النعمة التى بها مخصوص العقل (٢) وبه حصل له النبل، وبقوته ملك الحيوان وقهر، وساس الأشياء ودبر . والأخص منه العلم وهو نتيجة العقل، وبه التفاضل بمقدار النقص والفضل ، وبحسب الطلب والحث، وبقدر الفحص والبحث ، وغاية ما خلق له وطلب منه العمل ، وهو الذى أجرى إليه وأثيب عليه.. ولا حياة بالحقيقة لمن لا روح له ، ولا عقل لمن لا حياة له ، ولا علم لمن لا عقل له ... وقد سبق القول أن الذى خلق له الانسان وأريد منه هو العلم والعمل » .

بهذا التعريف الثانى الذى فصله العلماء المحدثون تفصيلا حسناً ، نستطيع التفرقة بين ذكاء الحيوان والانسان ، إن كان للحيوان ذكاء ؛ وقد فطن القدماء إلى مثل هذا، ولو أنهم يخلطون حديثهم بالمسائل الدينية ، فقد قال ابن مسكوية (٣) «ثم لا تزال هذه الأحوال تتزايد فى الحيوان حتى يقرب من أفق الانسان ... كالقردة وما أشبهها ، ويبلغ من ذكائها أن تكتفى فى التأدب بأن ترى الانسان يعمل عملا فتعمل مثله من غير أن تحوج الانسان إلى تعب ورياضة لها، وهذه غاية أفق الحيوان التى إن تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها من أفقه وصار فى أفق الانسان الذى يقبل العقل والتميز والنطق والآلات التى يستعملها والصور التى تلائمها».

ولا نريد أن نعرض لرأى ابن مسكويه طويلا فرأيه فى الذكاء بالمعنى الذى نريده وهو ما يرادف الكلمة الأجنبية INTELLIGENCE ظاهر الخطأ ، إذ محاكاة القردة أو أى حيوان آخر أو الانسان نفسه إذا حاكى غيره لا يعد كل هذا ذكاء، وإنما هو شىء آخر ليس مجال بحثنا اليوم ؛ ولكن ما أريد أن أقف عنده فى رأيه مسألتان : الأولى تقسيمه العمليات العقلية إلى آفاق ، فهناك الأفق الحيوانى، ثم الأفق الانسانى، وهى فكرة فى مجموعها صحيحة ولكنه لا يفصلها التفصيل الكافى ، وهذا الأفق الحيوانى والانسانى يسميه المحدثون المستوى NIVEAU ، وقد نعود إلى بحث هذه النقطة فيما بعد؛ والمسألة الثانية هى شرحه للأفق الانسانى بأنه يقبل العقل والتميز والنطق والآلات التى يستعملها، يريد الحواس والمدركات الحسية ، ثم الصور التى تلائمها ، وهذه فى الواقع هى بالتقريب كل العمليات العقلية التى يتكون من مجموعها الذكاء كما قدمنا، وكما ذكر (بينيه) عندما أراد قياس الذكاء .

ثم يقول فى موضع آخر ، وهنا يطابق رأى ابن أبى ربيع ، ولو أنه ليس واضحاً وضوحه، ويطابق الرأى الذى نذهب إليه من أن الذكاء هو التصرف فيقول: «وأواخر الزنج وأشباههم

(١) كتاب سلوك المالك فى تدبير الممالك لشهاب الدين بن ابى ربيع – طبعة الكردى بمصر ص٤٢ و٤٣
(٢) يريد بالعقل الذكاء .
(٣) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه — طبعة الكردى ١٣٢٩هـ ص٨٣ و٨٤



قبل أن يستعمل القرد العصا يجب عليه أن يبنى مرتفعا من الصناديق، يضعها تحت الشيء الذى يقصده ، حتى يستطيع الوصول إليه.

من الأمم التى لاتميز عن القرود إلا بمرتبة يسيرة ، ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا إلى وسط الأقاليم،فيحدث فيهم الذكاء، وسرعة الفهم ، والقبول للفضائل، وإلى هذا الموضع ينتهى فعل الطبيعة التى وكلها الله عز وجل بالمحسوسات، ثم يستعد بهذا القبول لاكتساب الفضائل واقتنائها بالارادة والسعى والاجتهاد »

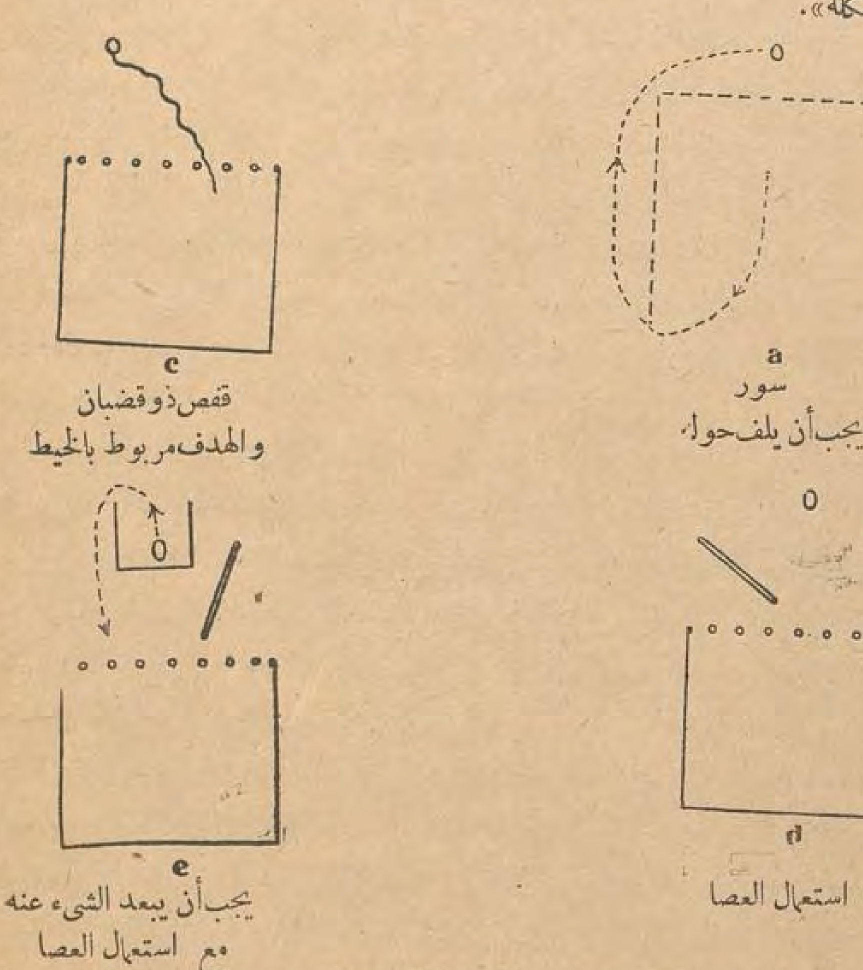
بهذا الرأى عن الذكاء،وهو وجود مشكلة يحاول الانسان حلها ، وبقدر توفيقه فى الحل يكون ذكاؤه، نستطيع القول بأن الحيوانات الراقية عندها ذكاء ،ونستطيع من ناحية أخرى معرفة مدى هذا الذكاء بملاحظتها ملاحظة خارجية عند تحقيق بعض الأعمال، طالما كنا لانستطيع أن تنفذ إلى عقل الحيوان ومعرفة مايدور بخلده؛وقد يقول قائل: إن أعمال الحيوان التى ندعى أنها نتيجة الذكاء، إن هى إلا أعمال غريزية لادخل للعقل فيها، ولاسلطان له عليها، أو هى نتيجة التجربة وحذف الأخطاء ESSAIS ET EREURS ولذا وجبت التفرقة بينها.

فالأعمال الغريزية هى سلوك فطرى أمام مؤثر خارجى ، وهذا السلوك نوعى أى عام فى جميع أفراد النوع، ولا يتغير بتاتاً أمام هذا المؤثر الواحد ، بينما أعمال الذكاء هى على العكس من ذلك : غير موروثة، وشخصية،ومرنة، وتصدر عند مؤثر أو موقف جديد يتغير غير ثابت. يجب إذن إذا أردت مشاهدة ذكاء الحيوان أن تدفعه إلى موقف لم يسبق أن وقفه ، ولم يسبق له أن تصرف فيه وسلكه،ثم ترى ماذا يفعل ؟ وهذا ما عمله العالم الألمانى (كوهلر) فى تجاربه على القرود الراقية المسماة «الشمبانزى» والتى أودعها كتابه «عقلية القرود» ويعتبر كتابه هذا حجة لكل من أراد الاطلاع على عقلية الحيوانات ممثلة فى أرقاها وهى القرود .

ولننقل ما يقوله (كوهلر) فى هذا الصدد : « إذا قدمت إلى قرد غذاءه، فانه ينحو إليه الطريق العادى : الخط المستقيم ، فاذا اعترض الطريق عقبات مختلفة الأنواع والأحجام كان عليه أن يجد لنفسه مخرجاً ؛ إنك لاتجد أى قرد يضطرب أمام العثرات المعقدة التى تصعب على الكلب أو القط،وتكون أكثر صعوبة بالنسبة لفرخة؛لنفرض إذن أن هذه العقبة كأداء لايستطيع أن يتخطاها، ولكن الهدف (ليكن أى نوع من المأكولات أو الفاكهة) مربوط بخيط طرفه فى متناول الحيوان ، تجد القرد يعرف كيف يستعمله ليجذب الهدف الذى هو فى دائرة بصره، بينما يعسر على الكلب هذا العمل، مع عدم وجود أى عائق فسيولوجى يمنعه من ذلك .

والآن إذا كانت هذه الآلة ـ التى تستعمل فى الوصول إلى الهدف غير متصلة بالهدف وكانت عصا يجب استعمالها للوصول إلى الغرض، فانك تجد أن أى قرد منحط لا يستطيع استعمالها، مع أنه يستطيع إمساك العصا بيده، إنه يسحب العصا إذا ما رآها متصلة بالشىء، ولكنه لايستطيع أن يعيد هذا الاتصال المنفصم بل لايحاوله ، وعلى العكس من هذا يستعمل الشمبانزى العصا كما يفعل الانسان .

فاذا تعقدت المسألة أكثر من هذا ، فوضع الهدف فى صندوق مفتوح من أعلاه ومن الجانب المضاد للقفص ، كان على القرد للحصول على الهدف أن يدفعه ، وأن يبعده عنه، حتى يخرجه من هذا السوار إذا ما ضرب حائط الصندوق العرضى ، فالغاية النهائيــة هى تقريب الشىء ، والوسيلة أو الغرض الثانوى هو إخراجه من السوار المحيط به بابعاده ، فهذا العمـل الثانوى لامعنى له فى ذاته إلا بالنسبة للعمل الرئيسى، ثم هو فوق ذلك يجبر الحيوان على أن يغالب النزعة الطبيعية لتقريب الشىء منه ؛ فأذكياء الشمبانزى وحدهم هم الذين ينتجون حلا صحيحاً لهذه المشكلة».



جميع هذه المواقف الصناعية جديدة على الحيوان وتتطلب من ناحيته ابتكارا يجب أن تتوقف تضاعيفه على الظروف .

فأنت ترى من الأمثلة السابقة أن تصرف الحيوان فيها هو نتيجـة الذكاء لأنه خاص ببعض الأفراد دون النوع، لأنه تصرف فى حل مشكلة جديدة وغير ثابتـة ، فهو تصرف غير غريزى .

أحمد فؤاد الاهوانى

قصة مصرية واقعية

فاطمـــــــــة

بقلم الاديب عبدالحميد العمروسى

انحدرت فاطمة من صلب أبويها طفلة وضاءة الجبين مشرقة الوجه ، أخذت تنمو فى طريق الحياة كزهرة مزدهرة تعلن عن نفسها بالرقة والملاحة، لا هم لها إلا تمضية الوقت، لعوبا طروبا مع زميلاتها وصويحباتها، وبفضل ما حبتها به الطبيعة من تاج الحسن والدلال أقر لها الفتيات عن طيبة خاطر بالرياسة فى كل أدوار اللعب، مع أن فيهن من يفقنها سنا ، ولكنها سنة الله طبعت النفوس على التطامن والخضوع أمام عظمة الجمال وأبهته ..

لم تك فتاتنا من فتيات القصور او ربات الخدور، بل لم تك تملك من حطام الدنيا سوى بهجتها وروائها: روحا وخلقة وخلقا، وكم فى الفقيرات من يستحققن بجدارة تسخير بنات القصور بين أيديهن وتحت أقدامهن ..

عزمت أسرتها على الترحال ميممة القاهرة علها تجد فيها من أبواب الرزق مايسد مطالبها، وفى حى السيدة لقت عصا التسيار ، وسعى رب الاسرة فى إلحاق ابنيه وبنته الثانية للخدمة فى البيوت ، وبقيت فاطمة سلوة وقرة عين ، وكأن سحرها أبى على أمها قبول زجها فى بيت تهان فيه وتضام ، فاحتفظت بها لتخصها بنصيب من العناية وافر ، إذ تؤمل لها مستقبلا فى دولة الحسن والدلال . وإن من يرى الفرق بينها وبين بقية الأسرة ليحكم بأنها ورثت هذه الصورة من جدة عليا بعد أن توارت حقبة من الزمن ..

مرت الأيام يتلو بعضها بعضا، والأسرة يرفرف عليها طائر المحبة والهناءة، قانعة راضية لا تحتاج لى مزيد، ولا تطمع فى ادخار ...وفجأة ، انقطع الرجل عن عمله وبقى الشهر والشهرين مملا نفسه بالمنى فلم يعثر على ضالته ، ولم يجد عملا يرتزق منه ، وأصبحت أجرة أولاده لا تكفى المعيشة ، وصارت الأم أمام أمر واقع فاضطرت مرغمة بين اليأس والقنوط إلى إيداع ابنتهما عند « ح . م . بك » مقابل إلحاق زوجها (بشغلة ميرى) . انصرم حبل الايام وانفرط عقد العام حتى سمح المخدوم وقبل تعيين أجرة لخادمته بعد الالحاح الشديد بالادعاء تارة وبالاشارة أخرى.

درجت فاطمة فى احضان البيت كطفلة يعهد إليها بحمل حقيبة محمود إلى المدرسة وملاقاته صبحا وللعودة معه عصرا . لم يجد الطفل الساذج غضاضة من تمضية وقت فراغه فى اللعب مع خادمته الخفيفة جريا فى الشوارع، واختباء فى الحديقة، وهروبا بين الدواليب كأفراخ العصافير تروض أنفسها

على الطيران ، أو كصغار الغزلان تجد لذة فى الجرى والقفز والعناق ، وكلما تقدمت الخادمة فى السن استروح غصنها وبرزت محاسنها، فأصبحت فتنة للناظرين ، ومحط أنظار المارين . وطمحت نفس محمود الفتية فى أن تبقى خادمته ملازمة له فى غدوه ورواحه كسابق عهدها، لكنها خضعت للتقاليد فأتزرت بالملاءة والتفت بها فى انتظام، فبدا وجه البدر ليلة تمه، وعلى جانب صفحة الجبين تدلت خصلة من الشعر هامسة فى قوس الحاجبين « إن هذا لسحر مبين » .

شب محمود فخرج من الحياة الهائجة المضطربة التى ليست لها غاية تدرك كما كان يتصورها، خرج إلى الحياة المحدودة ، الحياة الشخصية التى جعلته يحصر تفكيره فى نفسه، فألفى قلبه مليئا بالرغبات والميول ، والنزعات والاهواء ، وما زادته الأيام إلا تفتقا فى ذهنه ، وإرهافا فى أذنه ، وتحديدا فى مدركاته ، حتى أصبح شغوفا بسماع مايتفوه به الشباب فى المدرسة من أنواع الخلاعة وضروب الدعابة التى تجرى لهم مع جاراتهم ومرماحات الشوارع، فتيقظت عواطفه ، وأرغمته على تقديم الغذاء لها ، تبصص فى الطرقات فأكثر ماوقع عليه نظره وجوه سويت نتوءاتها، وملئت تجاعيدها بالاصباغ، والادهان، فعافت نفسه وأعرض ونأى بجانبه؛ ولما لم يجد فى الخارج مايطفىء ظمأه ، ويشبع نهمه الذى أيقظه خلان السوء، لم يجد بدأ من الالتجاء إلى طريق آخر . نظر فلم يلق إلا الكاعب الحسناء (فاطمة) فوقع بين نارين ، واضطرب بين سعيرين ، أيسمح لخادمته بأن تكون أول من يلج قلبه أم يكبت عواطفه ويكبح جماح ثورته ؟ لم يصل عقله وتبلغ به إرادته الى التغلب على وجدانه، وهو الحدث ربيب النعمة واليسار ، وباكورة أم أعقبته بثان بعد عقم طال ، فأولتهما حنانا زائدا ، وحبتهما شفقة فائقة ، واهمة أن فى رفع الرقابة عن ابنيها وإطلاق أيديهما فى كل ما يصلان اليه ذريعة الى إسعادهما ، وإنعاشا لروحهما ، وفتحا جديدا فى حياتهما الهنيئة ..

ازداد محمود عناية بهندامه ، وأكثر من الوقوف أمام المرآة ليطمئن الى وسامة طلعته ، ورشاقة بزته ، ثم فكر فى تلك التى تمكنت من التسلط على قلبه ، وإشغال لبه ، وفكر طويلا فى كيفية الوصول اليها ، وإعلامها بما يكنه لها ، بل من يضمن له أن تقابل المثل بالمثل فتبادله العواطف وتقاسمه اللواعج ، وهى الريفية التى من أخص صفاتها التحصن والعفاف ؟ وبالرغم من تجاوزها منتصف العقد الثانى مازالت تتبعه بحقيبته جريا وراء العادات القديمة البالية التى تركزت فى رءوس بعض المصريين الذين بلغ بهم جهل التربية الى الخوف على أولادهم مما لا يخاف منه فيشبون جبناء متوا كلين غير واثقين من أنفسهم فتموت فيهم صفات الرجولة ، ويعيشون هيابين وجلين فيسبقهم غيرهم فى مضمار الحياة ممن أوتوا شجاعة وإقداما : وما الحياة الا للشجاع المقدام فى حزم ويقين ..

لجأ محمود الى ما يلجأ اليه كل غر فى دور المراهقة، فتارة يعرج فى طريقه على بائع الحلوى

فيرضى نفسه بواحدة وفاطمة باثنتين، وأخرى يلازمها ملازمة الظل لصاحبه مدفوعا بحرارة قلبه الثائر، وهو لا يجرؤ على مصارحتها ومكاشفتها، وثالثة يتحين الفرص ويكثر من إلقاء أوامره عليها، لاحبا في قضاء مطالب بل توقانا إلى محادثتها ومكالمتها، إذ كان يجد في ذلك بردا وسلاما على قلبه ، وفاطمة من طبيعتها الهدوء والسكون وحب العزلة مما يدل على الثبات والرزانة فكان ذلك مشعلا لوله محمود فعظمت في عينه، ومرور الايام ضاعف شغفه بها فتعددت نفحاته وتنوعت مبراته ..

لاحظت فاطمة على ابن سيدها تغيرا في سلوكه عن أيام الصبا وتبدلا في معاملته فدهشت وصمدت الى التفكير في الأمر ، ولكن سرعان ما تركت التفكير جانبا ، وغرتها الهدايا وأسرتها العطايا ، وأرجعت ذلك الى كرم الأبناء ، وسخاء الشبان الذين لا يعنيهم من أمر المعيشة إلا أنفسهم فعظمته وأحلته منزلة تليق به ، ومالت إليه ميل الفقير الى المحسن اليه ، وميل المريض الى من خلص حياته من براثن الموت ؛ ميلا بريئا خالصا من شوائب الادران . رأى منها ذلك ففسره حسب هواه ، وظنها بدأت تحس وتشعر بما يختلج في صدره فتقدم في ميدان الجهاد جاعلا دروسه دبر أذنه وتحت قدمه وصار يختلس الاوقات ليجالسها ويلقى على أسماعها مايلذ له من الحوادث الغرامية التي كان يستمع اليها من خلانه فوقعت كلمات الحب والعشق والغرام في نفسها موقع البذور في الأرض الخصبة فشرعت في النماء شيئا فشيئا ومحمود يرودها بطيب هباته ومعسول حكاياته وخلب وعوده حتى ترعرعت الشجرة في حشايا صدرها وتفرعت أغصانها في حنايا ضلوعها، فكلما أحست بمحمود يكلمها، هبت رياح هيامها على أغصان الشجرة فحركت ذوائبها وعلا الصدر بنهوده وانخفض تبعا لحركاتها واستتبع ذلك تصعد الزفرات الحارة في رنين التنهدات الكاوية ..

وقفت السيدة على بعض السر وأدركت ما بين الفتى والفتاة من تبادل النظرات واختلاس الابتسامات، فلم تأخذ للأمر عدته ولم تحفل بالعاقبة، بل دفعها حنو الجاهلات المستهترات الى الاغضاء عن فتى يقوده النزق ويحدوه الطيش، فتفقدته عند الرقاد في إحدى الليالي فلم تجده في سريره ، فأطلت من نافذة الغرفة في الطابق الثاني على بهو خلف البيت لتسأل عنه الخادمة فوقفت عن السؤال فجأة حين أبصرت ماأذهلها، أبصرت غرفة المطبخ مضاءة وانسل من نافذتها ظل في حركة مستمرة، واقتراب وتباعد، فتتبعته بنظارها حتى أتت على آخره فاذا أيدي تمتد لتجذب وأخرى تنبسط لتدفع ، وإذا رأس للأمام تميل وأخرى للخلف تتخلع، ففطنت للأمر وأدركت سر الاشكال ، فنزلت مسرعة وبخطى خفيفة ، وحتى لاتفاجىء فتاها بما يرعبه أو ينخرط له قلبه تظاهرت بعدم المعرفة ، وقالت ضاحكة : لماذا تضرب خادمتك يامحمود ؟ ماذا فعلت يافاطمة حتى يغضب عليك ؟ فكانت مفاجأة، وكان خجل احمرت منه الوجنات وتندت له الجباه ..

ضاق محمود ذرعا من تمنع فاطمة ولم يعد يستطيع صبراً على تجنيها، لا ينتفع بدرس ولا يفكر فى كتاب، ولا يبعد التفكير عن ذهنه ليله ونهاره حتى برحه الوجد وأضناه الشوق وانتهى به الأمر أن رفت من المدرسة لرسوبه سنتين فما اهتم ولا حزن، ولم يهتم أو يحزن؟ ونفسه ثائرة، ونزعاته عطشى، وعقله مختف، وثروة أبيه فيها مطمع، وليس وراءها مترع... يئس منه أبوه ولم يدر من حبه شيئاً، فلم يبال بغضب أبيه مادامت له أم تحميه ومن شر العدوان تقيه..

زادت أوقات الخلوة بفاطمة يبثها وتبثه، يناجيها وتناجيه إذ وثقت من براق وعوده بأنه لها دون سواه، وهى له لن تتخطاه، فحفزتها هذه الثقة وما ورثته من عفاف قروى إلى تحصين نفسها، والتحرز من سقطات نزعاتها فما كانت تلبى نداء الخلوة أو تستجيب لهاتف الغفوة، وإذ قد تجاوز الفتى العشرين وبرزت حياته العقلية الرزينة نوعا ما، ونازعت منازع الوجدان منازعة ما... فكر فى الأمر مليا علهينال حلا مرضيا، فاما سلو، وإما إقدام، فانتهى به التفكير إلى الضن بفاطمة، والحرص عليها من الافلات، وهى التى درجت معه من الصغر وشبت وترعرعا سويا:

علقتها غرا غلاما ناشئا غض الشباب وعلقتنى جارية
حتى استوينا لم تزل لى خلة أبكى إذا ظعنت بعين باكية

وأصبح محمود لا يأبه بما يشترطه الشبان عند إرادة التبنى على عروس من: ضياع وعقارات وأموال، بل عول على الثقة والجمال والاخلاص، وعد فقرها وهى متوجة بهذه الصفات محمدة أخرى يزدان بها مفرق الجبين. غابت عنه خليلته الهيفاء ليلتين فى زيارة أسرتها فكانت أول مرة أحس فيها بنار البين تكوى كبده، وتلتهم صبره، فأدرك ألم الحب وذاق طعمه، وعرف كيف يكون فى البدء سلوى وفى النهاية جمراً. لازمه السهاد، وعافه الرقاد، فطفق يقطع أرض الحجرة جيئة وذهابا، وأطل من النافذة فأبصر قرصا أبيض على بساط من زبرجد فأنشد:

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا يابدر مافيك لى من وجهها خلف
تبدو لنا كلما شئنا محاسنها وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فلما عادت الخليلة وهى عازمة: إما على إرجاع فتاها عن هذه الخطة التى طالت فطالت معها التباريح، وإما على الاقدام من طرقه المشروعة إذ قد طلب يدها كثيرون وإن لم يبلغوا معشار ما بلغ من الثراء والجاه، فوجهة نظرها أنها ترى سعادتها فى الاخلاص المتبادل، والتفانى فى المحبة، ولما كانت أحكم منه عقلا وأجرأ، أو مأت إليه بدخيلة نفسها فصمم على تلبية ندائها، وإجابة متمناها، وطلب إليها التأنى، ثم قصد أمه ــ وقد جرأته على عدم المداراة ــ فقال لها وهو يحاورها: اثنتان وعشرون سنة! ألا تكتفى للتفكير الآن فى.... فى أمر الزواج؟ ففطنته

مازحا كعادته؛ وأخذت تجاريه ذاكرة له فتيات أغرابا وقريبات،وكل واحدة يسوئها فى عين والدته ويأتى لها بحكايات مختلقة ، ولم يك ذلك فى يوم أو يومين بل مرت أيام وهما يتحاوران حتى استطاع بخداعه أن يبذر بذور الجد والرغبة الحقيقية فى زواجه فى عقل أمه ، فهمت هى بالأمروشاع خبر بحثها، ولكنه يعاكسها فى كل من تذكرهن له حتى أيست ، بل حزنت أن لم تزوج ابنها وتتمتع بذراريه ؛ فاستغل هذا الظرف وكنى لها عن رغبته فى التبنى على . . . على... فاطمة... فعضت على نواجذها. ولا أمر فى الحلق من بنان الندم!!وأدركت أنها أهملت وأخطأت حيال ابنها ، وعزمت على أن تحول بينه وبين مراميه ما استطاعت الى ذلك سبيلا واهمة أنه هاذ فى قوله ، غير جاد فى دعواه، فأحكمت المراقبة ، وجدت فى التجسس، كل ذلك والأب على غير علم بالشرر الذى يتطاير فى بيته ..

أحس الفتى والفتاة بما يحبك حولها، فارتعدت فرائص فاطمة فى حين ازدادا تعلقا وشغفا، تسليا بالدموع يسكبانها ، والزفرات يصعدانها وتمثل محمود بقوله :

ولو نظروا بين الجوانح والحشا رأوا من كتاب الحب فى كبدى سطرا

ولو جربوا ماقد لقيت من الهوى إذا عذرونى أو جعلت لهم عذرا

لم تغن التوسلات ، ولم تشفع التضرعات حتى أيسا من الخلاص وزاد يأس محمود إذ علم أن أباه قد علم بطليعة الخبر، فأرغى وأزبد ؛ وهدد وتوعد ، وشرع فى البحث عن طاه لطرد فاطمة، فلم ير الفتى إلا القوة يشهرها فى وجه أبيه وأمه فيرغمهما على الخضوع لرأيه ، ولم يقصد بالقوة قولا يقوله ، أو سيفاً يستله ، أو سلاحا يصوبه، بل أمر آخر أمر وأوجع...عجل بالأمر وعجل ، وانتهز غطيط أبويه فى نومهما وسارع الى الحسناء الكاعب فى الطابق الأرضى فتذاكرا الخطر الذى ينذرهما، ويلوح لهما بهد كيانهما،ثم أخذ يهدىءروعها كالغزال فى شبائك الصياد ، ويعدها بألا خوف عليها ، ويمنيها فى إيقان وتأكيد حتى اطمأنت اليه، ومالت عليه، فضمها وطوقها، فغابا عن رشدهما وشملتهما غيبوبة الثورة، فلم يفيقا الا وقد حكم القدر حكمه وقضى الأمر المرير... الامر الذى كانت تخشاه الفتاة وتحذره ، الأمر الموجع لأبويه أيضا، فأوقفهما مشدوهين أمام الواقع فعجل الأب الى والدة الفتاة طالبا يدها بدعوى أنها تربت فى أحضانهم ، ووثقوا منها ، ومالوا اليها. وليسوا من الذين يتأففون من مثيلاتها، فأبى والدها وتمنع ،معتقدا أن زواجها بفقير مثله أجدى لها ، وأبقى على رابطة الزوجية،وما زالوا به جميعا حتى تنازل عن تمنعه ..

مرت أيام قلائل وبدأ منكر ونكير يعملان بحمق على تخليص ابنهما من هذه الفقيرة التى تحط من قدر الأسرة ، وتسمها بسمة العار ، مغرورين بماينعمان فيه من بذخ ورقة ، متناسين أن الحياة التى واتتهما ، وأسبغت عليهما حباءها قد تواتى فقيرة كهذه ، وترفعها فوق أترابها

وقريناتها . ضرب الفتى برأيها عرض الحائط بعد أن يئس من إقناعهما وتخطئة فكرتهما، فدب دبيب الغيرة فى قلب الأم ، وأخذت تصب جام غضبها على العروس فقابلتها هذه بالخضوع، والتفانى فى الطاعة والتجلة ، محاولة أن تبرهن لها على أن ستكون نعم العبد ونعم العشير ، ولما لم يجد كل ذلك لم تيأس بل اتفقت على التمارض لتنفرد فى بيت أبيها أياما، على ثورة حماها وحماتها تهدأ ، وإيذاءهما ينقطع ، وتبرمهما بابنهما ينمحى، فازدادت الأم المجهول ثورة على ثورة وحنقاً على حنق حتى تعب فؤادها ومرض قلبها فذبل جسمها ، ولازمت الفراش ، ولم تمهلها المقادير حتى تجرعت كأس تصرفها مريرة،وذهبت ضحية التشبث بأذيال زوج غنية موسرة لابنها ..

واصل الأب حبل التفكير فى الفرقة بين ابنه وبين من عاشرها فى صباه فراقت له،وخالطها فى شبابه فأحبها،وقنع بها كزوج فأخلص لها. ولما جاء الأب بعروس جديدة له تمهدت هذه بتشتيت الشمل، لا بين الفتى وفتاته، بل بين الوالد وابنه، فعمدت الى الفتى بالتقريع مرة ، وتذكيره بأمه أخرى ، وبالأمانى الطيبة ثالثة وبالحرمان من الميراث رابعة ، فلا عجب إن رأينا الذى أطبق على عروسه بين الشغاف والقلب،أن رأينا حدته تنكسر ، وشدة تمسكه بها تفتر ، وصلابته تتزعزع أمام هاتف ينعته بالعاق لأمه الجحود بأبيه . بانت منه فتاته وألفى نفسه فريدا وحيدا لا أم ولا زوج فنفر من زوج أبيه وشجر الخلاف بينه وبينها ، واعتقد أنها خدعته فاقترف أمرا إدا وأقدم على فعلة شنعاء ذهبت ضحيتها عروس ما ضمرت شرا ، وما حوت إلا طهرا، وبالتالى أخذت زوج الأب فى التخلص من الفتى كما تخلصت من فتاته فوسوست إلى الأب وسلطت شيطان إيحائها ، وبذا فقد البيت اثنين من مؤسسيه: أحدهما ضمه القبر مهموماً، وثانيهما يشتغل الآن فى البحيرة بالكفاءة مطرودا، ثم فاطمة التى مافتئت تبكى حظها وتندب بعلها ، وتنعى على المدنية ما فيها من تدهور وانحطاط .

لم يقف سيل الكارثة عند هذا، بل ما لبثت الزوج حتى دب دبيب الشقاق بينها وبين زوجها، وكيف لها أن تستقر معه وهى الفتية الطروب وهو الرجل الكهل لم تجد فيه ما يشبع رغبتها، فبانت منه بعد أن سلبت يده وصبره وتركته كئيباً لا معين ولا نصير .

هكذا تأبى دولة الفساد الا الشيوع والذيوع بين طبقة المقتدرين فيصوبونها إلى نحور الضعفاء الوادعين ، فاما أن ينحدروا نحو حياة العربدة،وإما أن ينتهى أمرهم بمأساة كهذه قاضية على الظالم قبل المظلوم .

عبد الحميد العمروسى

الفوتغرافيا والادب

طالعتنا الصحف فى أواخر شهر مارس الفارط ، بنبأ انتحار المستر جورج ايستمان المليونير الامريكى ، مخترع آلة التصوير الفوتغرافى ، المعروفة باسم كوداك ، ولمناسبة انقضاء أجل هذا المخترع ، رأيت أن أنشر على صفحات هذه المجلة المحبوبة من الجميع ، شيئاً عن الأثر الباقى الجميل ، الذى قد أحدثته الفوتغرافيا فى فن الأدب العربى الحديث.

إن مزايا انتشار التصوير الفوتغرافى بيننا لم تكن محصورة فى تخليد ذكرى المشاهد التاريخية النادرة ، وصور الأشخاص ، أو ترقية فن الصحافه فحسب ؛ ولكن قد أصبحت لانتشار التصوير الشمسى مزايا أخرى ، بمعنى أنه قد أدخل على آدابنا لوناً جديداً من ألوان الشعر العصرى ، لم يكن معروفاً فى ماضى الشعر ، وهذا الشعر الجديد ، هو ماتعود شعراؤنا كتابته على صورهم الشمسية ، سواء أكان ذلك للاحتفاظ بها لديهم ، أو لاهدائها إلى أصدقائهم ، ومن هذا الشعر أيضاً ما يكتبه الشعراء على صور أولئك الاصدقاء ، تقديراً منهم لوفائهم .

وهو كما أسلفت ضرب من الشعر جديد ، ولا عهد لأدبنا العربى به قبل ٤٨ سنة ، أعنى قبل أن يخترع المستر أيستمان الفوتغرافيا فى عام ١٨٨٤ م .

وإنى سأعرض فيما يلى نموذجات وقع عليها اختيارى من هذا الشعر الفوتغرافى:

صورة من غير روح !

وفى طليعة الذين نظموا فى هذا المغنى ، أمير الشعر والشعراء أحمد شوقى بك ، فقد بعث يوماً لأحد أصدقائه بصورته الشمسية بعد أن كتب له عليها :

سعت لك صورتى وأتاك رسمى ... وسار الظل نحوك والجهات
لأن الروح عندك وهى أصل ... وحيث الروح تسعى الملحقات
وهبها صورة من غير روح ... أليس من القبول لها حياة ؟

أخاف أن تنساه !

وقد أتيح لى أن أشاهد صورة للمرحوم ولى الدين يكن ، مهداة منه لصديقه فقيد الصحافة الكاتب الفكه ، الأستاذ سليم سركيس ، وعليها هذه الأبيات الرقيقة ، مكتوبة بخط ولى الدين البديع وهى :-

هى صورة لأخ أسوت كلومه ... ولقلما واسى سواك أخاه
يهديكها لا خوف نسيان له ... ما مثل قلبك تنقضى ذكراه !
لكن أتانى منك فضل أخوة ... فأخاف يا (سركيس) أن تنساه !

الحياة سباق !

حدثني صديق مصري قال : كان شيخ الأدباء اسماعيل باشا صبري ، يزور في ذات يوم منزل صديقه الأستاذ سليم ، الذي تقدم ذكره ، وفي الوقت الذي جلس فيه الاديبان الكبيران يتباحثان في المواضيع الأدبية ، ويخوضان بحور الشعر منتقدين ومقرظين ، كان الطفل «أنور» نجل صاحب الدار ، يلعب بدوره أمامهما بكرته يدحرجها، ثم ينثني يعدو خلفها ، ويتعثر ويثب في خفة ورشاقة، كأنه رشأ غرير، على وعثاء الرمال !! وضحكات الطفولة الناعمة تملأ شدقيه، وتتدفق من بين شفتيه ، وبعد أن يظفر بألعوبته يستأنف دوره من جديد .

وقد نبه لعب هذا الطفل دوره شيطان شاعرنا صبري من غفوته ، فطلب إلى صديقه أن يقدم إليه صورة طفله « أنور » التي كانت تزين أحد جدران قاعة الجلوس :

فأتاه بها فتناولها وكتب تحتها هذه الأبيات التي أملاها عليه شيطانه العبقري الظريف ، هذا إذا صح أن الشياطين هي التي توحي إلى الشعراء بما يقولون ، قال :

هذا شبابك ياسليم تزينه تلك الخلال الغر والاخلاق
حاكاك «أنور» مثلما حاكيته فيما مضى فتبارك الخلاق
أنت الذي علمته نهب الخطى وأريته أن الحياة سباق

وقد ورد ذكر هذه الأبيات في المحاضرة التي ألقاها الأستاذ محمد صبري، عن اسماعيل صبري بالجامعة المصرية .

رق ديني ورق مالي

الأستاذ بشارة الخوري صاحب جريدة البرق البيروتية ، شاعر من شعراء الشام الافذاذ ، وقد قال عنه أحد الأدباء ، إن لم يسم جريدته « البرق » فروحه كالبرق تشيقك وتروعك ! وأقول إنك لواجد في أبياته الآتية التي نشرت قديماً تحت صورته ، شيئاً من روعة تلك الروح الشائقة ، قال والأسى العميق يساور نفسه :

عشت شقياً ولم أبال ولم يمر الهنا ببالي
أعلل النفس في نهاري وألزم الدرس في الليالي
رق شعوري فرق جسمي ورق ديني ورق مالي

صورة الحبيب

وقال الأستاذ العقاد يناجي صورة حبيبه بأبيات وجدانية منها :

كملت صنعة المصور فيه وتحدته صنعة الرسام
هي نور من السماء وظل وارف للجمال والالهام
ما أحيلى ابتسامة فيه تبقى وقليل جداً بقاء ابتسام
إيه يا صورة الحبيب ألمي وأنيري ليالي المستهام

خذ فكرتى

وقال الأستاذ أمين ناصر الدين يناجى رسماً راق فى نظره ويندب نكد طالعه :

أراك يارسم لاتنفك مبتسما ... أذاك شأنك أم ذوق الذى رسما
تستقبل الصبح جذلاناً بلا سبب ... ولا يسوؤك أن تستقبل الظلما
كفاك يارسم فخراً أن مثلك لم ... ينقل لحاجته فوق الثرى قدما
كفاك عزة نفس أن تدوم ولا ... تأتيك منة إنسان قداحتكما !
أراك تفصح عما فيك من طرب ... وإن عدمت لساناً ناطقاً وفما !
لك الطبيعة صفو العيش قدقسمت ... وضده وجزيل اليأس لى قسما
كن موضعى ولأكن رسما فذلك لى ... خير وخذ فكرتى والطرس والقلما

نفع بلادى !

وقد كتب صديقنا ومواطننا المحبوب، الأستاذ توفيق أحمد الطالب الآن بالجامعة المصرية قسم الحقوق ، هذه الأبيات السامية المعنى، على صورة صديق له تقديراً منه لوفائه ، وإعجاباً بقوميته، قال :

رمز الفضيلة قد نقشتك قبل ذا ... فوق العيون وفى صميم فؤادى
إن ضاع ذكر المحسنين فأنما ... ذكراك فى الدنيا لغير نفاد
وإذا رجوت إلى البلاد سعادة ... فلأنت من أرجو لنفع بلادى

حتى الأفكار

وفى أثناء مدة إقامتى بالقاهرة من ١٩٢٨ إلى ١٩٣١ ، قد تكرم صديقى زجال مصر الأشهر، الأستاذ أبو الوفا محمود رمزى نظيم ، يوم تشرفت بزيارة داره بحدائق القبة ، فى يوم ٥-٦-١٩٢٩ ، فأهدانى رسمه الكريم ، بعد أن كتب عليه ارتجالا هذا الحمل من زجله الرقيق

أهدى المبارك ابراهيم ... ابن السودان صورتى تذكار
روحى وروحه متحدين ... فى كل شىء حتى الافكار!

غضنفر فى وثاق !

اعتدت منذ بضع سنوات مضت ، أن أجتمع إلى بعض رفاق لى، لنصرف أوقات الفراغ فى مذاكرة الأدب ، وقراءة ماالستجد من كتبه ، وفيما نحن مجتمعون، كعادتنا، ذات مساء لندرس كتاب الأخلاق عند الغزالى ، وقد وصل إلينا حديثاً ، لمؤلفه الدكتور زكى مبارك، اقترح على أحد الرفاق، أن أشطر الأبيات الثلاثة الواردة تحت صورة المؤلف المنشورة بالكتاب .

وقد أيد بقية الرفاق هذا الاقتراح، نسبة للتشابه الموجود بين اسمى والدكتور ، ولما لم أجد طريقاً للأفلات من هذا الاقتراح ، لمضايقتهم لى ، طلبت إليهم أن يمهلونى برهة ، ثم طفقت

أحلق بأجنحة الفكر فى سماء الخيال، أغازل بنات الشعر وأطاردها وأسترضيها ، وأخيراً قدمت لرفاق الأبيات مكتوبة بعد تشطيرها ، وقد أنالوها قسطها من النقد والتقريظ قلت :

«لم يغد رسمى ضئيلا »	كما ترون رفاقى
ويبـد وجهى فيـه	«كالبدر عند المحاق»
«إلا لأن الليالى »	قد بالغت فى شقاقى
تباً لهذى الليالى	«وما لها من خلاق»
«صيرتنى فى بلادى»	مكبل الارهاق
أحكى بشدة بأسى	«غضنفراً فى وثاق !»

ولا يسعنى هنا ن أضع القلم قبل أن أعلق على هذه المقطوعة بكلمة وجيزة :

قرات فى الجزء العاشر من هذه المجلة الزهراء ، حديثاً مع الدكتور زكى مبارك وجه فيه حضرة الكاتب للدكتور هذا السؤال: كيف ترى رسائلك القديمة التى كتبتها قبل أن تعمك الحياة بهذه الألوان الجديدة التى تبدو عليك؟فأجابه الدكتور بما اختصاره :

إن تلك الرسائل قد احتملت نظراتى فى الفترة التى كانت تتعهد نفسى فيها حالة التطور ، ولا أكتمك أنى أرى أن هذه الرسائل قد احتملت آراء لم أتحول عنها حتى اليوم ، على أن بعضاً منها كانت تفعمه خيالات لاأستطيع أن أواجهها الآن دون عاصفة من الضحك الوفير ؟

وبناء عليه أقول: إنه من المحتمل أن يكون الدكتور قد درج أبياته هذه — التى اقترح علينا تشطيرها — فى قائمة آثاره الأدبية التى أصبح يطالعها اليوم، وهو يهتز من الضحك من نفسه!

كيف لا وهو يأبى أن يمثل ذاته فى البيت الأخير بأقل من ليث هصور ؟ ! أعنى وحشا مفترسا ، لاموضع فى قلبه للعواطف التى تواطأنا على تسمية بعضها بالشفقة والرحمة والوداعة والايناس !

يقولون إن الانسان مدنى بالطبع ، وأنا أقول ومتوحشين بالطبع أيضا ؟! ولكنه كلما تعمق فى بحر العلم الصحيح ، كلما سمت مداركه ورقت شمائله ودق إحساسه،وأصبح لايرى شيئا من الفضل فى تشبيه نفسه « وهو ذلك الأنسان المتمدين العالم » بأحد الوحوش الضاربة المخيفة التى كانت تعيش مع أسلافه وآبائه الأولين ، فى ظلال الغاب جنباً لجنب فى فجر الحياة !

ولكنى أرى على الرغم من إرتقاء عقل الانسان ، وتفننه فى مختلف أنواع العلوم والمخترعات، قد يأخذه الحنين فى بعض الاحايين إلى التخلق بعاداته الوحشية القديمة الموروثة ، وكثيرا مايتجلى أثر ذلك الحنين إلى التوحش فى أفعال أعرق الناس فى المدنية وأقوالهم !!

المبارك ابراهيم

أم درمان (سودان)



أأنت هناك ؟؟

[انظر التسلية المنزلية صـ ١١٣]

التسليـــــــــــة المنزليه

الحياة المنزلية فى الأسرة المصرية مفككة ، وقد قضت المقاهى على البقية الباقية منها ؛ وقد كنا إلى زمن قريب نتزاور ونتواد فى المنازل، ولكن قضى على هذه العادة السامية فى الآونة الحاضرة، مع أن الأسر الغربية تقيم السهرات فى دورها وتحبب ذلك باستنباط المسائل المغرية، ولذلك لا تجد فى بعض الممالك تلك المقاهى التى تعد من أهم الأسباب الدافعة إلى هجر الرجل داره، وعدم موالاته ملاحظة أبنائه وتربيتهم وتثقيفهم وتفكيك أواصر الصلة بينه وبين أفراد أسرته .

وإنا ندعو - بكل مافينا من قوة - إلى لم شمل أفراد الأسرة بعضها إلى بعض، فيرتقى أفرادها بمذاكرة الأحاديث الممتعة فى الأدب والأخلاق، والقيام ببعض ألعاب منزلية بريئة، ترويحا للنفوس من متاعب العمل ، ودفعا للفكر عن التفكير فى المشاغل الحيوية المتعبة .

وإنا موافون قراء « المعرفة » ببعض هذه الألعاب موالين سرد مثلها فى الأعداد المقبلة مع ذكر بعض أحاجى وألغاز شائقة عملا على نشر فكرتنا البريئة.

١ ــ أكل البرتقالة

تربط عصابة على عينى أحد الأفراد ، وتعلق برتقالة فى خيط وسط الغرفة، على بعد يوازى رأس هذا الفرد، وتربط يداه خلف ظهره أو يضعهما هو فى جيبه ، وعليه أن يأكل هذه البرتقالة .

وهذه اللعبة يصح أن تلعب بدون وضع العصابة على العينين ، وفى هذه الحالة يقوم بها لاعبان، يضع كل منهما يديه فى جيبه ويحاول أكل البرتقالة .

ويرى أنه من الصعوبة بمكان القيام بذلك ، وهذه الحالة مثيرة للضحك .

(أكل البرتقال)

٢ ــ أأنت هناك ؟ (للرجال فقط)

توضع عصابة على عينى رجلين ، ويستلقيان على ظهرهما فوق أرض الغرفة ، و تتجه قدم كل منهما إلى أحد الاركان، وتبعد رأس كل منهما عن الآخر نحو متر . ويعطى كل منهما جريدة ملفوفة لفة أسطوانية. وعندما يسأل أحدهما الاخر قائلا : أأنت هناك ؟ يجيب الآخر بقوله :

نعم ، فيضرب كل منهما حيث يظن أنه يصيب رأس زميله ، ولكل منهما أن يتقى ضربات أخيه بالتنحى عن مكانه ، دون أن يحاول القيام من مكانه .
وهذه اللعبة مسلية جدا، وتبعث على الضحك الكثير (راجع الرسم على الصفحة رقم ١١٢)



٣ — مضاربة الديكة (للرجال فقط)

يجلس رجلان بجانب بعضهما على أرض الغرفة، وكل منهما يمسك ركبتيه بذراعيه، مشبك يديه على مقدم رجليه (وعند الحاجة تربط اليدان بمنديل حتى لا يفترقان) وتوضع عصاة بحيث تكون خلف مفصل الركبة ومقدم مفصل الذراع على اليد : ويحاول كل منهما دفع الآخر ، والذى ينجح فى ذلك أولا هو الفائز .

٤— النتائج الغريبة

تعطى لكل لاعب قطعة مستطيلة من الورق وقلم رصاص ، ويطلب إليه كتابة صفة لرجل، ثم يطوى الورقة حتى لا يتسنى لسواه قراءة ما كتب ، ويدفع كل فرد بورقته إلى جاره الأيسر، ثم يكتب كل منهم، فى الورقة التى أعطيت له، اسم رجل للصفة التى اختارها هو ، وهكذا فى كل خطوة ، وهذه هى الأمور التى يطلب إلى كل منهم كتابتها كلما دارت الأوراق .
(١) صفة لرجل (٢) اسم الرجل (٣) صفة لامرأة (٤) اسم المرأة (٥) متى تقابلا؟ (٦) ما الذى قاله لها؟ (٧) ما الذى قالته له؟ (٨) ماذا كانت النتيجة؟ (٩) ماذا قال العالم عنهما؟
وعند فتح الاوراق وقراءتها ترى نتائج تبعث على الاستغراق فى الضحك .

٥_ الكراسى الموسيقية

تصف الكراسى إما صفا واحدا أو كدائرة ظهرها إلى بعض، بعدد اللاعبين عدا واحد ، وتجلس إحدى السيدات لتعزف على المعزف (البيانو)، ويدور اللاعبون حول الكراسى، ثم تقف السيدة عن العزف فجأة ، وعلى كل فرد أن يلحق كرسيا يجلس إليه . ومن لم يتمكن من الجلوس يوقف عن اللعب ، وهكذا دواليك حتى يبقى كرسى واحد يتنازعه اثنان، والكاسب من فاز بالجلوس إليه دون الاخر .



(الرسم من المرآة: انظر الصفحة رقم ١١٦)

٦— الرسم من المرآة

يطلب إلى كل لاعب أن يرسم حيوانا أو شكل زخرفة، بينما هو ينظر إلى المرآة التى تنعكس عليها صورة الورقة المنبسطة على المنضدة ، أو يرسم دائرة أو نجمة ، ويطلب إلى كل منهم أن يتبع الخطوط ، فيرى أن هذا فى منتهى الصعوبة ، وأصعب من هذا لو طلب إلى اللاعبين رسم ساعة ، والاشارة إلى وقت معين .

٧ — الخيط المسحور

ضع خيطا فى محلول الملح أو الشبة (على غير علم أحد طبعا) وعندما يجف ، خذ خاتما خفيفا واربطه به ، وقربه للهيب النار ، فيحترق الخيط ، ولا يقع الخاتم .

٨— لعبة النقود

خذ قطعة من النقود فى كل يد وابسط ذراعيك ما استطعت، واخبر المجتمعين بأنك ستجعل القطعتين يجتمعان فى يد واحدة بدون أن تلمس يدا اخرى .

وهذا يمكن عمله بسهولة، وذلك بأن تضع قطعة من النقود على المنضدة، ثم تدور بجسمك حتى تصل يدك التى بها القطعة الأخرى إلى حيث توجد القطعة الثانية ، ويتسنى لك عندئذ التقاطها، وبذا تجتمع القطعتان فى يد واحدة، ويداك مبسوطتان.


(إيقاد شمعة بدون مسها)

٩— إيقاد شمعة بدون مسها

أشعل شمعة حتى يحترق جزء طويل منها ، واطفئها فجأة. فينبعث منها دخان فى الهواء ، فأذا أوقدت عوداً من الثقاب بعد خمسة أو ستة سنتيمترات من الشمعة، يلتهب الدخان وتنير الشمعة ثانيا .

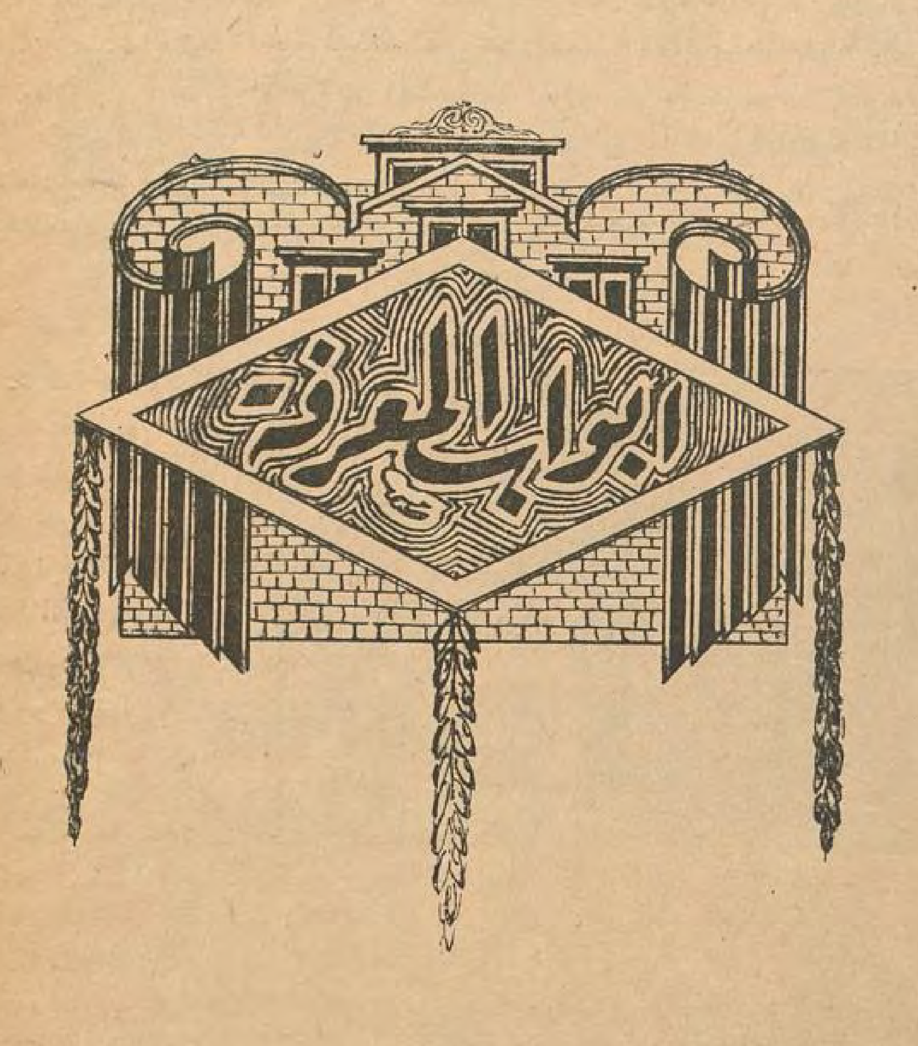
١٠ــ موازنة زجاجة على الرأس

وهذه لعبة صعبة : أحضر زجاجة كبيرة فارغة وحاول وزنها على مؤخر الرأس وأنت واقف ، ثم انبطح على يديك وركبتيك وأنت على هذه الحال ، واجتهد أن تلتقط بفمك غطاءها الملقى على الارض ، وعند تناولها تقف ثانيا .

(موازنة زجاجة على الرأس)

وخذ الزجاجة من على رأسك والغطاء من فك ثم اعلن فوزك .

ترجمها
م.ب


ابواب المعرفة

العلوم والفنون

(حاسة سادسة للمكفوفين)

هل للأعمى حاسة سادسة يشعر بها قرب أى شىء منه ؟ نعم إن الأعمى يحس باحساس خفى، كلما لمس شىء وجهه ، وذلك عند اقترابه من جسم غريب . وقد درس هذه الظاهرة الدكتور فالديمر دولا نتسكى أستاذ علم النفس فى كلية أدسو ببولندا. وقد وضع جهازاً لتجاربه أمكنه به أن يصل إلى أن الحاسة الجديدة تكونت من دقة السمع التى وصلت إلى حد بعيد عند الأعمى؛ فتجعله يسمع أدق الأصوات المنبعثة من الجسم المقترب، وهذا يبعث فى نفسه الخوف من التصادم؛ وهذا يحدث الاحساس المتقدم الذكر الذى عرف الآن بالحاسة السادسة.

(آلة تشير إلى مرض القلب)



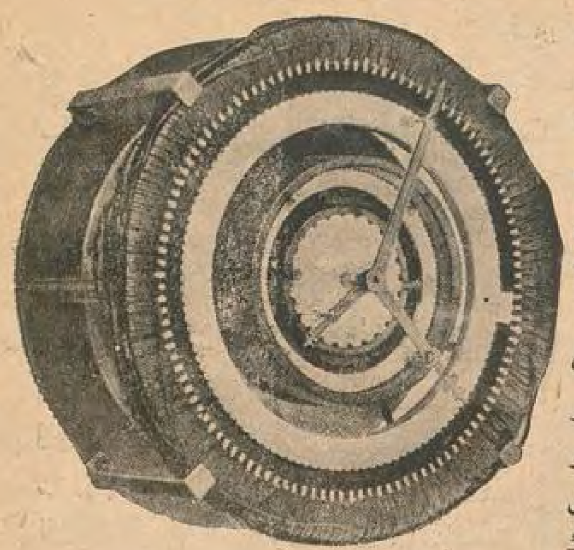
لقد أمكن الوصول أخيراً إلى تصوير مكان المرض فى القلب على زجاجة (فوتوغرافية) فى ألمانيا، فقد أخترعت آلة كالحاكى (الفونوغراف) تدار عليها اسطوانة ، وتلتقط أيضاً صورا (فوتوغرافية) من خلية وبمطابقة ضربات القلب التى تسجل على القرص مع تلك الصور يتسنى للطبيب بسهولة أن يصل إلى موضع الداء.

(مصور جغرافى ٤٠٠٠ سنة)

بالقرب من بابل ، بأرض الجزيرة ، خريطة محفوظة مع قطعة من الفخار فى حجم صغير بقدر راحة اليد ، تبين رسم إحدى ضياع أحد الأغنياء حوالى ٥٢٠٠ قبل الميلاد ، تظهر بها المعالم الطوبوغرافية كأدق ما يكون ، وحولها كتابة بالخط المسمارى، فيها الجبال معينة بخطوط منحنية ، بعضها فوق بعض حسب الطريقة البالية .

(ساعة فى فتوغرافيا)

أمكن تسجيل وقت التصوير فى شكل ساعة تدل على الزمن الذى التقطت فيه الصورة ، وهذا يعد من أظرف المخترعات ، وقد توصل إلى ذلك ، أحد مخبرى الجرائد المصورة ، وذلك بتثبيته ساعة شفافة الميناء أمام لوحة الآلة ، وبذلك أمكنه أن يأخذ الصورة مسجلا عليها وقت لتقاطها بدون أن تتلف الساعة الصورة لشفافيتها .

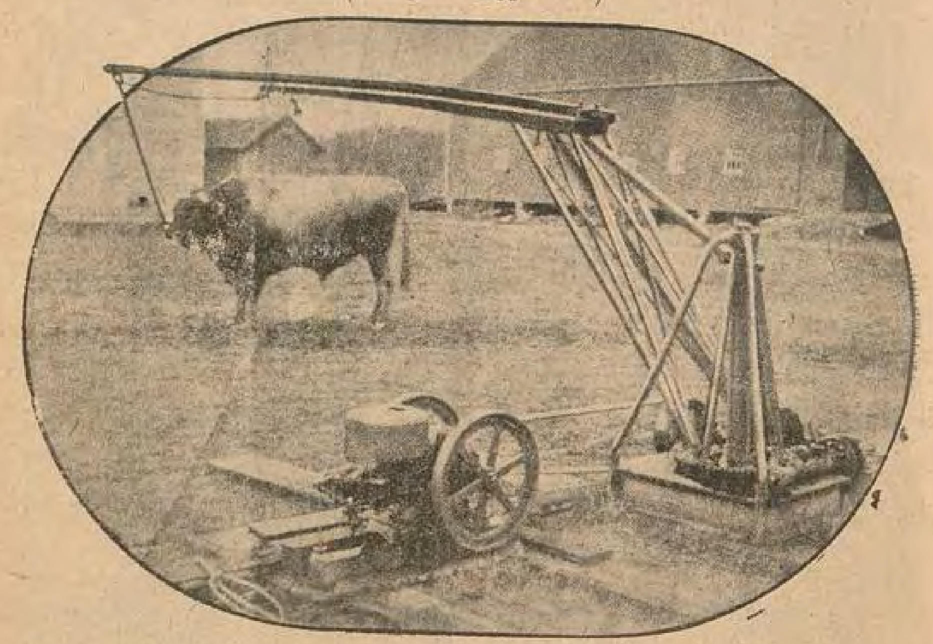


(ساعة بدون آلة تسير إلى الابد)

هذه الساعة تسير بمحرك كهربائى، وسر اللغز فى هذا الجهاز هو حلقة مغناطيسية تتصل بالجزء الثابت، وسلك مفتول مستدير من الحديد، وسلسلة من الحلقات المتحركه ممركزة فى مكان واحد تحمل العقربين منها ثلاث .

وبالمغناطيسية يدور هذا السلك الحديدى بمعدل ستين دورة فى الدقيقة، فيدير الحلقات الكبيرة الممركزة، وهذه تدير تبعا لها الحلقات المغطسة، وبنظام دقيق تنتقل القوة المغناطيسية، وبهذا تتحرك الحلقات الحاملة لعقربى الدقائق والساعات بالسرعة الصحيحة الدقيقة .

(آلة تدير ثورا من أنفه)



لقد اخترعت آلة تدير ثورا من انفه لتعطيه الصحة برضاه أو قسرا عنه، وهذه الآلة قوتها نصف حصان بمحرك يدار بالغاز، والذراع القائد يدير الثور فى دائرة .

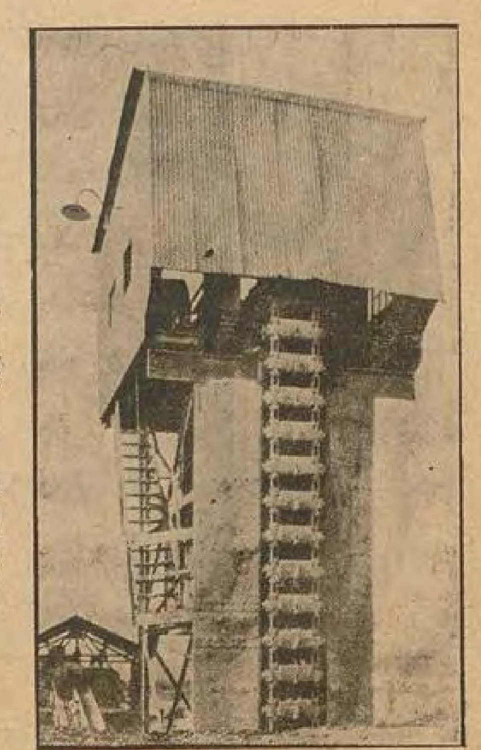
(ساعة تسير عكسا)

كل مايمكن أن يقال عن هذه الساعة التى تسير عكسا، أنها الأولى من نوعها فى العالم، وقد اخترعها ساعاتى من سان انتونيو، وقد كتبت الأعداد عكسية ، وتسير العقارب كذلك، وقد علقها على أواجهة حانوته، ذلفتت الانظار إليه .



(آلة لفرز النقود المزيفة)

لفرز النقود المزيفة اخترع مخترع إيطالى آلة (أوتوماتيكية) إذا وضعت فى ثقب لها معد لذلك ـ قطعة من النقود صحيحة تنحدر إلى سفلها ، والمزيفة لا تظهر ، وداخل هذه الآلة جهاز يزن العملة ويقيس قطرها ويختبرها بالمغناطيسية .



(آلة عظيمة تشذب جوانب التلال)

لقد غيرت هذه الآلة الطريقة القديمة التى كان يلجأ إليها فى شق الطرق فى التلال : فتتحرك إلى أعلى فى سلسلة لا نهاية لها، فتجترف سطح التل ثم تفرغ حمولتها فى الشطر الثانى منه، والجهاز الخاص بحفر الصلصال يمكن أن ينقل خمسين طنا منها فى الساعة، ويمكن أيضاً أن تشذب حجر الجير والأسمنت وتنظم ماقطعته، والصورة التى إلى اليمين تشرح الوصف .

م ٠ ع ٠ م ٠ ب

مملكة المرأة والبيت

مشاكل المرأة

بقلم الاستاذ محمد السيد

المرأة هى المرأة منذ بدء الخليقة حتى اليوم ، وبعبارة أوضح : إن المرأة أم قبل أن تكون أى شىء آخر ، ووظيفة المرأة عمرانية أساسها : تربية النسل ، وحفظ النوع الانسانى من الانقراض ، وهى العامل الأول والمهم فى خلق الأسرة وتربية النشء وإعداد رجال الغد ، وترقية الحياة وإسعاد العائلة .

والمرأة ، باعتبارها زوجة مطالبة بأن تكفل لزوجها الراحة والهناء ، ثم أن تفهم أن الحياة الزوجية ، ليست حبا فقط ، وليست متعاً ولذاذات فحسب ، وليست سبيلا لابقاء الجنس وحفظ النوع ليس غير ؛ بل الحياة الزوجية يجب أن تفهم على أنها «حب» و «متعة» و «لذاذة» غايتها الهناءة ، ونتيجتها السعادة البيتية ، ومن ثم خلق أسرة ، وإيجاد عائلة لم تكن موجودة من قبل .

والسعادة الزوجية لاترتكز على جمال الخلقة ولا على القسامة والوسامة ، ولا على دلال المرأة ، وما فيها من طراوة وغنج ؛ كما أن التزين والتبرج ليسا من أسباب الحب والسعادة وإن كانا من حوافز الشهوة فى بعض الأحيان .

وإنما السعادة الزوجية أصلها وفرعها الشعور بالولاء وحسن العاطفة والاحساس بالاخلاص وما ينتج عن ذلك من رباط الألفة ووشائج المحبة السامية التى قد يكون من مظاهرها فى بعض الأحيان الغناء .

ومن ثم فحسن الخلق وجمال الخلقة وحسن الطبع ، ولين المعشر والظهور بالطاعة ولين العريكة وحب الخير للزوج مما يرفه الحياة ، بل يكسر من شرتها ويلين من حدتها ويجعلها سائغة مقبولة مطاقة .

والمرأة التى تعنى بنفسها وتنسى كل شىء إلا نفسها ، وأدوات زينتها وتبرجها ، إنما تسير إلى الهاوية وتستعجل النهاية إلى القنوط واليأس من إصلاحها وجعلها زوجة صالحة ، وليس فى هذا من الخطر مافيه على شخصها فقط ، وإنما هى تحفر بؤرة توشك أن تتردى فيها العائلة كلها صغيرها وكبيرها .

والمرأة كأم عليها أن تعنى بأطفالها ، فهى مرضع وهى طبيب ، وهى مربية ، ثم نعمت المعلمة .

ولعل أثمن نصيحة نتقدم بها إلى السيدة المصرية ، وإلى الفتاة المصرية ، هى أن نصارحهما القول أن وظيفة المرأة محصورة فى البيت . فى الأمومة — والمرأة المترجلة التى لاتخضع للناموس الطبيعى ، توشك أن ترتطم بصخور الحياة ، ولا تلبث أن تجابهها الحسرة والندامة .

هذا وليس من شك فى أن من أهم مايجابه العائلة المصرية الآن على الخصوص والشرقية على العموم ، من المسائل المثيرة هو :

١ ـ تعليم المرأة ، وأى العلوم يجب تلقينها حتى تسعد الأسرة وتضمن المرأة لبيتها المستقبل؟

٢ ـ السفور والحجاب أو اختلاط الجنسين .

ومع أن الصحيفة التى خصصتها « المعرفة » الغراء (مملكة المرأة والبيت) تكاد لاتتسع لبحث شامل لهذه المواضيع العمرانية الهامة، إلا أن هذا فيما أرى لايحول دون بسط الموضوع كله ومن شتى نواحيه فى فرص متتالية، راجين إلى « المعرفة » أن تشجعنا وتشجع قراءها وقارئاتها لعرض مثل هذه البحوث المفيدة .

***

المرأة والتعـليم

طلب العلم واجب على كل إنسان، لافرق بين ذكر وأنثى ، لكن العلوم كثيرة متشعبة الفروع كثيرة الأصول، ولو أن أمرءاً قضى حياته يطلب العلم لأدركه الموت قبل أن يدرك غايته من العلم.

لذلك كان من المعقول بل من الطبيعى أيضاً، أن أياً من الناس لايحصل من العـلوم والفنون إلا بقدر مايلائم مزاجه، ويتفق وأهواءه، ويساير طبيعته، ومايسد حاجته، ويهيء له سبيل العيش.

وقد قلت لك: إن المرأة خلقت لأن تكون أما، فليس يطلب إليها أن تكون جندياً محارباً، ولا مهندساً ، ولا شاعراً ، ولا فيلسوفاً ، ولا إلى ما إلى هذا مما يشق عليها، ولاتحتمله طبيعة خلقتها وفطرتها . فالعلوم التى يجب على المرأة أن تتعلمها كثيرة : تدبير المنزل، ومبادىء الحساب، واللغة، وتقويم البلدان، والحياكة، والطهى، والتمريض، وتربية الأطفال، وتنظيفهم، وتغذيتهم، والسهر على راحتهم ، وغير هذا كثير مما يمت إليه بصلة، ويتصل به بسبب، مما هو فرض على المرأة أن تتعلمه، وأن تحيط به إحاطة كاملة شاملة .

***

وكم من فتى رأى فتاة بارعة الحسن آية فى الجمال، هى فى الدنيا زينة، فأعجبه منها حسن هندامها واعتدال قوامها ، وأغراه منها أنها تجيد الرقص والتوقيع على (البيان) ثم زاده فتنة أن شاركته خوالجه وميوله ، فهى تقرأ القصص وتفهم الفصول الأدبية ؛ تستوعب لامارتين وفيكتور هوجو وشاكسبير، وتعجب بهيكل ومن إلى هيكل ... فلما حقق الحلم الذهبى وبنى بصاحبته ، جابهته الحقيقة المؤلمة وآب بالحسرة والندامة...ذلك أن التى فتنته وأشبعت عواطفه وخوالجه وميوله الجنسية ، لم تكسب المعركة الفاصلة ... ذلك أنها لم تك عالمة كيف تجهز له طعام إفطاره .

وثمة شيء آخر له أهميته منذ نشأة البنت . وفي نعومة الاظفار، وحين تكون روحها بسيطة لم يعتورها التعقيد ، ذلك هو تطهير النفس، وتهذيب العواطف والميول، بتوجيهها إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وتعويدها على الصدق والنزاهة والكياسة ، وليس أفعل في هذا من إشراب نفس البنت حب الدين وحب ماوراء الغيب، فان الجرى وراء المحبوب المجهول، مما تسمو إليه نفس الانسان .

اختلاط الجنسين

ولعل من السفه أن تلوك الألسنة الآن وفي هذا العصر مسألة السفور والحجاب أو الاختلاط بين الجنسين ، ومن الحماقة أن يتناول الانسان ذلك بالتحبيذ أو التفنيد، فتلك مسألة انتهينا منها لا إلى حل رائع ،ولكن إلى واقع محسوس، فليس الآن ثمة حجاب وليست الآن ثمة امرأة متحجبة.

ولعل المرأة المصرية، أولعل من يزعمون أنهم أنصارها، لم يكونوا على حق حين زعموا أن الاسلام يحد من حرية المرأة ويضع في يديها وعنقها الاغلال ؛ ذلك أن هؤلاء الناس يتركون اللباب إلى القشـور .

فالاسلام قد أعطى المرأة كل الحرية وكامل الحقوق مهيئاً لها الرغد والسعادة، ثم هو يساير الطبيعة ويؤمن بضرورات الحياة والمجتمع، فقد جعل الرجل خادماً للمرأة ثم وضع المرأة في مكان الاعزاز والأكرام، وأباح لها أن تتعامل وأن تبيع، وتشترى وأن تملك وتهب، وأن ترث وتورث وجعلها ندا للرجل في كل التصرفات والحياة العملية .

إلا أن الاسلام يرى - درءا للمفاسد وحفظاً للأنساب - أن يأخذ في الاختلاط بالاحتياط، وهذا كل ما يأخذه أعداء الاسلام على الاسلام .

والمدنية الغربية التي تبيح للمرأة أن تتبرج وأن تختلط وأن تشارك الرجل ما ثمه ومحارمه، قد حرمتها أبسط الحقوق ، فهي لا تعترف بتصرفات المرأة المدنية في أملاكها دون إجازة الزوج وإقراره .

محمد السيد

هدية السنة الاولى

تقدم إدارة « المعرفة » لحضرات المشتركين الذين سددوا قيمة الاشتراك عن السنه الأولى ، كتاب « الرسالة العذراء » لابراهيم بن المدبر ، وهي رسالة تعد من ذخائر الأدب العربي النفيس ، لما حوته من جليل البحث ، وطريف الفكر . وقد صححها وشرحها باللغة العربية، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناولت الكلام على فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث، الدكتور زكي مبارك .

فأما حضرات المشتركين الذين يرغبون في أن نهديهم رسالة « الغزالي وابن سينا والفارابي » فنعدهم بتقديمها ، عند انتهائها من الطبع .فليكتب إلينا كل بما يرغب .

مكتبة المعرفة

المدنية الاسلامية وأثرها فى أوروبا

أهدانا الأديب الفاضل محمد سعيد بخت ولى الافغانى، كتابه « المدنية الاسلامية
فى أوروبا »؛ ولعل القراء يذكرون ماقرأوه من فصول فى هذا الموضوع، نشرها الأديب
ولى فى سنتها الأولى، والكتاب، كما هو، بالنسبة للمدنية الاسلامية على قسط كبير من المعلو
النافعة، وإن كان ينقصه الكثير من النقط التى نلتمس العذر للمؤلف فيها، بأنه قصد من كتابه مجرد
الفكرة، والدفاع عن المدنية التى هضم حقها فى هذا القرن: من ذلك أنه فى الفصل السابع
باسهاب عن عدل الاسلام وبغضه للظلم، وقد كان الأجدر به أن يقول لنا شيئاً عن الشر
الاسلامية وقوانينها، ويقارنها بالقوانين الاوربية، ويصل بنا إلى الأثر الذى تركته هذه المد
وقد تناول المؤلف الكلام على المدنية الاسلامية، فأفاض فى ذلك كثيرا، وإن قصر
على نواح خاصة. ومع ذلك فالكتاب، كما هو، جدير بالاطلاع عليه لفكرته وحسن أسلو
ونحن من جهتنا نتمنى للكتاب انتشارا لنشر فكرته.

الصناعة والصناع

ترجم عوض افندى جندى هذا الكتاب عن الانكليزية، وللمترجم غير هذا الكتاب، كتاب
آخر، هو « مشاهد اليابان » أبدع فى ترجمته وأسلوبه؛ وقد جاء كتابه الثانى على أتم ما يكون
من دقة الترجمة والتعابير، هذا إلى حسن الاسلوب وسلاسته. والكتاب فى مادته عظيم الفائدة
فننصح جمهور المتعلمين بالاطلاع عليه لما فيه من المواضيع التى تصل بهم إلى عظيم الفوائد، خصوصاً
ونحن على أبواب نهضة صناعية، وفى حاجة للتعرف إلى كل ما يمت إلى الصناعة والصناع بصلة
فنشكر المؤلف على هديته ونتمنى لكتابه الذيوع والانتشار.

تراث الاسلام

THE LÉSAGY OF ISLAM

طبع بمطبعة جامعة أكسفورد ـ عدد صفحاته ٤١٦ ـ الثمن ١٠ شلنات

فى أوائل هذه السنة ظهر فى عالم المطبوعات مؤلف قيم عن الاسلام وما خلفه للحضارة
والثقافة الغربية، وقد قامت بنشره جامعة أكسفورد كحلقة فى سلسلة تلك المجموعة المو
« سلسلة التراث »؛ وقد صدر منها قبل هـذا سبعة مؤلفات تبحث فيما يتعلق بالحضارة
الغربية من دين نحو الأغريق والرومان واليهود. « وتراث الاسلام » فى الواقع عدة
صغيرة يضمها غلاف واحد، وقد كتب كل جزء منها عالم مستشرق من أبناء الغرب، وأشر

تحريره بادىء الأمر الأستاذ سر توماس أرنولد الذى توفى فى العام الماضى ، ولما لم يكمل هذا العمل، فواصل العمل بعده الأستاذ الفرد جيوم، وأشار فى تصدير الكتاب إلى الخسارة الهائلة التى منيت بها الأوساط العلمية بفقد أحد جهابذة المستشرقين.

والكتاب مقسم إلى ثلاثة عشر باباً : الأول عن اسبانيا والبرتغال بقلم ج.ب. ترند، والكتاب الثانى عن الحروب الصليبية بقلم ارنست باركر ؛ والثالث عن الجغرافيا والتاريخ بقلم ج.ه. كرامر الحاضر فى اللغتين التركية والفارسية فى جامعة ليدن؛ والرابع عن الفنون الاسلامية الثانوية وأثرها فى الفن الأوربى بقلم ا.ه. كريستى ؛ والخامس عن الفن الاسلامى وأثره فى فن التصوير الأوربى بقلم المرحوم سر توماس أرنولد؛ والسادس عن فن العمارة بقلم مارتن برجس، والسابع عن الأدب العربى بقلم ه.ر. جيب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن؛ والثامن عن التصوف الاسلامى بقلم الأستاذ نيكلسون أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج؛ والتاسع عن الفلسفة واللاهوت بقلم الفرد جيوم رئيس كلية كلهام؛ والعاشر عن القانون والمجتمع بقلم دافيد دى سانتيلانا أستاذ تاريخ المعاهدات السياسية والدينية فى الاسلام بجامعة روما؛ والحادى عشر عن العلم والطب بقلم ماكس مايرهوف ؛ والثانى عشر عن الموسيقى بقلم ه.ج. فارمر؛ والثالث عشر عن الفلك والرياضيات بقلم البارون كارا دى فو. وقد قال المحرر فى مقدمته ماخلاصته :

«إن الغاية التى يرمى إليها هذا الكتاب هى بيان العناصر التى اشتقتها الحضارة الغربية من العالم الاسلامى ؛ «وتراث الاسلام» اسم قد يثير من الجدل ما يثير، ولا يفسر معناه الحقيقى إلا هذا الكتاب برمته ، وهو لا يعالج فى الواقع موضوع ماخلفته الديانة الاسلامية عن طريق الدين ، وسيعلم القارىء بعد فراغه من مطالعته أن أثر الدين الاسلامى كان أضعف ما يكون تلك المخلفات التى تركها المسلمون الشرقيون والغربيون ، ولنضرب لذلك مثلا بالشرع الاسلامى، فهو أقل مافى التراث الاسلامى أثرا فى الحضارة الغربية ، لكن الاسلام هو الحقيقة الاولى التى يسرت لهذه التركة أن تكون فى عالم الوجود، فتحت حماية الأمبراطورية الاسلامية، وفى كنفها، وتحت رعايتها زهت الفنون والعلوم، التى يأخذ هذا الكتاب على عاتقه وصفها .

وبلاد العرب هى مهد الاسلام ومسقط رأسه، وعلى لغة العرب يستند كل ما كتب فى هذا المؤلف، وكثيرا مايستعمل اللفظان : العربى والاسلامى، كل منهما فى موضع الآخر . وفى تلك الايام العظيمة ــ أيام الخلافة الاسلامية ــ لم يكن يفصل بين اللغة والدين .

وتقع اللغة العربية بين اللغات السامية موقع الاغريقية بين اللغات الاوروبية، وإنه لمن حسن حظ الاسلام أن الرسالة أنزلت فى وقت بلغت فيه اللغة العربية أوج عزها ؛ وقد كانت اللغة الارمية فقيرة جدا بالنسبة للعربية، وحتى اللغة العبرية القديمة لم تنافس ــ وهى فى أحسن حالاتها ــ لغة العرب فى مرونتها المدهشة، فمن الميسور أن تصوغ العربية من مصادرها الذاتية ــ بأساليب مستقلة عن غيرها ــ اللفظ الصحيح الذى تتطلبه الفنون والعلوم الجديدة لتعبر به تعبيرا فكريا صحيحاً»

والكتاب مطبوع طبعا أنيقا، وبه اثنتان وتسعون صورة . ابراهيم عبد الحميد زكى

بين المعرفة وقرائها

دراسة الحيوانات

(القاهرة. مصر ـ أحمد فتحى عبدالعال ناصف) لماذا يهتم العلماء بدراسة الحيوانات التى [لها] أكثر من خلية واحدة دون الحيوانات الأولية مع العلم بأن الثانيـة أساس الأولى؟

(المعرفة) لو كان المقصود دراسة الخلية فى حد ذاتها من تكوين وتكاثر ونمو، لوجد[نا] العلماء قدقصروا تجاربهم على الحيوانات الأولية كالاميب وغيرها، ولـكنهم قدانتهوا من هذ[ا] الموضوع، والآن يبحثون فى علاقة الخلايا بعضها ببعض وارتباطها وتكوينها فى الحيوانات المختلف[ة] ولذلك يجرون تجاربهم فى الحيوانات المتعددة الخلايا إذ قد انتهوا من دراسة الخلية فى حد ذاتها منفردة .

كثرة النسل أيضاً

(الروضة. القاهرة ـ ع . ا . عبدالرحمن) تزوجتها منذ اثنتى عشرة سنة بعد حب باق إلى الآن ورزقت بثمان أطفال وأخشى الزيادة لأن مرتبى بسيط، وأنا حائر جداً، فهل أطلقها أم هناك علاج آخر؟

(المعرفة) قد أظهرنا رأينا بصراحة فى هذا الموضــوع فى العـدد الحادى عشر « شهر مارس » ، ونقول إن مسألة الرزق بين إرادة الله وسعى المرء ، وقد ذهبت الناس فى هـذا الموضوع مذاهب شتى: فمن محبذ لـكثرة النسل ومقترح على الحكومة إعانة الـكثيرين الأطفال، ومن داع إلى تحديد النسل ، وهذا فيه ما فيــه من ضرر كبير للأمة يظهر فى المستقبـل . فلا تفكر فى الطلاق واجتهد قدر طاقتك، فأن الله آتيك برزق صغارك.

الأكاديمية الفرنسية

(الاسكندرية . مصر ـ عبد الحميد حسن) كيف تأسست الأكاديمية الفرنسية ؟ وما قيمتها وبالنسبة للأدب العالمى؟ وهل لـكم أن تذكروا لى بعض أعضائها؟

(المعرفة) الأكاديمية الفرنسية من أهم المؤسسات التى قام بها الـكردينال ريشيليو زير لويس الثالث عشر ، وقد صدر المرسوم بتأسيسها فى ٢ يناير ١٦٣٥ ؛ وقد أدت هذه الأكاديمية من أقدم الخدم للغة الفرنسية وآدابها ما لا سبيل إلى حصره ، فقد هذبت الألفاظ والمعانى والأساليب بما جعل لها من الأثر فى العالم ما لاينكر، اذ تعد فى طليعة اللغات الأدبية أسلوباً ومعنى ونظما . وأعضاء الأكادمة أربعون يطلق عليهم « الأربعون المخلدون » ويعينون بالانتخاب ممن ضربوا بسهم وافر فى الآداب والفنون اللغوية .

فهرس المعرفة

الجزء الاول من السنة الثانية

أبواب المجلة

تحـــــذير

يحذر صاحب « المعرفة » حضرات الكتاب والأدباء ، وأصدقاء « المعرفة » ومشتركيها جميعاً وأصحاب المسارح وغيرها، من اعتماد أى شخص يتقدم إلى حضراتهم بدعوى تمثيلنا أو الاتصال بنا أو العمل معنا ، مالم يحمل كتاباً يوضح صفته ، وموقعاً عليه من صاحب المجلة ومحررها

كما أن وصولات الاشتراكات لاتعتمد مطلقا ، مالم تكن موقعاعليها بامضاء صاحب المجلة ومهورة بختم الادارة .

رجاء

ترجو إدارة « المعرفة » حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراكاتهم، عن سنتها الأولى التفضل بتسديدها إلى الادارة مباشرة ، آداء للحق، وتعاونا معها فيما أخذته على عاتقها من نشر الثقافة العربية الصحيحة .

(مطبعة المعرفة)